

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي بن مهيدي "أم البواقي"



معهد تسيير التقنيات الحضرية

قسم علوم الأرض والكون

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص

"مدن ومشروع حضري"

إشكالية إستدامة البيئة الحضرية داخل الأنسجة
العمرانية العتيقة بمدينة قسنطينة
. حالة حي السوقية .

- من إعداد الطالبة : غزال إيمان

- تحت إشراف : أ. دحدوح فطيمة

❖ لجنة المناقشة :

إسم الأستاذ :	الجامعة :	الصفة :
- أ. عبدة أسيا	أم البواقي	رئيسا
- أ. دحدوح فاطمة	أم البواقي	مقررا
- أ. بن عميرة	أم البواقي	ممتحنا

السنة الجامعية : 2013 - 2014



الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

و الصلاة و السلام على أشرف الخلق أجمعين "محمد" بن عبد الله صلوات ربي و سلامه عليه أما بعد:

أهدي عملي هذا إلى من قال سبحانه و تعالى " و قضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحسانا " و قوله "و اخفض لهما جناح الذل من الرحمة، و قل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا".

إلى التي دون جفون رعتني، شقت دجى الليل ما شكتني، نبع الحنان و العطف أعظم نعمة بعد إيماني إلى من ذاق الحلو و المر من أجلي، إلى من غمرتني بدعواتها و كانت تنير دربي إلى من رضاها أقصى أمنياتي، أظهر وجهها و أروع كلمة في الوجود، قرة عيني

أمي الحبيبة

إلى من علمني أن الحياة كفاح، إلى من علمني أن الحياة عزة نفس، و تواضع لمن داس على شوك الحياة لمعيشي ، إلى من نطق بكلمات ستضل تتردد على مسامعي ما حييت و هذا الجهد وسام عرفان على كتفه

أبي الغالي

إلى أختي و حبيبتي "ريان" و أخي "نذير" و "أمير"

إلى جدتي الغالية و خالاتي "سليمة" و "منيرة" و إلى أخوالي كل باسمه و إلى من تربطني بهم قرابة الدم و كل الأهل و الأقارب.

إلى روح جدتي و جدى الطاهرة

إلى اللتان قاسمتان حلو ومر الحياة الجامعية "ساكر سمية" و "فاسي راضية"

إلى كل الزملاء و الأصدقاء: أميرة، هاجر، خديجة، سمية، لينا، مريم، أسماء، رميسة، فايزة، شريفة، إلهام، منى، إيمان، سارة، رميلة، ياسمين، سميرة، عماد، أمين، عمار، خالد.

إلى الكتاكيت: ياسمين، لينا، دعاء، رامي، كنزو، نجم الدين.

إلى كل طلبة و أساتذة معهد تسيير التقنيات الحضرية خاصة دفعة 2014

إلى كل من يحب و يعرف "إيمان غزال"

إلى كل من أدركه شغف قلبي و لم يدركه قلبي أهدي ثمرة جهدي.

إيمان

تشكرات

بسم الله الرحمن الرحيم

و لأن شكرتم لأزيدنكم

الحمد لله و الصلاة و السلام على سيدنا المصطفى محمد صلى الله عليه و سلم و نحمد الله حمدا كثيرا مباركا على هذه النعمة الطيبة و النافعة، نعمة العلم و البصيرة، و لا يسعنا في هذه اللحظات إلا أن نخر سجودا لله سجودا شكرا على حسن توفيقه لنا في إتمام هذا العمل المتواضع.

يقول الرسول صلى الله عليه و سلم "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"

في مثل هذه اللحظات يتوقف اليراع ليفكر قبل أن يخط الحروف ليجمعها في كلمات

تتبعثر الأحرف و عبثا أن يحاول تجميعها في سطور

سطورا كثيرة تمر في الخيال و لا يبقى لنا في نهاية المطاف إلا قليلا من الذكريات و صور

تجمعنا برفاق كانوا إلى جانبنا

فواجب علينا شكرهم و وداعهم و نحن نخطو خطواتنا الأولى في غمار الحياة

و أتوجه بالشكر الجزيل إلى

التي تفضلت بإشراف على هذا البحث فجزاها الله عني كل خير فلها مني كل التقدير و

الإحترام الأستاذة

"دحدوح فطيمة"

كما أتوجه بجزيل الشكر و العرفان إلى كل من أشعل شمعة في دروب عملي

إيمان



الفهارس

الفهرس العام	
الصفحة	العنوان
	الفصل التمهيدي: الإطار المنهجي
1	المقدمة العامة
2	الإشكالية
3	الفرضيات
4	أسباب لختيار الموضوع
4	أهداف الدراسة
7-5	منهجية البحث
	الفصل الاول: مفاهيم و مصطلحات
8	تمهيد
	المبحث الاول: مفاهيم و مصطلحات عامة
9	1- المدينة
9	2- البيئة الحضرية
10	3- الأنسجة العمرانية العتيقة
10	4- التنمية المستدامة
11	5- المخطط التوجيهي للتهيئة العمرانية
11	6- مخطط شغل الأراضي
12	7- أنواع التدخلات في المجال الحضري
12	7-1- إعادة التنظيم
12	7-2- إعادة التهيئة
12	7-3- إعادة الاعتبار
12	7-4- التحسين الحضري
13	7-5- الترميم
13	7-6- التكتيف العمراني
13	7-7- إعادة الهيكلة
13	7-8- التجديد الحضري
13	8- الإستدامة
14	9- التراث العمراني
15	10- التسيير
	المبحث الثاني: تاريخ المدينة العتيقة
21-16	أولا: تاريخ المدينة العتيقة
22	ثانيا: تاريخ المدينة العربية العتيقة
22	1- المدينة العربية العتيقة قبل الإسلام
23	2- المدينة العربية العتيقة في الإسلام
24	3- المدينة العربية العتيقة بعد سقوط الخلافة الإسلامية
25	4- المدينة العربية العتيقة في الفترة العثمانية
25	5- المدينة العربية العتيقة في الفترة الإستعمارية
28	خلاصة
	الفصل الثاني: التنمية المستدامة و البيئة الحضرية
29	تمهيد
	المبحث الاول: التنمية المستدامة
30	1- تعريف التنمية المستدامة
33-31	2- السياق التاريخي للتنمية المستدامة
34	3- مبادئ التنمية المستدامة

34	أولاً: المبادئ الأساسية للتنمية المستدامة
34	1-التوفيق بين متطلبات التنمية و تدابير حماية البيئة
35	2-العدالة بين الأجيال
36	ثانياً: المبادئ الفرعية للتنمية المستدامة
36	1-مبدأ الإحتياط
37	2-مبدأ الأشغال المشتركة للإنسانية
38	3-المبادئ القابلة للإندماج
39-38	4- عناصر التنمية المستدامة
40	1-4-العنصر الإقتصادي
40	2-4-العنصر الإجتماعي
40	3-4-العنصر البيئي
40	5-أبعاد التنمية المستدامة
40	1-5-الأبعاد الإقتصادية
40	2-5-الأبعاد البشرية
41	3-5-الأبعاد البيئية
41	4-5-الأبعاد التكنولوجية
41	6-خصائص التنمية المستدامة
42	1-6-الإستمرارية
42	2-6-تنظيم استخدام الموارد الطبيعية
42	3-6-تحقيق التوازن البيئي
42	4-6-التكامل
42	7-عوائق التنمية المستدامة
42	1-7-العوائق التقنية
43	2-7-العوائق المالية
43	3-7-العوائق التكنولوجية
43	4-7-العوائق التشريعية
43	8-مجهودات الجزائر لتحقيق التنمية المستدامة
44	8-1-الوضعية الإقتصادية
44	8-2-الوضعية الإجتماعية
45-44	8-3-الوضعية البيئية
48-46	9-وضعية التنمية المستدامة في العالم
	المبحث الثاني: البيئة الحضرية المستدامة
49	1-البيئة الطبيعية
49	2-البيئة المشيدة
49	3-أسباب تلوث البيئة الحضرية
50	3-1-الأسباب الإقتصادية
50	3-2-الأسباب الإجتماعية
51	3-3-الأسباب التكنولوجية و التقنية
51	3-4-الأسباب الأخلاقية و التربوية
52	4-أنواع التلوث بالبيئة الحضرية
53	أ-التلوث المادي
53	*التلوث الهوائي
54	*التلوث بالمياه
54	*التلوث بالفضلات الصلبة
55	ب-التلوث غير المادي
55	*التلوث الضوضائي

56	*التلوث البصري
58- 57	*التلوث الأخلاقي
59	خلاصة
	الفصل الثالث: خصائص و مشكل الأحياء العتيقة
60	تمهيد
	المبحث الأول: خصائص الأحياء العمرانية العتيقة
61	1-التركيب الداخلي للمدن العتيقة بالجزائر
61	أ-التركيب الداخلي للقصور الصحراوية
68- 62	ب-التركيب الداخلي لمدن الشمال العتيقة
	المبحث الثاني: مشاكل الأحياء العمرانية العتيقة
69	1-مشاكل المدن العتيقة بالجزائر
70	2-أسباب تدهور المدن العتيقة بالجزائر
70	1-2-الأسباب التاريخية
70	2-2-الأسباب السياسية
70	2-3-الأسباب التمويلية
71	2-4-الأسباب التقنية و التكنولوجيا
71	2-5-الأسباب الثقافية
71	2-6-الأسباب الإجتماعية
71	2-7-الأسباب المناخية و التلوث
72	2-8-الأسباب الأخلاقية
73	خلاصة
	الفصل الرابع:تجارب دول العالم في استدامة البيئة الحضرية للمدن العتيقة
74	تمهيد
	المبحث الأول: تجربة مدينة الأردن
75	1-الدراسات ذات العلاقة بالتجديد الحضري بمركز المدينة
77- 75	أ-الدراسات العالمية
77	ب-الدراسات المحلية لمركز الكرك بالأردن
78	1-دراسة تخطيط التنمية الحضرية
79- 78	2-دراسة المحافظة على النسيج العمراني
83 - 80	3-المشاريع المنفذة للأغراض السياحية
84	4-دراسة خطة التطوير الإقليمية المتكاملة
86- 84	2-الخصائص العمرانية و البيئية لمدينة الكرك القديمة
87	نتائج عامة
	المبحث الثاني: تجربة مدينة الدرعية بالرياض
90	1-التعريف بالدرعية
90	2-الخصائص البيئية و الطبيعية بالدرعية
91-90	3-التراث العمراني بالدرعية
92	4-مشروع الحفاظ على التراث العمراني ة تطوير الدرعية التاريخية
93	أ-هدف برنامج التطوير
93	ب-الجهات المشاركة في مشروع التطوير
93	ج-استراتيجية تنفيذ مشروع و تطوير الدرعية التاريخية
94	د-تمويل المشروع
95	5-المراحل التنفيذية لتطوير الدرعية التاريخية
95	أولاً:مشاريع حي الطريف
96	ثانياً:مشاريع حي البجيري
96	ثالثاً:مشاريع الطرق و المرافق

97	خلاصة تجربة الدرعية
98	خلاصة
	الفصل الخامس: الدراسة التحليلية للمنطقة و مؤشرات البيئة الحضرية
99	تمهيد
	المبحث الأول: تقديم المدينة العتيقة بقسنطينة
100	1-تعريف المدينة العتيقة بقسنطينة
101	2-الموضع
101	3-الطوبوغرافية
102	4-مخطط شبكة الطرق
102	أ-الطرق الأولية
102	ب-الطرق الثانوية
103-102	ج-الطرق الثالثة
104	5-التطور السكاني و بتبثهم الوظيفية
104	6-موقع المدينة العتيقة و علاقته بشروط اختيار المدن العتيقة
105	7-الدراسة العمرانية و المعمارية للمدينة العتيقة
106-105	*قطاعات المدينة
107	8-النماذج السكنية بالمدينة العتيقة قسنطينة
108	8-1-النموذج التقليدي
109	8-2-النموذج الاستعماري
110	8-3-النموذج المختلط
111	9-التجهيزات و المرافق بالمدينة العتيقة
111	9-1-التجهيزات العسكرية
111	9-2-التجهيزات الإدارية و الخدمية
112	9-3-التجهيزات المالية
112	9-4-التجهيزات التعليمية
112	9-5-التجهيزات الثقافية و الرياضية
112	9-6-التجهيزات الدينية و الروحية
115-112	9-7-التجهيزات الصحية
	المبحث الثاني: تقديم حي السوق القديم
115	1-الموقع
116	2-التشخيص العمراني لحي السوق
117	3-مشاكل الأنماط السكنية المختلفة
118	3-1-تناقص الكثافة السكنية و ارتفاع المباني
120-119	3-2-تدهور حالة الطرق
121	4-التشخيص البيئي الأولي بحي السوق
121	أ-التلوث الهوائي
121	ب-التلوث بالفضلات الصلبة
121	ج-التلوث المائي
121	د-التلوث الضوضائي
121	هـ-التلوث البصري
122	و-تلوث المواد الغذائية
122	5-مظاهر التلوث بالمدينة العتيقة (حي السوق)
122	5-1-مظاهر التلوث الهوائي
126-123	5-2-مظاهر التلوث المائي
128-127	5-3-مظاهر التلوث بالنفايات الصلبة
129	5-4-مظاهر التلوث بالضوضاء

133-130	5-5-مظاهر التلوث البصري
134	5-6-مظاهر التلوث الغذائي
136-135	5-7-مظاهر التلوث الأخلاقي
160-137	المبحث الثالث: نتائج تفريغ الاستثمار الموجهة للسكان
161	خلاصة
	الفصل السادس: توصيات و اقتراحات
162	تمهيد
	المبحث الأول: توصيات و اقتراحات
163	أولاً: على مستوى الأنسجة العمرانية العتيقة
163	1-على مستوى تطبيق مؤشرات البيئة الحضرية من الجانب الاجتماعي
163	2-على مستوى تطبيق مؤشرات البيئة الحضرية من الجانب العمراني
164	3-على مستوى تطبيق مؤشرات البيئة الحضرية من الجانب البيئي
165	4-على مستوى تطبيق مؤشرات البيئة الحضرية من الجانب الاقتصادي
165	ثانياً: على مستوى المنطقة السكنية
165	1-على مستوى تطبيق مؤشرات البيئة الحضرية من الجانب الاجتماعي
166	2-على مستوى تطبيق مؤشرات البيئة الحضرية من الجانب العمراني
168-167	3-على مستوى تطبيق مؤشرات البيئة الحضرية من الجانب البيئي
169	4-على مستوى تطبيق مؤشرات البيئة الحضرية من الجانب الاقتصادي
175-170	المبحث الثاني: عمليات التدخل على الحي
	خلاصة
176	خاتمة عامة

فهرس الجداول		
رقم الجدول	عنوان الجدول	الصفحة
01	مقارنة بين تاريخ المدينة العتيقة و المدينة العربية القديمة	27
02	مقارنة بين التنمية المستدامة في العالم و الجزائر	48
03	عدد سكان المدينة العتيقة قسنطينة من 1966-2008	104
04	القطاعات الجزئية (التجارية) للصخرة	106
05	مميزات الأنماط السكنية بالمدينة العتيقة قسنطينة	111
06	مجموع السكنات و المساكن بالسوقية و نسبتها من منطقة الصخرة	117
07	المشاكل المناخية و الطبيعية للأنماط السكنية بالحي العتيق	118
08	توزيع أفراد العينة حسب السن	137
09	الحالة الاجتماعية لأفراد العينة	137
10	المستوى التعليمي لأفراد العينة	138
11	الحالة العملية	138
12	المستوى المهني لأفراد العينة	139
13	إمكانية وجود أولاد متزوجين مقيمين مع أوليائهم في مسكن واحد	139
14	العلاقة الرابطة بين الجيران	140
15	أماكن الألتقاء داخل الحي	140
16	الوضعية القانونية للمسكن	141
17	مدة الإقامة بالمسكن	141
18	عدد الغرف بالمسكن	142
19	تقييم الظروف السكنية	143
20	نتائج ما ينقص المسكن من عناصر	144
21	الحالة العمرانية للحي	144
22	ترتيب عناصر الحي وفق الإعجاب	145
23	الأشياء المضايقة بالحي	146
24	الرغبة في مغادرة الحي	147
25	أسباب مغادرة الحي	147
26	إذا ما كان الحي يتوفر على مواقف السيارات	148
27	من أين تقضي الأسرة حاجياتها	148
28	إذا ما كانت أرصفة للمشاة	149
29	حالة الطرق إذا كانت معبدة أم لا	149
30	ترتيب مضايقات السيارة للراجلين	150
31	الوسيلة المستعملة للتندفة	151
32	تسربات المياه القذرة بالممرات	152
33	سبب تسربات المياه القذرة بالممرات	152
34	مستوى النظافة بالحي	153
35	وجود عمال النظافة أم لا	153
36	أوقات تكاثر الفضلات بالحي	154
37	السبب الرئيسي في تكاثر الفضلات	154
38	ترتيب المزجات حسب أذيتها للحي	155
39	شدة الضوضاء التي تصل إلى المسكن	156
40	الأشياء التي تنقص المساكن حتى تكون جميلة المنظر	157
41	المتسببون في التجارة الفوضوية للحوم و المأكولات	157
42	ترتيب السلوكات اللاأخلاقية المنتشرة بالحي	158
43	المتسببون في الأخلاقيات و السلوكات الجطيرة	159
44	إذا ما كانت لجنة بالحي أم لا	160

فهرس الصور		
رقم الصورة	عنوان الصورة	الصفحة
01	قصر غرداية بمبانيه المتراسة و مسجده المهيمن	62
02	ترميم المباني التراثية	80
03	ترميم و إعادة تأهيل للمباني التراثية أمام القلعة	81
04	واجهة القلعة الشمالية	81
05	النفق الشمالي و الجسور المعدنية	82
06	ترميم المباني التراثية و تبليط الأرضيات و إقامة الأدرج	82
09-08-07	أعمال الترميم داخل القلعة	83
10	الشارع المؤدي إلى مدخل القلعة الرئيسي ياتجاه القلعة	84
12-11	استخدام جوانب الشوارع الضيقة كمواقف للسيارات	86
13	هدم الأبنية و استخدام الأرض كمواقف للسيارات	87
17-16-15-14	المباني التراثية بمدينة الدريعة	92-91
18	صورة جوية لموقع الصخرة	101
20-19	نمط لمنزل تقليدي بحي السوقية	109
21	مظهر خارجي لنمط أوروبي(شارع زيغود يوسف)	109
22	النمط المختلط	110
23	صورة جوية لموقع حي السوقية	116
25-24	ارتفاع المباني بالسوقية	119
27-26	تدهور حالة الطرق نتيجة سيلان المياه و دخول السيارة إلى الممرات	120
29-28	التلوث بالمياه القذرة	124
30	انسداد المجاري البالوعات و بعض أسبابها	125
32-31	احتمال انسداد البالوعات و بعض أسبابها	126
34-33	بعض الأخطار المتوقعة نتيجة تسرب المياه بالممرات	126
36-35	تسرب فضلات الصرف الصحي بممرات السوقية	131
39-38-37	البيوت القصديرية تغزو حي السوقية و أكوام المزابل الفوسوية	132-131
41-40	تآكل تلبيس السقف و مواد بنائه	132
44-43-42	غياب الحدائق المنزلية و بروز مكانها نباتات و أشواك تشكل خطرا على السكان	133
45	التشققات الكبيرة بالمباني و خطرهما على المساكن	133
46	أهم مظاهر التلوث الغذائي كطرق عرض اللحوم و المأكولات السريعة	135
48-47	عملية التدخل على البناية	166
49	بناية قبل و بعد التدخل	167
50	القيام بعملية النظافة بحي السوقية	169

فهرس الخرائط		
الصفحة	عنوان الخريطة	رقم الخريطة
100	موقع الصخرة بمدينة قسنطينة	01
115	موقع حي السوقة بمدينة قسنطينة	02

فهرس المخططات		
الصفحة	عنوان المخطط	رقم المخطط
63	مكونات القصبة القديمة بالجزائر	01
90	موقد محافظة الدرية بالرياض	02
103	شبكة الطرق في الصخرة بمدينة قسنطينة	03

فهرس الأشكال		
رقم الشكل	عنوان الشكل	الصفحة
01	اندماج العناصر الثلاثة: الإجتماعية، الإقتصادية، البيئية شرط أساسي للإستدامة	39
02	توزيع أفراد العينة حسب السن	137
03	الحالة الإجتماعية لأفراد العينة	137
04	المستوى التعليمي لأفراد العينة	138
05	الحالة العملية	138
06	المستوى المهني لأفراد العينة	139
07	إمكانية وجود أولاد متزوجين مقيمين مع أوليائهم في مسكن واحد	139
08	العلاقة الرابطة بين الجيران	140
09	اماكن الالتقاء داخل الحي	140
10	الوضعية القانونية للمسكن	141
11	مدى الإقامة بالسكن	141
12	عدد الغرف بالمسكن	142
13	تقييم الظروف السكنية	143
14	نتائج ما ينقص المسكن من عناصر	144
15	الحالة العمرانية للحي	144
16	ترتيب عناصر الحي وفق الإعجاب	145
17	الأشياء المضايقة بالحي	146
18	الرغبة في مغادرة الحي	147
19	أسباب مغادرة الحي	147
20	إذا ما كان الحي يتوفر على مواقف السيارات	148
21	أين تقضي الأسرة حاجياتها	148
22	إذا ما كانت أرصفة للمشاة	149
23	حالة الطرق إذا ما كانت معبدة أو لا	149
24	ترتيب مضايقات السيارة للراجلين	150
25	الوسيلة المستعملة للتدفئة	151
26	تسربات المياه القذرة بالممرات	152
27	سبب تسرب المياه القذرة بالممرات	152
28	مستوى النظافة بالحي	153
29	وجود عمال النظافة أو لا	153
30	أوقات تكاثر الفضلات بالحي	154
31	السبب الرئيسي في تكاثر الفضلات	154
32	ترتيب المزعجات حسي أذيتها للحي	155
33	شدة الضوضاء التي تصل إلى المسكن	156
34	الأشياء التي تنقص المساكن حتى تكون جميلة المنظر	157
35	المتسببون في التجارة الفوضوية للحوم و المأكولات	157
36	ترتيب السلوكات اللاأخلاقية المنتشرة بالحي	158
37	المتسببون في الأخلاقيات و السلوكيات الخطيرة	159
38	إذا كانت لجنة بالحي أو لا	160

المقدمة العامة

إن تاريخ العالم بدأ مع اختراع الكتابة نحو عام 3500 ق.م.و هي الوسيلة الوحيدة لمعرفة ما كتب به البشر عن أنفسهم و حياتهم و حضاراتهم، و كانت كل حضارة تعتمد على مواردها الطبيعية و إبتكارات أهلها و لكنها اتصلت فيما بعد ببعضها البعض فأخذت الواحدة من الأخرى و أضافت لها.

و كان الإنسان في كل مرة يعيد ترتيب حياته في إطار إعتقاداته ووفقا لإمكانياته و ما جاءت به بيئته المحلية، و كان يتوق الى المغامرة و حب التسلط على بني جنسه لذلك كانت الحرب و الصيد هي حياة أفرادها، و في كل مرة يطول الصراع أو يتوقف بينهم فتسلب القوية منها أمن و أرض و خيارات الأقل قوة لذلك كان اجتماع السكان في المدن و بناء الأسوار و الحصون لمراقبة العدو و التصدي له كنتيجة حتمية لهذا الصراع القائم.

إن التفحص المتأن في هذه المسيرة يقودنا إلى تتبع أثار الإنسان عبر مختلف مراحلها و تلمس قيمة ما وصل إليه من إنتاج على مستوى البيئة المشيدة باختلاف ظروف ميلادها إذ تشكل إرثا معماريا و عمرانيا باعتباره الحضارة بكل سلبياتها و ايجابياتها.

و لا شك أن المدن العتيقة بالجزائر تنقسم مثيلاتها من الدول العربية و الغربية، لا سيما الأندلسية منها في بعض المميزات كأسس تخطيطها و اختيار مواقعها و تصميم أحيائها و مسالكها، نتيجة تلك الحقبة الموصوفة بالصراعات المحلية و الحروب الخارجية. و في الجزائر نجد مدن بالجنوب أو بصحرائها بعيدة عن الصراع العسكري أو الطائفي كقصور بني مزاب بغرداية، بالإضافة الى القصور المترامية بكل من وسط و شرق و غرب و بأطراف الصحراء الجزائرية و كقصة الجزائر و المدينة العتيقة بكل من قسنطينة و وهران و تلمسان و هي نويات لمدن عسكرية تركية لصد الهجمات الأوروبية المتكررة.

إن التركيب الداخلي و التكوين العمراني و المعماري للمدن العتيقة في شمال الجزائر أو جنوبها لا يكادان يختلفان، و ذلك راجع للعوامل التاريخية و الحضارية المشتركة التي كانت تحرص على الحجب و حفظ الحرمات و الدفاع عن الارض، لذلك جاء هذا التكوين الفيزيائي يتفق و الأسس الأمنية و السلوكية القوية.

و في السنوات الأخيرة تضاعفت المجهودات المختلفة، و بدأ هذا النوع من الأنسجة يشد الإهتمام في الكثير من الدول الغربية و العربية و يحظى بالدراسات المتنوعة، و لكن لم يتحقق أي شيء بالجزائر رغم المجهودات المحلية و الدولية المساندة مما تسبب في تراكم المشاكل و فشل المحاولات العديدة في بداية الطريق، كما هو الحال بالمدينة العتيقة قسنطينة التي حظيت بالكثير من الدراسات المحلية و الدولية كان آخر شيء إنشاء المخطط الرئيسي للمدينة بالتعاون مع الخبرة الإيطالية في حماية هذه المدن انتهت إلى تصنيفها كتراث عالمي سنة 2002 و لكن لا شيء في الميدان سوى بعض الأعمال النقطية بواجهات المباني و هذا ما نهدف اليه من خلال دراستنا و هو استدامة البيئة الحضرية داخل الأحياء القديمة .

الفصل التمهيدى

الإشكالية :

لقد مرت المدينة العتيقة في تطورها التاريخي بمراحل عديدة تفاوتت فيها نسبة النجاح و الفشل، و استمرت المدينة في العيش بين المد و الجزر و أهم ما تميزت به المدينة الأروبية هي عدم الأمن و الحروب الدينية و أنها ملاذ للفلاحين و التجار و الحرفيين لأن الجماعات البشرية قد بدأت تتحرر من التنظيم القبلي إلى التنظيم السكاني، و بذلك حق عليها إسم العمارة الإجتماعية بدلا من العمارة الفنية و في عصر النهضة انتقلت من المظهر الإجتماعي إلى العمل الهندسي و الفني.

و المدينة العربية العتيقة نجحت إلى أقصى الحدود لأنها قامت من أجل الإنسان و حرية و أمنه فكانت عبارة عن عمارة اجتماعية حيوية في معناها و اقتصادية في مظهرها، و فوق هذا كله هي عمارة بيئية تركز على الوقاية و الحماية من الأخطار على اختلافها الطبيعية و البشرية لتضمن السكنية و الراحة للإنسان في حركاته و سكناته.

غير أنها فقدت بعض المزايا و الخصوصيات تدريجيا نتيجة بعث فن العمارة و ابتعادها عن الأسس السابقة لاتصالها بالشعوب و الأمم المادية، ثم تعرضها للاستعمار فتعطل نموها تماما و أعاق تطورها و لما نالت استقلالها وجدت نفسها تابعة معماریا للدول الغربية التي ضيعت مكوناتها و حطمت قيمتها.

فقد وصلت بكل من حي القصبة بالجزائر و مدينة فاس المغربية من 1500-2000 ساكن في الهكتار بالإضافة إلى نقص الخدمات الصحية و تذبذب الخدمات الأساسية من ماء و صرف صحي.

أما بالجزائر فإن مدنها العتيقة تواجه اليوم العديد من التحديات التي وقفت عائقا في سبيل الارتقاء بالتراث و تسييره بطريقة تضمن ديمومته باعتباره الهوية الأصلية المحلية للمدينة، و تعتبر المدن القديمة أو التراث الحضري معلما تاريخيا و تراثا قوميا مما يعكس حضارة و رقي تلك المدينة في الماضي و الحاضر في مختلف الميادين الثقافية و الاجتماعية و تشهد على حضارة استطاعت أن تحقق التوازن بين الإنسان و بيئته.

كما تعتبر المدن القديمة مكسبا تاريخيا و حضاريا استطاع أن يبقى قائما في المكان و مستمر في الزمان و ذلك لأنه تجسيد مادي لمستوى فني راقى مزج بين الفن النفسي و الجمال المعماري و العمراني.

و من خلال ملاحظة المتجول للوهلة الأولى لأرجاء المدن العتيقة و مميزات نسيجها العمراني، و من بينها المدينة القديمة لقسنطينة يتبادر لديه أنها تلقائية و عشوائية و أنها لا تخضع لأي تخطيط و لا تمثل لأية إستراتيجية في التسيير و النمو و من هنا نتعجب لذكاء الإنسان في مغالبة الظروف المعيشية و الطبيعية القاسية، فكانت الحصيلة جملة من الإبداعات الخارقة و الرائعة في مجالات العمران و التنظيم الاجتماعي تشكل إرثا حضاريا مثيرا لفضول الدارسين و المختصين و السياح الذين يتوافدون من مختلف أنحاء العالم لاكتشاف هذا الإرث التاريخي.

و إن كانت أغلب المدن القديمة في العالم عرفت اهتماما كبيرا من طرف الهيئات المختلفة و السلطات المحلية، من أجل ترقيتها و إحيائها لتعيد قيمتها التاريخية و الوظيفية و تجدد لها حياتها و نشاطها الاقتصادي و الثقافي وذلك من خلال مشاريع لتهيئتها تمس كل المباني ذات القيمة الحضارية.

أما في الجزائر لم تحظى بالاهتمام الكافي و من بين المدن نجد مدينة قسنطينة القديمة التراثية تعاني تقهقر و تدهور في الإطار المبني بالرغم من أهميتها التاريخية على الصعيد الوطني و العالمي و من هنا يمكننا طرح السؤال الرئيسي:

كيف هو واقع البيئة الحضرية داخل الأنسجة العمرانية العتيقة ؟

و تحت هذا السؤال تدرج عدة تساؤلات ثانوية:

1-كيف ظهرت المدن العتيقة؟

2-ما المقصود بالبيئة الحضرية المستدامة؟

3-ما هي خصائص الأحياء العمرانية العتيقة و مشاكلها؟

4-كيف هي حالة البيئة الحضرية داخل الأحياء العمرانية العتيقة في العالم؟

5-إلى أي مدى يمكن تقييم البيئة المستدامة داخل أحياء مدينة قسنطينة العتيقة؟

6-ما هي الحلول و الاقتراحات؟

الفرضية الرئيسية:

تكمن إشكالية استدامة البيئة الحضرية داخل الأحياء العمرانية العتيقة في عدم القيام بدراسات عمرانية متخصصة تدمج بين البعد البيئي و الاجتماعي و الاقتصادي من أجل إيجاد حلول تتناسب مع خصوصيات المنطقة و تحقق تنمية مستدامة.

الفرضيات الجزئية:

1-ظهرت المدن العتيقة نتيجة لعوامل عديدة منها : مناخية ،استراتيجية ،عسكرية أو أمنية .

2-سميت بالبيئة الحضرية المستدامة تمييزا عن البيئة الريفية و تعني العلاقات الموجودة داخل المدينة بين مركباتها سواء طبيعية هو غير طبيعية و تأثيرها على الإنسان مع الأخذ بعين الاعتبار الأجيال القادمة.

3-الأحياء العمرانية العتيقة هي الأحياء التي ظهرت في حقب زمنية تاريخية متفاوتة و هي خاضعة من حيث هيكلتها و تخطيطها إلى ظروف الحياة في تلك الحقب سواء الهيكل العام أو تصميم المسكن أو مواد البناء و في الغالب لا تتماشى مع نمط الحياة الحديثة نظرا لتعدد متطلبات الحياة العصرية و كونها قديمة تتأثر بسهولة من الناحية التقنية و التصاق مبانيها وانعدام الفضاءات الشاغرة.

4-الأحياء العمرانية العتيقة في العالم تعاني أيضا من تدهور في حالة البنايات و نقص الاهتمام بها.

5-حالة البيئة الحضرية داخل أحياء قسنطينة العتيقة هي حالة مزرية جدا في ما يخص البنايات. الطرق.....

الهدف الرئيسي:

محاولة إيجاد حلول تسهم في تحسين مستوى البيئة الحضرية داخل الأنسجة العمرانية العتيقة في إطار التنمية المستدامة نظرا لتدهور البيئة الحضرية بالمدن والأحياء العتيقة .

الأهداف الجزئية :

-الحرص على المحافظة على الهوية الاجتماعية و الثقافية ذات الأصول العربية الإسلامية.

-محاولة فهم و اقتراح آليات تسيير الأنسجة العمرانية العتيقة.

-المحافظة على الطابع التقليدي.

-محاولة تحقيق مبادئ التنمية المستدامة.

أسباب اختيار الموضوع :

-هجر معظم السكان لمساكنهم نظرا لاكتظاظها و عدم توافق تصاميمها مع نمط الحياة العصرية و معاناة السكان الباقين منها.

-التدهور الذي مس الكيان المادي للمدينة العتيقة المتماسك نتيجة الاكتظاظ و الاعتداء على المخططات و هلاك مساكنها جراء التغيرات المستمرة في تركيبها و وظائفها.

-إهمال شبه كلي للأحياء العتيقة باعتباره موروث حضاري لا يقدر بثمن من طرف المستعملين و المسؤولين ببلادنا.

أسباب اختيار المدينة :

-مدينة عريقة وعاصمة الشرق الجزائري .

-ميدان تطبيقي للمشروع الحضري .

-ضرورة الحفاظ على التراث العمراني والمعماري لاسترجاع الهوية العمرانية للأحياء العتيقة واستدامتها .

أفاق البحث :

-توجيه الاهتمام إلى البحث العلمي في مجال التنمية المستدامة واستدامة البيئة الحضرية في المدينة الجزائرية ومحاولة توفير قاعدة بيانات لخدمة هذا النوع من الأبحاث لعدم توفرها.

صعوبات البحث:

-رغم توفر الدراسات والقراءات الأدبية لتغطية البحث نظريا إلى أن الصعوبة تمثلت في عدم وفرة المعلومات الخاصة بالميدان والتجاوب الضعيف من قبل المؤسسات الإدارية وتعاون السكان خاصة بالنسبة لاستعمال الاستمارة الموجهة للسكان .

مناهج الدراسة:

إن طبيعة موضوع الدراسة و التي تدور حول إستدامة البيئة الحضرية داخل الأنسجة العمرانية العتيقة تفرض علينا إتباع المناهج التالية:

المنهج الوصفي:

و هو الذي بدوره يعتمد على جمع المعلومات و البيانات و الحقائق من الإطار المجالي للبحث ثم تحليلها و تفسيرها و استخلاص النتائج الخاصة بالبحث وفقا للفرضية البحثية باعتبار المنهج الوصفي يتكيف مع ظروف و الظواهر المتميزة بالتغير و عدم الإثبات، بالإضافة إلى أنها تتعامل كذلك مع الواقع الإجتماعي و بكل جزئياته و تحيط بكل أبعاده.

المنهج الإستقرائي:

الذي يعتمد على استعراض الدراسات النظرية لمعرفة الحقائق.

المنهج التطبيقي:

من خلال إجراء الدراسة التطبيقية و التحقيق الميداني.

أدوات ووسائل البحث :

1-جمع البيانات المستخدمة في الدراسة :

لا يوجد هناك فصل بين أدوات البحث العلمي التي تعتبر وسائل متكاملة لأداء دور أساسي في البحث و المتمثل في جمع البيانات بصفة موضوعية فلا يمكن في هذه المواضيع الإستغناء عن أي أداة من أدوات البحث الأساسية كالملاحظة و العينة و الإستمارة كما لا يمكن اكتمال دور أحدهما دون الأخرى و القيمة الموضوعية لنتائج البحث تعتمد على طبيعة التقنية و الأداة المستعملة في جمع البيانات انطلاقا من موضوع الدراسة و التي بدورها تستوجب الأدوات التالية:

2-الملاحظة:

إن الملاحظة التي اعتمدنا عليها في الملاحظة المباشرة و الواقعية و التي بدورها مكنتنا من إدراك و فهم و معرفة حقيقة الوضع و الحصول على معلومات عامة حول أنواع مظاهر التلوث المادي والمعنوي بحي السوق و الوقوف على بعض الظواهر مع تفسير النتائج وفق إمكانياتنا ووفق ما توصلنا إليه من دراسة نظرية ومن خلال الواقع الميداني.

3-المعاينة الميدانية:

قد اعتمدنا بشكل كبير على المعاينة الميدانية التي تعتمد على إعداد الجداول و الإحصائيات و الصور الفوتوغرافية و التي تعطي تشخيص واقعي لوضعية حي السوق بمدينة قسنطينة، بالإضافة إلى تحليل مختلف الوثائق المكتوبة، و خاصة بما يتعلق بدراسة التغيرات المدخلة من طرف السكان.

4- الإستمارة الخاصة بالسكان:

لقد صممت هذه الأداة بطريقة تناسب مجتمع البحث و تم طرح أسئلة الإستمارة عن طريق المقابلة المقننة، و هي أسئلة محددة و دقيقة تطرح بصورة مباشرة على المبحوثين و تسجل الإجابات لحظيا على الإستمارة و حاولنا قدر الإمكان فتح المجال و بحرية الحوار مع المبحوثين لجمع العديد من المعلومات و لتفادي الفهم الخاطي للأسئلة.

و تم بناء الإستمارة في صورتها النهائية في صورة 58 سؤالا و طرحت الأسئلة بأسلوب بسيط مراعاة لمستوى الوعي لدى فئات مجتمع البحث.

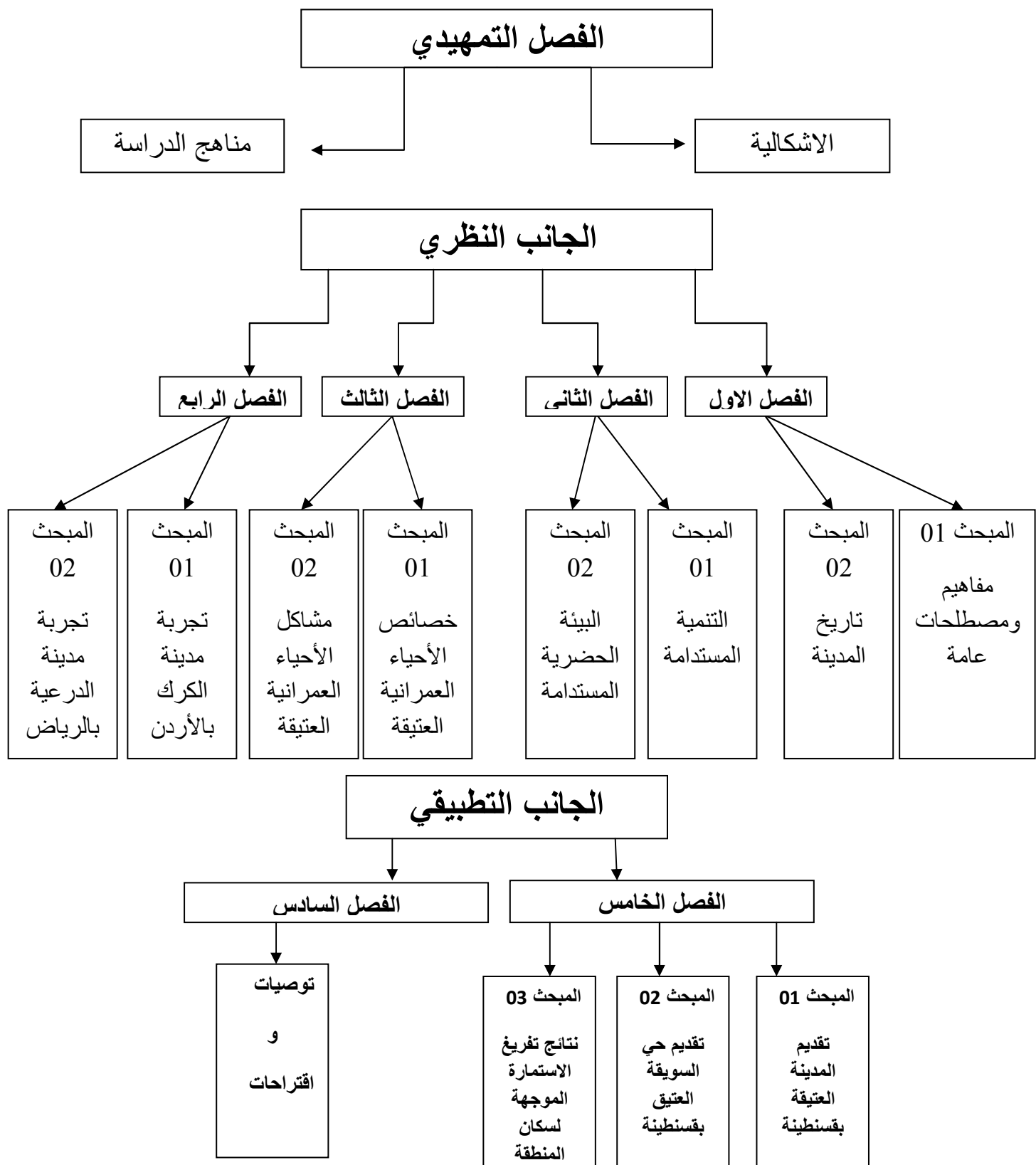
5-العينة:

إن نجاح أي دراسة ميدانية في أي بحث علمي او اجتماعي يتوقف بصورة عامة على الاختيار الدقيق للعينة الممثلة في مجتمع البحث ، ومن اجل ذلك قمنا بالعديد من الزيارات للمؤسسات ومقرات البلدية والولاية لجمع البيانات والمعلومات على المجال المدروس ، كما قمنا بدراسة استطلاعية لمجال البحث للتعرف على خصائصه وبذلك تمت عملية الاستطلاع على حي السويقة وتحديد مجتمع البحث باعتبار مجال الدراسة ينصب فقط على حي السويقة العليا حيث وضعنا قائمة تسلسلية للحي المختار مثلا : الحي به 500 مسكن من 1 إلى 500 وفي المرحلة الثانية تحديد حجم العينة باختيار نسبة 10 % أي $500/10*500=50$ مسكن بعد ذلك تم تحديد العينة العشوائية كما يلي :

3-2-1-.....500.

6- خطة البحث :

و يتم دراسة هذا الموضوع وفق الخطة التالية:



الفصل الأول

تمهيد الفصل

المبحث الأول : مفاهيم ومصطلحات عامة

المبحث الثاني : تاريخ المدينة

خلاصة الفصل

تمهيد:

إن التفحص المتأن في هذه المسيرة، يقودنا إلى تتبع أثار الإنسان عبر مختلف مراحلها و نلمس قيمة ما وصل إليه من إنتاج على مستوى المستوطنة البشرية باختلاف ظروف ميلادها إذ تشكل إرثا عمرانيا ومعماريا لا يمكن القفز عليه، باعتباره الحضارة بكل سلبياتها و ايجابياتها، و من ثم كان إلزاميا علينا النظر ببصيرة في ماهية الحضارات الأولى التي مهدت للمدينة بل أقامتها في عمرها الأول من التاريخ.

لذلك سنحاول التطرق إلى تاريخ المدينة العربية العتيقة خصوصا و بشكل عام بغرض معرفة خصائص كل منها و الوقوف على أهم محطات تطورها دون القفز على مختلف التحولات الحضرية المصاحبة لتلك التطورات.

1- مفهوم المدينة :

-هي رمز التعامل و العلاقات الوطيدة بين الناس، و العلاقات الودية بين العلم و الفن، الثقافة و الدين و هي مركز التبادلات و الملتقيات و مكان تواجد العمل و مقر السلطات و بفضل بنياتها و تحركاتها العمرانية تخلق قدرة ارتباطية.

-المدينة هي بمثابة نتاج أو محصلة ذات تفاعل ايكولوجي صادر عن فعل الإنسان و أثره العمراني في بيئته الطبيعية و تغيرها الدائم لأنماط حياته.

-المدينة هي عبارة عن مكان مأهول بالسكان ينشأ و يتطور على أساس الصناعة و المواصلات و تنفيذ المهام و الوظائف العلمية و الثقافية و الإدارية و الترفيهية ،و يتناسب هذا الأخير من حيث رقعته و تكوين سكانه و المرافق العامة و المتطلبات و الشروط التي تقررها تشريعات و قوانين تلك البلاد المعنية.¹

2- تعريف البيئة الحضرية:

هي إحدى وجوه البيئة المشيدة، وسميت بالبيئة الحضرية تمييزاً لها عن البيئة الريفية وتعني "دراسة العلاقات الموجودة داخل المدينة بين مركباتها، سواء أكانت طبيعية أو غير طبيعية حيوية أو غير حيوية، وتأثيرها على الإنسان و الحيوان، ومجال بحثها يضم أربع محاور أساسية:

-المحيط الحيوي الحضري.

-تأثير التلوث على المجتمع الإنساني والنباتي.

-تأثير العوامل غير الحيوية على المجتمعات الإنسانية.

-مناخ الحضري و الهيدرولوجية الحضرية.

وتتميز البيئة الحضرية عموماً بتطور وسائل النقل والاتصال وتحسين مستوى الخدمات مقارنة بالبيئة الريفية، أما الوجه الشاحب فيها فهو التفاوت الكبير في تنظيم الأحياء، وانخفاض مستوى البيئة نتيجة التلوث الصناعي، والتلوث الناتج عن وسائل النقل، والتكدس السكاني والسكاني وتدهور الحالة الصحية والاجتماعية، وتدهور وانعدام المساحات الخضراء، وخصوصاً في الأحياء العتيقة².

¹ حنان زاندي : تسيير المواقع الأثرية في منظور التنمية المستدامة.مذكرة تخرج لنيل شهادة مهندس دولة أم البواقي 2012.ص 10.

² عماد فوزي.إعادة تنظيم المركز الأروبي لمدينة قسنطينة.مذكرة تخرج علوم الكون و الأرض.1997.ص 15

3- تعريف الأنسجة العمرانية العتيقة:

بداية نشير إلى أن 'العتيق من كل شيء هو الرائع الكريم، والقديم من كل شيء والبيت العتيق الكعبة لقدمه. و الأنسجة العمرانية العتيقة تعني الأنسجة التي ظهرت في حقب زمنية تاريخية متفاوتة، وهي خاضعة من حيث هيكلتها وتخطيطها إلى ظروف الحياة في تلك الحقب، سواء كان في الهيكل العام لهذه الأنسجة أو طبيعة تصميم المسكن ومواد البناء، وفي الغالب هي لا تتماشى مع نمط الحياة الحديثة.

ونظرا لتعدد متطلبات الحياة العصرية وسهولة الحصول عليها فإن معظمها لا يمكن تحقيقه داخل الأنسجة العمرانية العتيقة لكونها قديمة وتتأثر بسهولة لضعفها من الناحية التقنية والتصاق مبانيها وانعدام فضاءات شاغرة، ولهذا أصبحت تنعت بالتخلف والفوضى بعدما كان يشار إليها بالبنان- كيف لا -وهي رمز من رموز العمارة المخبأة، و إحدى روافد الفن العربي الأصيل.

وقد سارت وفق تقاليد معمارية محلية، انتقلت عبر الأجيال في العصور السابقة وأصبحت تسمى بالطرز المحلية البسيطة أو التقليدية تمييزا لها عن الطرز المعمارية الأوروبية الضخمة والأمريكية الحديثة التي غزت العالم العربي والإسلامي وحلت محل الطرز التقليدية.

وقد كان تخطيطها جماعيا، حيث ترك فيها حرية البناء للأفراد، من دون التعدي على مبادئ التعمير العامة التي كان يحفظها كل فرد ويمارسها بدقة³.

4- تعريف التنمية المستدامة:

استعمل لأول مرة مصطلح التنمية المستدامة سنة 1987 من خلال تقرير "مستقبلنا للجميع" المعروف أكثر تحت اسم بروندت لاند (brandt land) الحامل لاسم الوزير الأول النرويجي والذي أعدته اللجنة الدولية للبيئة والتنمية " التنمية المستدامة هي تلبية حاجيات الأجيال الحالية دون المساس بإمكانية تلبية حاجيات الأجيال القادمة " وقد نشر في أكثر من عشرين لغة.

لقد لقي تقرير (brandt land) نجاحا ولفقت الفكرة الانتباه وهكذا تتحول التنمية المستدامة خلال التسعينات إلى مبدأ أساسي في تحديد جل السياسات العمومية على المستوى الوطني والدولي وقد كانت أساس عمل.

³ خيثر رايح: تجديد الاحياء القديمة،مذكرة لنيل شهادة مهندس دولة،جامعة المسيلة،2000،ص05

مؤتمر ريودي جانيرو سنة 1992 والمعروف باسم قمة الأرض من خلال المصادقة على جدول أعمال القرن (21) الذي أسس من الناحية النظرية مفهوم التنمية المستدامة التي تأخذ بعين الاعتبار الجانب البيئي الإنساني والتنموي وتأكيد صلة التكافل القائمة بين حماية البيئة و الإصلاح البيئي من جهة وبين التنمية والقضاء على الفقر من جهة أخرى.

كما اعتمدت أكبر المنظمات الاقتصادية الدولية هذا المفهوم وترجع إليه مثل المنظمة الدولية للتجارة التي تذكر التنمية المستدامة باعتبارها هدفا لا بد من الوصول إليه.

أما في 4 سبتمبر 2002 بقمة جوهانسبرج ثم التأكيد على مفهوم التنمية المستدامة والمصادقة على خطة عامة لدعم التنمية المستدامة للعالم في الألفية الجديدة.

يستشف من قرارات قمة ريو سنة " 1992 إن البشر هم محل اهتمام التنمية" وهذا أيضا ما أكدت عليه لجنة حقوق الإنسان للمفوضية العليا للأمم المتحدة في توصيتها ل 25 أبريل 2003 من خلال تأكيدها على العلاقة الموجودة بين حقوق الإنسان والبيئة والتنمية المستدامة⁴.

5- المخطط التوجيهي للتهيئة و التعمير:

ظهر بموجب القانون 29/90 المؤرخ في 1990/12/01م، المعدل و المتمم بالقانون 05/04 المؤرخ في 2004/08/14م المتعلق بالتهيئة و التعمير، كأداة للتخطيط المجالي و التسيير الحضري حيث أنه يحدد التوجهات الأساسية للتهيئة العمرانية لبلدية أو مجموعة بلديات، و يقترح تنسيق و انسجام المدينة على المدى القصير و المتوسط و توجيه و توقع تطورها على المدى البعيد و يضبط الصيغة المرجعية لمخطط شغل الأراضي (المادة 16 من القانون 29/90)، كما أنه يأخذ بعين الاعتبار جميع تصاميم التهيئة و مخططات التنمية⁵.

6- مخطط شغل الاراضي:

ظهر بموجب القانون 29/90 المؤرخ في 1990/12/01 تعتبر أداة حديثة للتخطيط المجالي و التحكم في التسيير الحضري، من أجل ضمان النوعية الحضرية و المعمارية للمدينة من أجل الاستجابة للمشاكل و الخيارات، يحتل الطابق الأخير في منظومة التخطيط العمراني في الجزائر، و يعتبر أداة قانونية نستطيع الاحتجاج بها أمام الأفراد أي تصلح للمعارضة كما أنه أداة جيدة للامركزية لاتخاذ القرار في تنظيم المجال بالنسبة للجماعات المحلية⁶.

⁴ بوفارة فاطمة. تسيير النفايات الصلبة و التنمية المستدامة. مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التهيئة الإقليمية. جامعة قسنطينة 2009. ص 48

⁵ الجريدة الرسمية: قانون 29/90 الصادر بتاريخ 1990/12/01 المتعلق بأدوات التهيئة و التعمير.

⁶ الجريدة الرسمية. نفس المصدر.

7- أنواع التدخلات في المجال الحضري:

❖ إعادة التنظير : La rénovation urbaine

مجموعة من الإجراءات و العمليات علي المدى القصير للمجال العمراني، يهدف الى تحسين ظروف الحياة و توظيف المجال السوسيو فيزيائي العمراني الموجود، و هذا على مستوى السكن و البنية القاعدية، النشاطات، التجهيزات...الخ.⁷

❖ إعادة التهيئة: La restructuration urbaine

هي البرمجة و التخطيط هي عملية تشمل كل التدخلات المطبقة في الفضاء السوسيو فيزيائي لأجل ضمان تنظيمه السير الحسن و كذا التهيئة كإعادة الاعتبار، التجديد، إعادة الهيكلة و التوسع الحضري ويحمل مفهوم التهيئة مدلولاً كبيراً لفهم كل الأعمال الضرورية لسياسة عمرانية هدفها المحافظة على المدينة ككائن حي موحد يتعايش فيه الجديد و القديم بصفة منسجمة و حركية دائمة ترتقي بها إلى مستويات ذات نوعية مقبولة و يعتمد هذا النوع من التدخل عنصرين أساسيين هدفهما التوجيه و مراقبة التوسع.⁸

❖ إعادة الاعتبار: la réhabilitation urbaine

هي عملية تقوم علي أساس تغيير مجموعة أنشأت أو تجهيزات قصد تزويدها بالشبكات الضرورية و التي تتمثل في الماء، الكهرباء و الغاز و نعني بهذه العملية تحسين ظروف السكن.⁹

❖ التحسين الحضري: amélioration urbaine

هي عملية تدخل علي نسيج حديث عشوائي أو غير عشوائي، جماعي أو فردي، كثيف أو مزود جزئياً بالشبكات أو أنها لتؤدي وظيفتها نفس العملية للجانب الاجتماعي و المجالي حيث يتم تحسين الظروف المعيشية للمستعملين، تهيئة سليمة للمساحات العمومية و يتطلب التحسين الذاتي للمساكن من خلال تحسين و إتمام الشبكات الضرورية مع بعض التصفيفات للبنىات عند الاقتضاء بالإضافة إلى إنشاء تجهيزات و خدمات بالنسبة لمجال المخصص للقطع الأرضية التي تقوم حمايتها ماعدا بعض الحالات المعينة و تستلزم هذه العملية تصفية العقارات ببنىات سكنية أو تجهيزات و يتم هذا بتحفيز السكان والتعاون مع الهيئة المعنية.¹⁰

⁷ رقية ابتسام. تدهور الأحياء القديمة و المناطق السكنية الحضرية. مذكرة لنيل شهادة مهندس دولة في تسيير التقنيات الحضرية 2012. ص 23

⁸ مزيان سمية. التجديد الحضري لإعادة الاعتبار للمراكز القديمة حالة مدينة أم البواقي. مذكرة لنيل شهادة ماستر 2013. ص 18

⁹ الدكتور التيجاني. التحضر و التهيئة العمرانية في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون (الجزائر)، 2002-02

¹⁰ مزيان سمية. مرجع سابق. ص 19

❖ الترميم: rénovation urbaine

هو مجموعة الأعمال التي تهدف إلى تحسين نوعية السكنات القديمة و ترقيةها في إطار السكن و التأثيث أو في إطار أعمال أخرى اشملى و أوسع و المقياس المستعمل غالبا و هو توفير أهم التجهيزات التي تتضمن راحة السكان (الحمامات، المراحيض، التدفئة).¹¹

❖ التكثيف العمراني: la densification urbaine

هي استهلاك للمجال وذلك من خلال استغلال الجيوب العمرانية الشاغرة الموجودة داخل النسيج العمراني و هي أيضا عملية رفع كثافة المباني و عدد الطوابق داخل النسيج العمراني و تهدف هذه العملية إلى استغلال المجال بطريقة فعالة لتلبية طلبات السكان المتنوعة.¹²

❖ إعادة الهيكلة: restructuration urbaine

هي عملية من العمليات العمرانية التي تمس الأحياء و القطاعات الحضرية و حتى المدينة ككل بهدف تحسين وظيفة النسيج العمراني و إعطائه صورة جديدة و حيوية متميزة لجميع وظائفه و تنظم هذه العملية مايلي:

- إعادة تأهيل الإطار المبني
- إعادة توزيع الكثافات السكنية و التنقل و الخدمات
- إقامة تجهيزات مهيكلة و إضافة خدمات لتشغيل الحي
- تحسين شبكة المواصلات للربط الجيد بين مختلف أجزاء المدينة.¹³

❖ التجديد الحضري: rénovation urbaine

هو من عملية من العمليات التدخل العمراني على الأنسجة العمرانية القائمة و هو يمس الأجزاء و المباني القديمة غير الملائمة و كذلك تحسين صورتها و تتم عملية التجديد بهدم المباني الغير اللائقة واسترجاع المساحات العقارية تم إعادة إنشاء مباني جديدة في نفس موضع البنايات القديمة.¹⁴

8- تعريف الاستدامة:

وهي مبدأ أساسي في عمليات الحفاظ على التراث العمراني من أجل ضمان استمرارية المواقع المحافظ عليها وتطويرها ولضمان تغطيتها لتكاليف صيانتها المستقبلية وعدم بقائها معتمدة على التدخل الخارجي، مع تشجيع عمليات الحفاظ الأخرى، ويتم تحقيق الاستدامة من خلال:

- تشجيع الطاقات البشرية وإيجاد مصادر مدرة للدخل عن طريق استخدام المواقع التي يتم الحفاظ عليها في تنمية المجتمع اقتصادياً وإمكانية إقامة المشاريع الصغيرة وتوفير أماكن للإنتاج والعرض

¹¹ العقون رمزي، الحفاظ على التراث العمراني لتحقيق التنمية المستدامة. مذكرة لنيل شهادة مهندس دولة. 2013. ص 32

¹² رقية ابتسام. مرجع سابق. ص 24

¹³ نفس المرجع. العقون رمزي. ص 41

¹⁴ رقية ابتسام. مرجع سابق. ص 23

والتسويق وتشجيع القطاع الخاص، بالإضافة إلى تشجيع مشاريع التنمية البشرية كالمكتبات ومواقع الشبكة المعلوماتية.

- زيادة الوعي المجتمعي بأهمية التراث الثقافي ونشر الأفكار المتعلقة بذلك من أجل تحقيق استمراريته وديمومتها.
- اعتماد برنامج تشغيلي كامل من حيث اختيار الوظيفة الملائمة التي تلبي حاجات المجتمع والناعبة من اختياره والتي تنسجم كذلك مع إمكانيات المكان.
- اعتماد إستراتيجية صيانة واضحة عن طريق اختيار مواد تمتاز بديمومتها وقدرتها على مقاومة العوامل المختلفة، واعتماد جزء من دخل مشاريع الحفاظ على التراث العمراني لأغراض الصيانة الدائمة لهذه المشاريع¹⁵.

9- التراث العمراني:

طبقاً لميثاق المحافظة على التراث العمراني في الدول العربية وتنميته (الأمانة العامة للهيئة العليا للسياحة، 2003)، فإنه يمكن تعريف التراث العمراني بأنه "كل ما شيده الإنسان من مدن وقرى وأحياء ومباني وحدائق ذات قيمة أثرية أو معمارية أو عمرانية أو اقتصادية أو تاريخية أو علمية أو ثقافية أو وظيفية"، ويتم تحديد هذا التراث تحت ثلاثة مستويات كما يلي:

أ- المباني التراثية:

وتشمل المباني ذات الأهمية التاريخية والأثرية والفنية والعلمية والاجتماعية بما فيها الزخارف والأثاث الثابت المرتبط بها والبيئة المرتبطة بها.

ب- مناطق التراث العمراني:

وتشمل المدن والقرى والأحياء ذات الأهمية التاريخية والأثرية والفنية والعلمية والاجتماعية بكل مكوناتها من نسيج عمراني وساحات عامة وطرق وأزقة وخدمات تحتية وغيرها.

ج- مواقع التراث العمراني:

وتشمل المباني المرتبطة ببيئة طبيعية متميزة على طبيعتها أو من صنع الإنسان¹⁶.

¹⁵ العايب عبد الرحمن. التحكم في الأداء الشامل للمؤسسة الاقتصادية. مذكرة لنيل شهادة دكتوراء علوم اقتصادية. جامعة سطيف 2011. ص. 30.

¹⁶ د. عبد الناصر بن عبد الرحمن الزهراني، جامعة الملك سعود، كلية السياحة و الآثار الرياض 2012. ص. 25.

10-تعريف التسيير:

- هي طريقة أو عملية إدارة و توجيه و تنظيم شيء في خلال الفترة التي يتكفل فيها المسير بالإدارة.
- ولقد اختلف المختصون في تعريف التسيير حسب اختصاصاتهم فمنهم من يرى:
- ✓ في الاقتصاد: هو مجموعة التقنيات التي تسمح لمقتصد المؤسسة أو مجموعة مؤسسات للحصول على تسيير جيد للأموال.
 - ✓ في المحاسبة: هو مجموعة عمليات محاسبة يقام بها في السنة المالية أو في فترة عمل المحاسب.
 - ✓ في المؤسسات: هو نظام إدارة المؤسسة تبعا لتقنيات متكاملة تسمى بتقنيات التسيير من أجل الخروج بأرباح.
 - ✓ في الإعلام الآلي: هو نظام معلوماتي يسمح للبرنامج بإدخال المعلومات و تجديدها و الدخول إليها.¹⁷

¹⁷ مطاطة هشام.تسيير الخدمات الحضرية حالة النقل الحضري سكيكدة.مذكرة لنيل شهادة مهندس دولة.أم البواقي جوان 2011.ص15

أولا : تاريخ المدينة العتيقة:

فالمدينة نشأت أول ما نشأت بالقرب من الأنهار الكبرى (النيل، دجلة والفرات والسند...) وقد كانت البذرة الأولى لها إقامة الطقوس الدينية التي تعتبر المغناطيس الجاذب للناس إليها لتسيير حياتها وقد صاحب الانتقال من القرية إلى المدينة تغييرات هامة أبرزها تحول الزعيم المحلي إلى ملك شامخ أضيفت إليه صفات الإلهية، وأنه لم يعد يستخدم جرأتها في دفع الأذى، بل ليحاول السيطرة على الإقطاعات والممالك المجاورة، واستطاع في كثير من الأحيان أن يزعزع السلطة ويهدد استقرارها.

وأن شكل المدينة يبدو جليا من الوحدة المتكاملة الأصلية (المعبد والقلعة و القرية أو الورشة والسوق) وقد أثر بدرجة كبيرة في تركيبها المادي وطرق تنظيمها، كما أثر أيضا على هاته الأخيرة الحكم الملكي المتميز باستعراض القوة وحب السيطرة فكان إنشاء نظام دقيق للتحصينات، هذه الأخيرة هي ميزة من ميزات المدينة التاريخية حتى القرن الثامن عشر.

وبالرغم من أن باكورة الحضارة أول ما ظهرت ببلاد ما بين النهرين ومصر القديمة إلا أن الأعمال الباهرة تركزت في المدينة الحرة الإغريقية كاثينا الديمقراطية بتشبيدها لبعض الخدمات بالمدينة كالجمباز والمصحة والمسرح، غير أنها أثبتت عجزها بشأن التبادل الثقافي الدينامي والاتحاد السياسي الفيدرالي وإهمال الوسائل الصحية.

وأن ما اشتهر به الرومان في تخطيط المدن هو تجسيد رموز القوة وحب السيطرة، فكانت المباني الضخمة والشوارع أيضا، بالإضافة إلى قهر الطبيعة لتتوافق مع تنظيم وتخطيط مدنها، فحق القول على تخطيط مدنها أنه ربيب الهندسة الضخمة وحب الاستعراض حيث جمعوا ما بين الوسائل التقنية الراقية والتخطيط الاجتماعي البدائي . وقد نتج عن ذلك اختناق في حركة المرور إلى حد لا يطاق، فبدلا من أن تسعى للوصول إلى نسبة معقولة بين كثافة حركة المرور وتخفيض شاغلي السكنات عملت روما على نقيض ذلك تماما بتشجيع الكثافة السكنية والسكانية، وذلك بشحن عمارتها ووحداتها الضخمة من المباني (جزر) بأعداد هائلة من السكان ، ومثل هذا الإجراء لا يخلو من أعمال المضاربة التي جعلت معظم سكانها يعيشون في مساكن غير مريحة وغير صحية ويدفعون إيجارات باهظة، وأصبحوا قساة القلب وحدا بهم إلى المطالبة بألوان من الترفيه تعوضهم عن هذه الحياة.

ويبدو بأن تطور المدينة الرومانية ونموها كان مرضيا إلى حد ما، فمدنها الواحدة تلو أخرى قد اتخذت من مجرد توسعها المادي والاقتصادي دليلا على رخائها وحضاراتها، و أن ما أوجدته روما من مهرجانات الإبادة كان لتعويض عما كان فيها من وجوه القصور؛ فعلى الرغم مما أصابها من التعفن

والانحلال فقد أخذت تنبت حياة جديدة، وعاصمة جديدة هي المدينة السماوية ورابطة حضرية جديدة هي زمرة القديسين وهنا النموذج الأصلي الخفي للمدينة الجديدة بتلك الفترة.

وتتكون المدينة اليونانية عموما من عناصر خمسة 1 وهي : المعبد ، وصالة الألعاب و الحمامات والأسواق المعلقة، والأغوار: وهي ساحة المناظرة و الخطابة، والمباني العامة، أما نواتها فتتكون من ثلاثة أقسام هي : الأكربولس : أي المدينة الأصلية ، و المدينة العليا citadel و الميناء . وأهم ما يميز مدنها هو الأعداد الكبيرة للسكان و الطبيعة الطبوغرافية المعقدة . وتتشابه المدينة الرومانية مع المدن اليونانية في تكوينها، إلا أنها تختلف عنها من حيث توطينها لكونها تخضع للموقع الاستراتيجي، و تتكون المدينة الرومانية أساسا من : الميدان الرئيس (الفوروم)، والمسرح الدائري، ويتركز في الميدان الرئيس المعبد و الأسواق و مراكز الحكم و الإدارة أما المدن الكبرى كروما فكانت ذات مخططات غير منتظمة يحتوي مركزها على مجموعة ميادين تصب على ساحاتها شوارع ثلاثية تلتقي مع بعضها عند رأس هذه الساحة.

وبعد سقوط الإمبراطورية الرومانية دخلت أوروبا في فترة العصور الوسطى هاته الأخيرة ساهمت فيه الرهينة بقسط كبير في تطور مدينتها ، و تمكنت من إنشاء 2500 مدينة خلال أربعة قرون وزيادة عدد السكان بنسبة تماثل الزيادة في أوروبا في القرن التاسع عشر، و قد كانت مدينة العصور الوسطى الأوروبية منشأة جماعية هدفها الأساسي المعيشة طبقا للنهج المسيحي مما أثر هذا الهدف في الأنظمة والعادات وأوجد من وسائل المعونة - المستشفيات والملاجئ - ما لا يقوم أي دليل على وجودها في المدينيات الحضرية السابقة.

وباستثناء الكنيسة كانت النقابة أوسع ممثلي الحياة الاجتماعية انتشارا، وبسقوط مدينة العصور الوسطى سقطت معها النقابات التي ظهرت بظهورها فيما عدا الجامعة التي ازدادت أهميتها فقد قامت بأداء أهم الوظائف الأساسية للمدينة وهي استيعاب الثقافة ونشرها بتبادل المعرفة وتزويدها بالإضافات الخلاقة.

وإجمالا كانت مدن العصور الوسطى مجرد مستوطنات صغيرة تقع خارج أسوارها قلعة أو كنيسة نمت واتسعت، فتم بناء الأسوار حولها وازدحمت المدن بسبب الأسوار وانتصبت المباني متجاورة بصورة مكتظة واضطر السكان أن يبنوا بيوتهم في طوابق لأن الأرض كانت باهظة الثمن وكان العديد من المباني مؤلفة من خمسة أدوار أو ستة ، في حين أن الأثرياء منهم يملكون بيوتا من الحجارة والقرميد، وقد تعرضت مدنا كثيرة لحرائق أبادتها عن آخرها كونها مصنوعة من الخشب . أما الشوارع فضيقة ومتعرجة ومظلمة وقذرة، كما أنها لم تكن حتى القرن الثالث عشر الميلادي قد رصفت بعد، وكان

السكان يرمون كل نفاياتهم وقماماتهم في الشوارع، وانتشرت الأمراض بسرعة، فكانت بعض الخطوات لتحسين الصحة العامة.

كما أدت النقابات دورا مهما في إدارة المدينة بسن قوانين لحماية التجار والحرفيين والضغط على الملاك، أما عصور الوسطى الراقية (ما بين ق 11 و ق 13) فقد نشأت المدن على طول الطرق الرئيسية للتجارة وبرزت معظم المدن الباكورة قرب القلعة المحصنة أو الكنيسة أو الدير.

ويمكن القول أن تخطيط المدن في العصور الوسطى تميز بإحداثه لبعض الخدمات المبتكرة وخصوصا الوحدات السكنية الكبرى والخطة الحضرية المنعزلتين عن شبكة الأزقة والشوارع، وأيضا ظهور المنزل الحضري الذي من "مزاياه اهتمامه بالشؤون الصحية لكونه لازم الصفة الريفية، وبفضله أيضا توصلوا إلى تدبير أمر الزائدين من سكان المدينة فأنشئوا مراكز استقرار جديدة لهم وفي مواقع قريبة أحيانا، فكانت وحدات مستقلة مكتفية ذاتيا، كما أن نسقها كان عددا وفيرا من المدن الصغيرة والقرى التابعة لها على اتصال لا ينقطع بالمدن المجاورة لها والموزعة في أرجاء الإقليم على نطاق واسع، وهو ما يشبه ما كان يدعوا إليه الباحثين لمعالجة نمو المدن الحديثة الذي صار نموا مفرطا ويهدد الصحة العامة والروابط الاجتماعية والأهداف الإنسانية.

أما في عصر النهضة فقد بدأ التحرر من سيطرة الكنيسة ورجال الدين و تحرروا من القيود الفكرية فاتجهت أوروبا نحو تطورها . وقد أعاققت الحروب والكوارث الطبيعية تقدم أوروبا، وزادت في شقاء الناس بسبب مرض الطاعون الذي أودى بحياة ربع سكان أوروبا تقريبا في القرن الرابع عشر الميلادي، كما جلبت سنوات القحط القاسية والفيضانات الموت والمرض والمجاعة.

وخلال عصر النهضة، و ما بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر تحديدا تغير كل من شكل الحياة الحضرية ومشتملاتها تغيرا أساسيا وهذا بفعل النظامين الجديدين الاقتصادي والسياسي (الرأسمالية التجارية وسلطة مركزية مطلقة وأقلية حاكمة مستبدة)، وكذا ظهور إيديولوجيات جديدة تقوم على مسلمات تقرررت قبل ذلك بزمان طويل، فكان القفز من تخطيط العصور الوسطى إلى تخطيط عصر الباروك.

وأهم ما يميز المدينة الباروكية هو هبوط مستوى الصحة العامة والوسائل الصحية فيها، ويلوم على المهندس الباروكي إغفاله تكوين المدينة الاجتماعي، وتهديده لوظائفها الحضرية، فكان تضحيته بالطابع التاريخي للحياة القائمة من أجل الخطوط المستقيمة والشوارع العريضة لمرور العربات بلا عائق، ووضع المشتملات الحضرية في المقام الثاني بالنسبة للشكل الخارجي، أما الشيء الوحيد الذي يدعوا إلى الإعجاب فهو إنشائه وضعا مستقلا عن أغراض القصر متمثلا في فكرة ميدان المساكن.

وأن الرأسمالية التجارية في القرن الثامن عشر التي ترتب عنها هدم كيان الحياة الحضرية بأسرها وإقامتها على أساس جديد مجرد من الصلات الشخصية ومن كل معاني المسؤولية الاجتماعية ليرخص بذلك 'السكنى الضيقة' وبإقامة مساكن فقيرة متلاصقة مرتفعة الإيجار أدت إلى ظهور نوع جديد من التخطيط الشبكي التي لم تعد فيه وحدة الجوار أو الحي الوحدة الأساسية بل أصبحت قطعة الأرض المخصصة للبناء هذه الأخيرة تقدر قيمتها على أساس مساحتها المطلقة على الشارع، فكان من نتائجها إقامة مساكن لا يتوافر فيها إلا أقل قدر من الضوء والهواء. وإذا كانت المدينة التجارية قد اتسعت أفقياً في القرن التاسع عشر فإنها أخذت تتسع رأسياً في القرن العشرين بإقامة ناطحات السحاب، والجمع بين الأسلوبين للتوسع والتكديس هياً أوسع الفرص لجني الأرباح وإلى نعم سيئة للإسكان وإلى حياة اجتماعية منحلة زاهرة بأنواع العنف والجرائم وازدحام حركة المرور ازدحاماً شديداً كان من شأنه تخفيض سرعتها وتسمم الهواء وتلويثه، فلا عجب أن أدى كل ذلك إلى هجرة شاملة من المناطق الواقعة في وسط المدينة.

وقد أنشأ الرأسماليون ورجال الصناعة مدينة من طراز جديد والتي أطلق عليها تشارلس ديكنز اسم "مدينة الفحم الكوك" حيث أن حركة التصنيع أدى إلى انحطاط البيئة الحضرية، كما ساعد تركيز المصانع على نمو المدن وتضاعف عدد سكانها وصل حداً طاعياً، وساعدت أيضاً السكة الحديدية على تعميم بيئة المنجم وحملت إلى قلب المدن الضجيج والسنج والمناشآت الصناعية، ونظم الإسكان الوضيعة".

ونتيجة للظروف السيئة بالمدينة فقد هجرها الأثرياء بحثاً عن الراحة والأحوال الصحية والحرية وبذلك أطلق العنان لنمو الضواحي، مما ساعد على زيادة الفساد والظلم في المدن، وأصبح من الضروري توفير وسائل النقل السريع والذهاب إلى حد الإسراف في إنشاء الطرق وتعقدت مشاكل المرور وبدأ التفكير في علاج الازدحام بالمدن.

وقد ظهرت فيما بعد حركة مضادة للهجرة إلى الضواحي والاحتفاظ في الحواضر، وقد نادي أصحابها بضرورة أن يكون التطور الحضري أكثر توزعاً في وحدات صغيرة تستجيب للاتصال الإنساني المباشر وتتوافر فيها المزايا الحضرية والريفية، فنبتت مدينة الحقائق ذات نطاق محدود من حيث المساحة وعدد السكان وكثافتهم ومنظمة على أساس يكفل القيام بجميع الوظائف الجوهرية في مجتمع حضري من الصناعة والإدارة والتعليم ومزودة بعدد كاف من الحقائق العامة والخاصة لوقاية الصحة وبطابعها الجميل ، أطلق عليها إيبترر هوارد اسم المدينة الاجتماعية ، وأطلق عليها كلارنس ستين المدينة احتفاظاً بالبيئة حيث العمل الإقليمية، وذلك لتوحيد مواردها وللتزود بالمؤسسات التي لا يتيسر توافرها إلا للأعداد الكبيرة، غير أنه أخفقت مقترحات هوارد في وقف بل في تأخير العمليات التلقائية

التي تسير في مجراها في المدينة الغربية لأن هذه المدينة مازالت مندفعة بتأثير عامل القصور الذاتي لثلاثة قرون من التوسع في الأرض وفي السكان".

من خلال ما سبق يتضح أن مدن الحضارات القديمة طبقية، تتفق تقريبا في توزيع عناصرها المعمارية فالمعبد والقصر في قلب المدينة ومركز الاهتمام، ثم مساكن الأغنياء الواسعة والمنظمة على امتداد الطرق العامة وبعدها مساكن الطبقة المتوسطة الفقيرة المسلوقة الحقوق، وهو انعكاس لسيطرة رجال الدين والحاكم داخلها.

وأن المتتبع لتطور المدينتين الإغريقية والرومانية من الناحيتين المعمارية والحضارية سيلمس التناقض بين الغلاف المادي الكامل والنظام المدني الفاشل و الهزيل الروح؛ فروما التي كثيرا ما كانت مكوناتها تبعث على الاشمئزاز والانحطاط والظلم، فهي و من الناحية الجمالية آية في الوقار والجلال، والقضية نفسها بالمدينة الإغريقية فكما تفككت أواصر الحياة الداخلية فيها بدا المظهر الخارجي للمدينة أرفع بكثير من من حيث مستوى النظام والتماسك في الشكل.

ولعل أعظم ما أدته روما من الخدمات الممتازة لكل من الصحة العامة في المدينة وللأوضاع الحضرية كان الحمام العام، لكن ما كان في بدايته ضرورة صحية غدا عادة لملء فراغ كل يوم عطلة، كما أن نجاح روما في فتوحات السلب والنهب هو الذي أوجد فيها حياة التطفل البلدية التي تعتمد على الغير.

وأن أهم ما يميز المدينة العتيقة الأوروبية هو تجمع القلعة والهيكل في حرم خاص منعزل عن باقي المدينة، فقد كان للقلعة أثر في تركيز وتوسيع نطاق السلطتين الدينية والسياسية، وفي تنشيط الحياة الاقتصادية. وأن الحياة في العصور الوسطى تقوم على تملك الأراضي يحكمها سيد ذو نفوذ ويدافع عنها الفرسان ويزرعها الفلاحون وكان بيت السيد (الإقطاعي) قلعة حجرية قوية بنيت لأغراض دفاعية، وتوفر الحماية للفلاحين كما كانت الكنيسة مؤسسة مهمة آنذاك.

وعلى الرغم من حظي بعضها من جمال و ثراء، وما اتسم به تخطيطها من ابتكارات جليلة الشأن فهي لم تسلم من ظلم وعنف ومفاسد بغيضة، وأن أنجح المدن للانتقال من نظام العصور الوسطى إلى النظام الحديث هو تحقيقها الاتحاد دون استبداد أو خضوع لسلطة مركزية تفرض عليها أوضاعا تعسفية، هذه الأخيرة هي إحدى أهم أسباب انهيار حضارة القرون الوسطى.

وأن أهم ما يميز التخطيط الباروكي الذي استقر قبيل آخر القرن السابع عشر هو إنشائه لأحياء أو مدنا جديدة للأسر المالكة، وأيضا اهتمامهم بالحيش والأوراق المالية والبيروقراطية والبلاط، وقد ظل التخطيط الباروكي متبعا إلى القرن العشرين وخاصة في الحواضر الكبرى على الرغم من عدم تلاؤمه

مع أغراض ومهام المدن الحديثة، فهو يضحى بالمهام كلها في سبيل الأماكن الفضاء وروعة المواقع وحركة النقل.

وقد صمم معماريو العصور الوسطى الكاتدرائيات الضخمة للتأكيد على جلاله الله وعظمته، في حين صمم معماريو عصر النهضة المباني على مقياس أصغر كي يساعدوا الناس على إدراك إمكاناتهم ومكانتهم.

أما الرأسمالية التجارية في القرن الثامن عشر فقد أصبح شغلها الشاغل في المدن التجارية الثراء الفاحش وقد استجاب التخطيط الشبكي إلى مقتضيات النظام الرأسمالي من حيث سرعة التوسع وتضاعف السكان وارتفاع قيمة الأرض، وأن هذه المبادئ المادية كانت تفتقر إلى قدر كاف من الأماكن العامة الفضاء لإقامة حدائق عامة وساحات للألعاب كما تعجز عن أداء الخدمات الاجتماعية المستدامة.

ولعل أجل ما قدمته المدينة الصناعية من الخدمات كان تصحيح لما ارتكبه من أخطاء وأصبح الهدف الأول للتخطيط السليم هو أن تنعم المدينة من جديد بضوء الشمس والهواء الصحي والماء النقي والساحة الخضراء الطلقة، فكان هذا كرد فعل لنشوء مدينة الفحم الكوك وكان أبعد مدى في آثاره.

كما أن شدة الفرار إلى الضواحي أدت إلى إنشاء بيئات منحطة لا سبيل للفرار منها، غير أن الضاحية مهدت السبيل إلى نوع أرقى من التخطيط لم يتم بعد الإعراب عنه أو تحقيقه على وجه كامل في أي مكان بحيث تجد كل الوظائف الثابتة والدينامية للمدينة تعبيراً جديداً عنها، فضلاً عن ذلك انبثق من الضاحية نوع جديد من العمارة المترلية يطابق في طبيعته تكوينه الحياة القائمة في داخله والمنظر الطبيعي في خارجه.¹⁸

¹⁸ التنمية المستدامة من خلال المبادئ العمرانية للمدن العتيقة حالة مدينة بوسعادة. سعودي هجيرة. 2010، ص 84

ثانيا : تاريخ المدينة العربية العتيقة:

قبل التطرق للمدينة العربية العتيقة يجدر بنا الحديث أولا عن اشتقاق وتسمية المدن العتيقة العربية وغير العربية، فالمدن العتيقة قد اشتقت تسميتها من الحضارة التي أنتجتها، أو من الإيديولوجية التي تشربت أو نبعت منها، أو تدمج بين المكان المحتضن لها وزمن ظهورها، أو تجمع بين عنصرين أو أكثر منها كمكان الذي أنبتها مع الحضارة الراحية لها أو المفروضة عليها، فكانت مدينة الحضارات القديمة والمدينة الإسلامية ومدينة العصور الوسطى بأوروبا والمدينة الإسلامية بأوروبا و المدينة الاستعمارية الأوروبية بالدول العربية وغيرها، مع العلم أنه وفي كل حضارة من الحضارات أو قطر من الأقطار ظهرت مدينة أو طراز يميزها عن غيرها وقد يتفق معها حتى في أدق التفاصيل نتيجة الاحتكاك بين الأمم والثقافات وفي هذا الصدد يجب أن لا ننسى مدن الهند واليابان والصين ونسج مدنها التقليدية أو العتيقة فبحكم محدودية أماكنها لم تصل إلى العالمية وسنقتصر في هذه الدراسة عن المدينة العتيقة العربية فقط.

إن الزائر أو المتجول بالمدينة العربية التقليدية يلاحظ طرقها المتعرجة والملتوية وشوارعها الضيقة المظلمة ودروبها غير النافذة التي لا تسمح بالغرباء باجتيازها، كما يشد انتباهه ساحاتها المنتشرة والمكتظة بالباعة والمتجولين... ومساجدها الكثيرة الرائعة والمختلفة الأنواع والأشكال والتي تبدو للغريب والقريب والسهلة الوصول من كل نقاط المدينة ، وإجمالا يمكن تقسيم المدن العتيقة العربية إلى خمس مراحل أساسية تمثل أهم المحطات التاريخية وهي : المدينة العربية العتيقة قبل الإسلام ، المدينة العربية الإسلامية، المدينة العربية العتيقة بعد سقوط الدولة الإسلامية، المدينة العربية العتيقة في الفترة العثمانية والمدينة العتيقة العربية أثناء الاستعمار¹⁹.

1- المدينة العربية العتيقة قبل الإسلام:

قبل الإسلام لم تظهر سوى بعض القرى والمدن الصغيرة المحصنة لم ترق إلى مستوى المدن كونها كانت عبارة عن مستعمرات للإمبراطوريات الرومانية والفارسية والفينيقية، وفي كل مرة تدمر كلياً أو جزئياً ثم يعاد بناؤها من جديد، ورغم ذلك فقد وصلت شهرة البعض منها خارج الحدود لاسيما التي تقع على خطوط شبكة التجارة.

¹⁹ ناصر عزيز. دراسة عمرانية لمراكز المدن. جامعة المسيلة. 1999. ص 45

وما يميز تخطيط مدنها هو تحصينها الذي كان في أغلبه طبيعياً يتخذ له المناطق المرتفعة أو الوديان أو المنحدرات لتسهيل الدفاع عنها . أما التي تقع عمق الصحراء أو على الأطراف والتي لم تصل إليها يد الاستعمار كالمدينة (يثرب)، فقد كانت عبارة عن مزيج من العرب واليهود تتخذ بعض الدور والخيام وأن تحصينها كان طبيعياً يضاف إليه الأطم للاحتماء في أوقات الحرب.

وقد كان للعرب آنذاك " شواهد وأدلة على تطور الحضارة وغناها التقني والفني نذكر منها القصور والقلاع كالقصور التي وجدت بمدينة إرم ذات العماد البائدة حيث كانت تجمع بين الجمال والفن والزخرفة و أيضاً سد مأرب العظيم، وكذا قصر غمدان الذي شيده الحميريون في الجنوب الشرقي من صنعاء، وقد وصفه الهمداني أشبه بقلعة يحتمي بها القوم عند غزوات البدو، ويتكون من عشرة طوابق كأول ناطحة سحاب في العالم ... وقد حافظ أهل جنوب الجزيرة على طراز بيوتهم القديمة العالية إلى يومنا هذا بحيث لا يزالون يبنون أبنية شامخة بعدة طوابق بمهارة... دون حديد أو خرسانة" .

2- المدن العربية العتيقة في الإسلام:

في بداية الإسلام كان الأساس هو جمع القبائل المتفرقة من الشعاب والوديان في خطط خاصة، وقد استطاع الفاتحون المسلمون بناء بعض الأمصار والمدن العسكرية وسرعان ما طبعت بالصبغة المدنية . وفي هذه الفترة يمكن تمييز نوعين من المدن:

أ- مدن كانت قائمة ودخلها الفاتحون المسلمون:

وعلى عكس ممن دخلوها قبلهم أو بعدهم لم يمسها تخريب أو تدمير أو نهب أو سلب، بل ساهموا في تطويرها وإصلاح وترميم بعض منشآتها وجعلها صالحة لأغراضهم (كالحصون الرومانية)، و إدخال عناصر جديدة غير معروفة كالمسجد والمدارس والحمامات إليها، لتسهيل الاتصال بالرعية وضمان الصحة لهم.

ب- مدن جديدة:

أنشئت كأماكن إقامة الأمير وحاشيته وجنده نمت وتطورت ونافست المدينة الأصلية، أو كمعسكرات يربط فيها الجنود الفاتحون محاذية للمدن المفتوحة أو بمواجهة العدو (الثغور) لمراقبة تحركاته ومنطلق للإغارة عليه روعي في توطينها مقاييس دقيقة تؤمن حاجيات الجند وأسرهم وتلائم مع البيئة الصحراوية ومناخها الصحي الجاف ولا تحيد عن القصد من إنشائها وهو الجهاد والفتح، فكان الابتعاد عن البذخ والترف التي تتسم به حياة المدن، وهي بذلك عبارة معسكرات متنقلة تبنى من القصب ثم تطورت إلى البناء باللبن بعد تعرضها للحريق، فما لبثت أن استقرت وصارت مدناً وأمصاراً .

ومن أشهرها البصرة والكوفة ووسط والقيروان .بالإضافة إلى ذلك بعض المدن ذات الصبغة الدينية نمت بجوار صومعة للتعبد أو محاذة لقبر ولي صالح كالكاظمية.

ومن المدن المهمة آنذاك تخطيط مدينة دار السلام لجعفر المنصور التي تختلف عن غيرها"بشكلها الدائري وصارت كحصن ضخم فيه جميع المرافق وأسباب العيش في حالتها الحرب والسلام وهي بذلك من أحسن المدن في زمانها وأعجبها عمارة وهندسة وفخامة وضخامة . "ولا تقل مدينة سامراء للمعتصم في هندسة المدن وتخطيطها وفنها المتميز عن بغداد، والتي فيها كثيرا من الابتكارات كتخطيط الشوارع وتنسيق الأبنية الخاصة والعامة والأسواق والمتاجر والمساجد والحدائق والبرك وغيرها.

أما العمارة، وفي بداية الإسلام لم يكن الاهتمام بالفن المعماري وغيره، فالمنازل إن وجدت أغلبها بسيط تقي من الحر والبرد، وبقيت العمارة محافظة على الهدي النبوي في عهد الخلفاء الراشدين لاسيما في خلافة عمر بن الخطاب، وبسقوط الخلافة الراشدة، كان الاتجاه نحو حياة الملوك والشهرة، فكان ذلك مناخا مناسباً لبعث فنون العمارة.

فالطراز الأموي في بدايته اقتبس أساليب العمارة الهلنستية والمسيحية الشرقية(البيزنطية) الموجودة بسوريا والشرق الأدنى وأخذوا يطورونها حسب مقاصدهم...ومن الامتزاج هذا ظهر طراز بديع كقبة الصخرة والمسجد الأقصى والجامع الأموي بدمشق فانتشر في جميع الربوع الإسلامية وبقي سائدا في المغرب العربي وإسبانيا بعد زوال ملك بني أمية.

وعندما تولى بني العباس الخلافة ظهر طراز جديد تأثر بالأساليب الفنية الموروثة عن البابليين والآشوريين، وأيضا بالفن الإغريقي، وقد نقلوا أساليب عمارتهم على ربوع الخلافة الإسلامية ومن أشهرها ما يميز سامراء الملوية وبغداد وأيضا العصر الطولوني بمصر وجامع القيروان بتونس²⁰.

3- المدينة العربية العتيقة بعد سقوط الخلافة الإسلامية:

بسقوط الخلافة العباسية استقلت الأقاليم عن بغداد، وبرز في كل قطر صور وأساليب معمارية جديدة ولكنها متشربة من الروح الإسلامية الأصيلة، أما بدول المغرب فقد تناوبت عدة دول وقبائل وأسر الحكم فمن الأغلبية المواليون لبني العباس إلى الفاطميين الخوارج، إلى الزياريين فالحماديون، والمرابطون ثم الموحيدين وانتهى بتقسيمها إلى ثلاث دويلات (المرينيون والزيانيون والحفصيين). وفي الشرق قام الطراز السلجوقي (بالعراق وإيران) على أنقاض الطراز العباسي وسرعان ما اكتسح المغول دولتهم.

²⁰ عماد فوزي. مرجع سابق. ص 23

ونتيجة لتبدل الأسر الحاكمة في البلاد العربية والإسلامية وانتقال السلطة من إقليم إلى آخر ومن بلد إلى آخر تطور فن العمارة العربية الإسلامية وتنوع تنوعاً مدهشاً في التفاصيل، ورغم ذلك ظل هذا الفن محافظاً على الأسس العامة له في جميع الأدوار التاريخية وشكل وحدة حضارية عربية إسلامية من أقصى المغرب العربي إلى أقصى بلاد فارس والهند.

ومن حيث الشكل هناك نوعين من المدن العتيقة فالأولى ذات الشكل الدائري التي تتميز بالعديد من المزايا كسهولة الدفاع عن المدينة والاقتصاد في بناء الأسوار مقارنة بالشكل المستطيل أو المربع وكذا المحافظة على مسافة مماثلة بين المركز وباقي النقاط من المدينة، أما الشكل الشطرنجي فقد كان سائد بالحضارات القديمة وقد ظهر لأسباب عسكرية ثم نقل إلى الدول العربية عند احتلالها²¹.

4- المدن العربية العتيقة في الفترة العثمانية:

ظهرت الإمبراطورية العثمانية وسيطرت على معظم أوروبا و الدول العربية .و بالرغم من القوة العسكرية التي تمتعت بها الإمبراطورية العثمانية وشساعة أراضيها . وطول مكوثهم بالديار العربية ، لم تتل العمارة ولا العمران بالدول العربية حظها فقد غابت المباني المدنية وغاب معها العمران والعمارة فيما عدا بعد بعض المباني الدينية أو القصور الأميرية ومباني الأثرياء وهي ذات حقائق رائعة وأيضاً اشتهارهم بالمنشآت العسكرية من تحصينات وقلاع وأسوار التي أبدع فيها الأتراك هندسة وفناً.

ورغم ما بناه العثمانيون من مدن قليلة بالوطن العربي، فقد حرموا السكان من التطلع ولم يعدلوا بين الفئتين التركية والعربية، وحتى بين العرب والجاليات الأخرى من مسيحيون ويهود وأندلسيون فقد فضلهم على العرب المسلمون، وأيضاً شجعوا المذهب الحنفي على المذاهب الإسلامية الأخرى على الرغم من قلة سكان هذا المذهب .

5- المدينة العربية العتيقة في الفترة الاستعمارية:

عانت المدن العربية كثيراً أثناء الاستعمار، فبالإضافة إلى ما تعرضت له من تدمير وحرق، فقد مسخت مسخاً وغيّرت معالمها وتراثها واستبدلت بهجين النمط الغربي والعربي مع فكر غربي مهيم، فالأحياء العربية العريقة تدمر وتهدم لتعوض بأحياء استعمارية تتوازي فيها الشوارع وتتعمد قصد القضاء على المقاومة والتمرد، وحتى تتمكن من سلب الحياة الاجتماعية والروحية والاقتصادية والثقافية للسكان جهزت أحياء المستوطنين بخدمات وأسواق ومدارس راقية تحولت مراكز المدن إليها تلقائياً، ولم تنبثق

²¹ ناصر عزيز. مرجع سابق. ص 52

بالأحياء العربية سوى بعض الخصوصيات الاجتماعية والدينية التي بقيت متلازمة مع أساليب البناء التقليدية الغنية بالفن المعماري والعربي الأصيل.

فالمعمار بالجزائر مثلا قد مر في عهد الاستعمار بثلاثة مراحل، عرفت خلالها ثلاثة من أشهر الأنماط المعمارية وهي: نمط المنتصر، ونمط الوصاية، والنمط العصري.

أ- نمط المنتصر:

كان النقل المباشر للعمارة النيوكلاسيكية والإكليتيكية بعد تهديم معالم الهندسة المعمارية الإسلامية، وأصبحت لا يذكر إلا ماضيها، ووضعت حاضرها في المتاحف، وغلقت الأبواب أمام مستقبلها، كبنك بجاية الذي تحول من التعامل بالحلال إلى القرض الربوي، ومثلها ثكنة الهندسة العسكرية التي كانت بالأمس رمز الجهاد أين يربط الجيش الإسلامي للدفاع عن الدين والوطن.

ب- نمط الوصي:

وفيها اهتم بالشكل دون المضمون، وكثر الاهتمام بالعمارة العتيقة والحفاظ عليها واستطاعوا أن ينتجوا نمطا عرف بـ"الأرابزنس"، وهو الجمع بين الأشكال المعمارية الإسلامية ومضمونا وظيفيا غير مناسب من خلال شحن العناصر الإنشائية بمعاني غريبة كاستعمال الأشكال المعمارية للمساجد التي حملت كل معاني الطهر والنظافة العينية والمعنوية لبناء مؤسسات تتعامل بالربا المحرم وهو مشروع يرمي إلى طمس المعاني الأصيلة وتحريفها بنشرها واستعمالها في أي موضع.

ج- النمط المعاصر:

وفيه رجع الغرب إلى النقل المباشر لعمارته المعاصرة، مثل أفكار بيرري (Perret) ولوكوربوزييه (le courbusier).²²

²² حنان زاندي. مرجع سابق. ص 56

جدول رقم(1) : مقارنة بين تاريخ المدينة العتيقة و المدينة العربية العتيقة

المدينة العربية العتيقة	المدينة العتيقة
<ul style="list-style-type: none"> - طرق متعرجة و ملتوية و شوارعها ضيقة و مظلمة و دروبها غير النافذة التي لا تسمح للغرباء باجتيازها. - ساحات منتشرة و مكتظة بالباعة و المتجولين. - مساجد كثيرة و رائعة مختلفة الأنواع و الأشكال. - مرت المدن العربية العتيقة ب 5 مراحل: ا- المدينة العربية العتيقة قبل الاسلام:تخطيط مدنها كان في أغلبه طبيعيا يتخذ له المناطق المرتفعة و الوديان لتسهيل الدفاع.كانت تجمع بين الجمال و الفن و الزخرفة. ب- المدينة العربية العتيقة في الإسلام: استطاع الفاتحون المسلمون بناء بعض المدن العسكرية و سرعان ما تحولت إلى مدينة و تتميز بوجود نوعين:مدن فتحها المسلمون و مدن جديدة. ج- المدينة العربية العتيقة بعد سقوط الخلافة الإسلامية: تطور فن العمارة و تنوع تنوعا مدهشا و ظهرت نوعين من المدن ذات شكل دائري و الشطرنجي. د- المدن العربية في الفترة العثمانية: لم تتل العمارة و العمران حظها فقد غابت المباني و غاب العمران ما عدا بعض المباني الدينية و القصور الأمراء و الأثرياء فالعثمانيون حرموا السكان من التطلع على ما بنوه و لم يعدلوا بين الأتراك و العرب. هـ- المدينة العربية العتيقة في الفترة الاستعمارية:تعرضت المدن العتيقة للحرق و التدمير تهدم و تعوض بأحياء استعمارية ففي الجزائر مرت ب 3 مراحل:نمط المنتصر،نمط الوصي، نمط المعاصر. 	<ul style="list-style-type: none"> - نشأت بالقرب من الأنهار و الجبال و المناطق العالية. - تتكون من معبد، قلعة، سوق، ورشة، قرية. - تتميز باستعراض القوة و حب السيطرة. - أول ما ظهرت الحضارة في بلاد ما النهرين و مصر القديمة. - المدينة الرومانية اهتمت بتجسيد رموز القوة و حب السيطرة(مباني ضخمة و شوارع كبيرة). - هندسة ضخمة (جمعوا بين الوسائل التقنية الراقية و التخطيط الاجتماعي البدائي) - المدينة اليونانية(معبد،حمام،سوق،أغوار) - تتميز مدنها بعدد كبير من السكان و طبيعة طبوغرافية معقدة. - تتشابه مع المدينة الرومانية في تكوينها و تختلف في توطيئها. - مدن العصور الوسطى عبارة عن منشأة جماعية هدفها الأساسي المعيشة طبقا للنهج المسيحي. -شوارع ضيقة و متعرجة و مظلمة و قذرة و انتشار الأمراض. - مدن الحضارات القديمة طبقية تتفق تقريبا في توزيع عناصرها المعمارية فالمعبد و القصر في قلب المدينة و مركز الاهتمام ثم مساكن الأغنياء الواسعة و المنظمة على امتداد الطرق العامة و بعدها مساكن الطبقة المتوسطة الفقيرة المسلوقة الحقوق و هو انعكاس لسيطرة رجال الدين و الحاكم.

المصدر:إنجاز الطالبة 2014

خلاصة:

قد تمكنت المدينة العربية القديمة في ظل الحضارة الإسلامية و بامتياز من تشكيل منتج بسيط للغاية في أسلوب و تقنيات البناء و كان نموذجا حيا للتطور الحضاري و يرقى بالجانب الإنساني لمدينة، و هو بذلك أول منتج يراعي الإنسان و يحاول حفظ قيمه و يستجيب لتطلعاته و أمانيه، حيث ضمنت الدول العربية العتيقة و طيلة قرون عديدة التكيف مع المناخ و الطبيعة بإبداعها لمناخ محلي يضمن الراحة الحرارية و يصفى الراحة البصرية و يستجيب و يتطلع نحو الراحة النفسية بأسلوب راقى و ذكي، وهو بذلك يبتعد من خطر الأعداء و يحمي الصحة و يرفعها وفق تشكيلات مادية لعناصرها، ودقيقة في توزيعها، و محكمة بنمطها و قوانينها، فكانت تستجيب للخصوصية و تتعايش مع اجتماع الأفراد و لقائهم و فوق كل هذا فهي مكتفية ذاتيا تعتمد على نفسها في غذائها و توفر ما ينقصها بالتبادل و التجارة ممن يحيط بها من التجمعات و الدول.

الفصل الثاني

تمهيد الفصل

المبحث الأول : التنمية المستدامة

المبحث الثاني : البيئة الحضرية المستدامة

خلاصة الفصل

تمهيد:

إن الثورة الصناعية وما تلاها من تقدم في التقنيات أفرزت مخلفات تعددت أشكالها وتباينت أحجامها وتفاوتت سميتها، فضاقت الأرض ومجالها الحيوي، وتسلسل الخوف والرعب لمئات الملايين من البشر بسبب الأمراض والجائحات والمجاعة التي انتشرت وبدأت تفتك الأرواح وتؤدي العقول والنفوس فتعيق النمو والتطور، وصار الكل يسعى ويأمل في حلول تسهم في خفض الآثار والأضرار وتسير بالتنمية إلى الأمام، فكان العمل على ترشيد الاستهلاك للموارد المتجددة ناهيك عن غير المتجددة منها التي تتطلب تعاملًا وتدابير وإجراءات أكثر دقة وأعظم حرصًا، يضاف إليها آداب وسلوكيات لا غنى عنها في سبيل النهوض بالتطور الدائم للشعوب.

من أجل ذلك، وإذا أردنا للمجتمع البشري "الاستمرار لمدة أطول فإننا بحاجة إلى تعلم أسلوب حياة يمكن دعم الحياة به وإعالتها واستمرارها، ولكي يحقق هذا الهدف يجب أن يتعلم كيف:

- يحدد حجم جماعته.

- يطور تكنولوجيات جديدة تمكنه من خفض مقادير النفايات التي تنتج عن ممارساته المختلفة إلى أقصى الحدود.

- يركز اعتماده على موارد متجددة.

1- تعريف التنمية المستدامة:

يعتبر مصطلح التنمية المستدامة حديث العهد رغم أنه طبق منذ القدم لاسيما بالمدينة الإسلامية، وقد ظهر هذا المصطلح بعد تردي الأوضاع البيئية بالعالم، وقد أدى الاستهلاك المتزايد للموارد الطبيعية إلى تفاقم التلوث وانتشاره في المدن الصناعية والنامية على السواء وبالأوساط الحضرية والريفية، فكثر معه المشاكل الاجتماعية وتدهورت الصحة وتضرر السكان والمباني. وفي هذه الظروف الصعبة توحدت الاهتمامات والرؤى حول توفير الظروف المناسبة للحياة داخل المسكن وخارجه، والوقوف ضد أصحاب المصانع وغيرهم ممن يتسببون بدرجة كبيرة في تلويث البيئة فكان الاتفاق بين المؤتمرين بعدم إغفال العنصرين البيئي والاجتماعي في عملية التخطيط للمدن بجانب العامل الاقتصادي، وهذا بعدما فشل التخطيط التقليدي في حل بعض مشاكل المدن، معلنين بذلك ميلاد مصطلح التنمية المستدامة أو المستمرة. ويعتبر مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة الإنسانية بمدينة استكهولم السويدية سنة 1972 أول مؤتمر يعنى بالبيئة، ليتوسع المفهوم بعد مؤتمر ريودي جانيرو 1992. أثمر بتوصيات أجندة.

"وقد برزت العديد من الجمعيات، الجماعات المحلية، والفاعلين في مجال البيئة وحماية المحيط، وسارت في طلبها 173 حكومة من بينها الجزائر التي صادقت على مختلف بنود الاتفاقية. وقد ترجم رسميا سنة 1987 في تقرير **BRUNDTLAND** في المؤتمر العالمي حول البيئة والتنمية. 1" وتشتمل التنمية المستدامة على فكرتين أساسيتين:

أولاهما: الحاجة إلى تهيئة الوضع من أجل المحافظة على مستوى حياة مرضي لجميع السكان.

وثانيهما: الحدود القصوى لسعة البيئة لتلبية الاحتياجات الأساسية والفرعية للحاضر والمستقبل توافق التطور التكنولوجي والأنظمة الاجتماعية، ولا تعتبر التنمية المستدامة مجرد فكرة بل هي قاعدة أساسية وجهود أفراد ومؤسسات لضمان نجاح السياسات الإستراتيجية وهذا المفهوم يأخذ بعين الاعتبار حاضر ومستقبل الإنسان وسلامة بيئته قبل أي اهتمامات أخرى التنموية التي تنتجها دولة معينة.

وهذا المفهوم يأخذ بعين الاعتبار حاضر ومستقبل الإنسان وسلامة بيئته قبل أي اهتمامات أخرى وبذلك يمكن اعتبار هذا التعريف بداية لعولمة التنمية المستدامة القابلة للاستمرار، فهو ينادي بالتنمية التي يتوازن ويتكافأ فيها الجانبين المادي والبيئي والقادرة على جعل تطور الإنسان دائما وكامل، وقد اندفعت الدول لهذا المسعى، وقامت بتعديل وتكييف أنظمتها وممارساتها لتتوافق معها؛ ولم يتخلف قطاع التعمير عن هذا الإصلاح، وراح يحاول لعله يجد بيئة عمرانية آمنة وصحية توازن بين احتياجات الإنسان المادية والمعنوية باستعمال أدواتها وأساليبها الجديدة للتحكم في التسيير التكاملي والإدارة الحضرية الرشيدة من أجل بلوغ خط الاستدامة بالمدن.

وتدل التنمية المستدامة على مفهوم تلبية احتياجات الإنسان من خلال التقدم الاجتماعي والاقتصادي والتقني والمحافظة على نظم وموارد الأرض الطبيعية وعدم هدرها عبر تطوير مؤسسات مستنيرة وبنى تحتية وإدارة ملائمة للمخاطر والتقلبات وعدم النقص في المعرفة والمعلومات بغية بلوغ المساواة في تقاسم الثروات بين الأجيال المتعاقبة وفي الجيل نفسه ودعماً لقدرة نظم الأرض الطبيعية في خدمة استمرارية الحياة على الأرض.

كما تعني كذلك الاستغلال المثالي لجميع المصادر البيئية والاجتماعية والاقتصادية للمستقبل البعيد مع التركيز على حياة أفضل ذات قيمة عالية لكل فرد من أفراد المجتمع الحاضر والمستقبل. وتعرفها لجنة التنمية المستدامة بالأمم المتحدة أنها تلبية الحاجيات الأساسية للسكان مع المحافظة على قدرة الأجيال المستقبلية لتلبية احتياجاتهم.

وقد حاولت التنمية المستدامة وبذلت جهود لجعل نقاط وصل بين الاقتصاد، البيئة، والحياة الاجتماعية بدلاً من الحلول التدريجية عندما كانت العناصر الثلاثة متباعدة¹.

2- السياق التاريخي لظهور التنمية المستدامة:

حتى نهاية السبعينات من القرن الماضي، كان الارتباط بين الرفاه الاجتماعي والسياسات الاقتصادية هو الشغل الشاغل لخبراء الاقتصاد السياسي وعلم الاجتماع لفترة طويلة. وقد عرفت السياسة الاقتصادية على أنها السعي الواعي من أجل تحقيق النمو مقاساً بنصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي. وقد نوقشت السياسة الاقتصادية كمسألة تتعلق بالاستغلال والاستخدام الأقصى للموارد الاقتصادية كأساس للرفع من معدلات النمو في الناتج المحلي الإجمالي وفي المؤشرات الجزئية الأخرى الاقتصادية والاجتماعية، متجاهلة بذلك الدور الذي تلعبه البيئة كوسط تنفذ فيه هذه السياسات الاقتصادية. والانفصال بين ما هو اقتصادي وما هو بيئي كان واضحاً في المناقشات المتعلقة بالبيئة.

وبحلول أواخر السبعينات والثمانينات طغت على المناقشة نظريات تنموية أكثر تقدماً. وكانت هذه النظريات تنطوي على وجهة نظر أكثر عمقا وشمولا بالنسبة للنمو والتنمية، وجرى تحليل اثر السياسات الاقتصادية على المسائل الاجتماعية والبيئية، مثل الفقر والتوزيع ضمن الجوانب الاجتماعية، ونضوب الموارد الاقتصادية والتلوث ضمن الجوانب البيئية.

¹ محمد رحمانى. مذكرة لنيل شهادة ليسانس في العلوم الاقتصادية. العولمة و اثارها على التنمية المستدامة 2007. ص39

إن توقعات البيئة العالمية بينت بأنه إذا ما استمرت الاتجاهات الحالية في النمو الديمغرافي والاقتصادي والأنماط الاستهلاكية، فستزداد الضغوط بصورة كبيرة على البيئة الطبيعية تفوق قدرتها الاستيعابية وقد تضيع المكاسب البيئية والتحسينات الظاهرة نتيجة ازدياد التلوث واستنزاف الموارد الطبيعي.

لعل أول فكرة لظهور الاهتمام بالبيئة وبالتالي التنمية المستدامة، هو عندما أنشئ ما أطلق عليه بنادي روما سنة 1968 ، حيث ضم عدد من العلماء والمفكرين والاقتصاديين وكذا رجال أعمال من مختلف أنحاء العالم، دعى هذا النادي إلى ضرورة إجراء أبحاث تخص مجالات التطور العلمي لتحديد حدود النمو في الدول المتقدمة.

1- في سنة 1972 ينشر نادي روما تقريراً مفصلاً حول تطور المجتمع البشري وعلاقة ذلك باستغلال الموارد الاقتصادية، وتوقعات ذلك حتى سنة 2100 ، ولعل من أهم نتائجها، هو انه سيحدث خلا خلال القرن الواحد والعشرين بسبب التلوث واستنزاف الموارد الطبيعية وتعرية التربة وغيرها. كما تم نشر دراسة جاي فورستر بعنوان "حدود النمو" والتي تضمنت نموذج رياضي لدراسة خمسة متغيرات أساسية بارزة وهي استنزاف الموارد الطبيعية، النمو السكاني، التصنيع، سوء التغذية، تدهور البيئة. حيث أبرزت هذه الدراسة اتجاهات هذه المتغيرات الخمسة وأثرها على الكوكب الأرضي، وذلك لمدة ثلاثين سنة.

2- في نفس السنة وبالتحديد خلال 5 - 16 جويلية 1972 تنعقد قمة الأمم المتحدة حول البيئة في ستوكهولم، حيث عرض مجموعة من القرارات الخاصة بالتنمية الاقتصادية وضرورة الترابط بين البيئة والمشاكل الاقتصادية. وطالبت الدول النامية بأن لها الأولوية في التنمية إذا أريد تحسين البيئة وتفادي التعدي عليها وبالتالي ضرورة تضيق الفجوة ما بين الدول الغنية والفقيرة.

3- في سنة 1982 وضع برنامج الأمم المتحدة للبيئة تقريراً عن حالة البيئة العالمية وكانت أهمية التقرير انه مبني على وثائق علمية وبيانات إحصائية أكدت الخطر المحيط بالعالم، وأشار الى أن أكثر من 25 ألف نوع من الخلايا النباتية والحيوانية كانت في طريقها إلى الانقراض، وان ألوفاً غير المعروفة يمكن أن تكون قد اختفت نهائياً. كما أفاد التقرير أن الأنشطة البشرية أطلقت عام 1981 في الهواء 990 مليون طن من أكسيد الكبريت و 68 مليون طن من أكسيد النتروجين و 57 مليون طن من المواد الدقيقة العالقة، و 177 مليون طن من أول أكسيد الكربون من مصادر ثابتة ومتحركة .

4- وفي 28 أكتوبر 1982 أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة، الميثاق العالمي للطبيعة، الهدف منه توجيه وتقويم أي نشاط بشري من شأنه التأثير على الطبيعة، ويجب الأخذ بعين الاعتبار النظام الطبيعي عند وضع الخطط التنموية.

5 - في 27 افريل 1987 قدمت اللجنة الدولية للبيئة والتنمية التابعة للأمم المتحدة تقريراً بعنوان "مستقبلنا المشترك" ويعرف كذلك بتقرير بورتلاند حيث اظهر التقرير فصلاً كاملاً عن التنمية المستدامة، وتم بلورة تعريف دقيق لها، وأكد التقرير على انه لا يمكننا الاستمرار في التنمية بهذا الشكل ما لم تكن التنمية قابلة للاستمرار ومن دون ضرر بيئي.

6- بعد ذلك تعالت الأصوات وعقدت الندوات الفكرية والمؤتمرات المحلية والعالمية بعد أن تأكد بان الكوكب الأرضي أصبح في خطر، وبدأت الدعوات تدعو إلى ضرورة إعادة النظر في اتجاهات التنمية الحالية لما يشهده العالم من تدمير ذاتي لأسس بقاءه واستمراره. وهكذا، على غرار الكوارث الطبيعية في العالم مثل انفجار المفاعل النووي "تشرنوبل" وانتباه جماعة الخضر إلى ضرورة الاهتمام بالبيئة، تنعقد قمة الأرض في ريو دي جانيرو بالبرازيل، أو ما يعرف بمؤتمر الأمم المتحدة للبيئة والتنمية، ما بين 3-4 جوان 1992، خصص المؤتمر استراتيجيات وتدابير تحد من التآكل البيئي في إطار تنمية قابلة للاستمرار وملائمة بيئياً. وقد خرج المؤتمر بست نتائج:

- وضع معاهدة بشأن مسائل ذات أهمية كونية كمعاهدة لتغيير المناخ وأخرى للتنوع البيولوجي.

- إعلان ميثاق الأرض يحدد ويعلن مبادئ تلتزم الشعوب بها في العلاقات فيما بينها، ومع البيئة، وتؤكد على استراتيجيات قابلة للاستمرار.

7- جدول أعمال (أجندة) القرن 21 لتطبيق ميثاق الأرض.

- وضع آلية تمويل للأنشطة التنفيذية للمبادئ المعلنة خصوصاً في الدول النامية التي تفتقر إلى موارد مالية إضافية لدمج البعد البيئي في سياساتها الإنمائية.

- إقرار إتاحة التقانة البيئية لكافة الدول، مع احترام حقوق الملكية الفكرية.

- بحث مسألة المؤسسات التي ستشرف على عملية التنفيذ.

8- كما تم في شهر ديسمبر 1997 إقرار بروتوكول كيوتو الذي يهدف إلى الحد من انبعاث الغازات الدفيئة، والتحكم في كفاءة استخدام الطاقة في القطاعات الاقتصادية المختلفة وزيادة استخدام نظم الطاقة الجديدة والمتجددة، إضافة إلى زيادة المصبات المتاحة لامتصاص الغازات الدفيئة.

من جانب آخر انعقد في افريل 2002 مؤتمر القمة العالمي للتنمية المستدامة في جوهانزبورغ بجنوب إفريقيا، بهدف التأكيد على الالتزام الدولي بتحقيق التنمية المستدامة وذلك من خلال:

- تقييم التقدم المحرز في تنفيذ جدول أعمال القرن 21 والصادر عن مؤتمر الأمم المتحدة للتنمية والبيئة عام 1992 .

- استعراض التحديات والفرص التي يمكن أن تؤثر في إمكانات تحقيق التنمية المستدامة.

- اقتراح الإجراءات المطلوب اتخاذها والترتيبات المؤسسية والمالية اللازمة لتنفيذها.

- تحديد سبل دعم البناء المؤسسي اللازم على المستويات الوطنية والإقليمية والدولية².

3- مبادئ التنمية المستدامة:

بما أن التنمية المستدامة مبدأ عاملا شك انه لها مجموعة من المبادئ الخاصة بها ، و التي تشكل قواعد أو توجيهات واجبة الإتباع تسترشد بها الدول لحسن كفاءة احترام الالتزامات المتعلقة بحماية البيئة :

أولاً:المبادئ الأساسية للتنمية المستدامة

تتمثل المبادئ الأساسية المكونة لمبدأ التنمية المستدامة في مبدأ التوفيق بين متطلبات التنمية و تدابير حماية البيئة ،و مبدأ تحقيق العدالة بين الأجيال القادمة و الحاضرة:

أ-التوفيق بين متطلبات التنمية و تدابير حماية البيئة:

هناك علاقة وثيقة بين التنمية و البيئة فالأولى تقوم على موارد الثانية و لا يمكن أن تقوم التنمية دون الموارد البيئية و بالتالي فإن الإخلال بالموارد من حيث إفسادها ستكون له انعكاساته السلبية على العملية التنموية و الإخلال بأهدافها كما أن شحه لموارد و تناقصها سيؤثر بشكل أو بآخر على التنمية من حيث مستواها و تحقيق أهدافها حيث أنه لا يمكن أن تقوم التنمية على موارد بيئية محدودة كما أن الإضرار بالبيئة و مواردها يضر بالاحتياجات البشرية و عليه ينبغي على التنمية أن تقوم على أساس وضع الاعتبار للبيئة و أن ينظر إلى البيئة و التنمية باعتبارهما متلازمتين فالتنمية لن تحقق أهدافها دون الأخذ بسياسات بيئية سليمة.

و إن ظهور الحركات المطالبة بحماية البيئة في مطلع ستينات القرن 20 كرد فعل لما أنتجته الصناعة من تدهور في البيئة يعتبر بمثابة القلق على البيئة من الأخطار المضررة بها و هو قلق لم يكن جديدا على الإنسان حيث أن قلقه على البيئة بسبب تدهورها بفعل التعامل مع مواردها هو قلق

² الدكتور عماري عمار.مداخلة بعنوان إشكالية التنمية المستدامة و أبعادها.جامعة سطيف2008.ص1

قديم يمتد إلى العصور التي انتقل فيها الإنسان إلى حياة الزراعة و لعل ظهور الكثير من الأعراف والتقاليد في المجتمعات الزراعية التي تهدف إلى تنظيم عملية جني المحاصيل و حتى نوعية المواشي التي يتم ذبحها و غيرها من العادات و التقاليد التي لا يزال بعضها موجودا حتى الآن ، كل ذلك يدل على اهتمام الإنسان المبكر بحماية البيئة و مواردها.

و عبر كذلك عن الترابط بين البيئة و التنمية في اتفاق كوالالمبور بشأن المحافظة على الطبيعة والموارد الطبيعية المبرم في جويلية 1985 بين الدول الأعضاء في جمعية الأمم لجنوب شرق آسيا كما يعتبر مبدأ التوفيق بين البيئة و التنمية طريقة لحل بعض الخلافات الجوهرية فيما بين مواقف الدول الصناعية و مواقف الدول النامية اتجاها للبيئة، فمن جهة يعبر المبدأ عن موقف الدول النامية التي تسعى نحو تطوير وتحسين أوضاعها الاقتصادية و بالتالي فان حماية البيئة لا تشكل عائقا أمام التنمية و من جهة أخرى يشدد نفس المبدأ على فكرة تويدها الدول المتقدمة بشكل واسع و مفادها أنه لا يمكن تحقيق تنمية مستدامة دون أخذ البيئة بعين الاعتبار عند إعداد السياسات الإنمائية و مباشرة العمل بها.

و لقد عبرت كل من اتفاقيتي المناخ و الغابات عن ضرورة التوفيق بين متطلبات التنمية و حماية البيئة.

و جاء في إعلان ريو عام 1992 بأنه " من أجل تحقيق تنمية مستدامة تكون حماية البيئة جزءا لا يتجزأ من عملية التنمية و لا يمكن النظر فيها بمعزل عنها."

و بناء على ذلك ، مهمة مبدأ التوفيق بين البيئة و التنمية هو بالدرجة الأولى التوفيق بين وجهات نظر الدول المصنعة المهتمة بالمستقبل الايكولوجي للأرض و وجهات نظر الدول النامية التي تصبو إلى تنمية اقتصادياتها.

ب-العدالة بين الأجيال:

العدالة بالمعنى الواسع هي مسألة عدالة في توزيع الموارد من حيث الأشخاص ومن حيث الزمان . فكل جيل يتلقى كإرث ثروة معينة من الموارد يبلغها للأجيال القادمة بمدار مساوي للذي حصلت عليه الأجيال السابقة،و عليه يتعهد الجيل الحاضر بالمحافظة على النظم الايكولوجية و الموارد الطبيعية لفائدة الأجيال القادمة.

كما تجدر الإشارة إلى أنه عند الحديث عن التنمية المستدامة، هناك نوعان من العدالة، عدالة ما بين الأجيال و عدالة داخل الأجيال فالأولى تعني عدالة بين الشباب و العجزة و بين الأجيال الحاضرة و القادمة، و على الصعيد الدولي تعني العدالة بين الشمال و الجنوب و بين الدول الغنية و الدول الفقيرة، أما الثانية ، فهي العدالة الاجتماعية بين الرجال و النساء و بين الفئات و الطبقات الاجتماعية الغنية و الفقيرة، القوية و الضعيفة و بين المجموعات الأثنية و الدينية المختلفة.

و بهذا الصدد تشير اديث وايس براون E.WEISS-BROWN إلى أن كثيرا من إعمالنا تضع أثقالا بيئية على الأجيال القادمة، كما تذهب إلى بيان الالتزامات الأخلاقية و القانونية للجيل الحالي تجاه الأجيال المقبلة و عليه فان كل جيل يعتبر أمينا على كوكب الأرض للأجيال القادمة و مستفيدا من وكالة الأجيال السابقة له.

و في محاولة لصياغة المبادئ التي ترشد الجيل الحالي نحو العدالة بين الأجيال ، تؤكد " براوند " على عدم جواز استبعاد الأجيال المقبلة عند استغلال الأجيال الحاضرة للموارد، و في الوقت ذاته لا تتحمل الأجيال الحاضرة أعباء غير معقولة لمواجهة احتياجات المستقبل غير محددة و لكن على العكس يجب إعطاء مرونة للأجيال المقبلة لتحقيق أهدافها حسب القيم الخاصة بها . كما يجب على كل جيل أن يقدم لأعضائه حقوقا عادلة في استغلال تراث الأجيال السابقة و أن يحافظ على هذا الحق للأجيال المقبلة.

ثانيا : المبادئ الفرعية للتنمية المستدامة.

بالإضافة إلى المبادئ الأساسية للتنمية المستدامة هناك مبادئ فرعية و نذكر منها مبدأ الاحتياط و مبدأ الانشغال المشترك للإنسانية و كذلك المبادئ القابلة للاندماج.

أ- مبدأ الاحتياط:

تتميز المسائل البيئية عموما بالتعقيد و الجدل المحيط بها ، و أمام العجز على حل المسائل و إصلاحها، تم إيجاد شكل جديد للوقاية من الأخطار المبهمة و ذلك عن طريق الاحتياط.

على هذا الأساس لا يجب أن يستخدم عدم معرفة النتائج الدقيقة لبعض الأنشطة على المدى القصير أو البعيد كذريعة لتأجيل اتخاذ تدابير لهدف منع تدهور البيئة بمعنى آخر في حالة عدم التيقن العلمي الكامل يستحسن اتخاذ تدابير صارمة للحماية على سبيل الاحتياط من عدم فعل شيء ما وهكذا انطلاقا من معطيات علمية آنية يتوجب على أصحاب القرار أن يتصرفوا قبل حدوث أي ضرر ، حتى وان لم يكن هناك يقين تام باحتمال حدوث الضرر.

و عليه يمكن القول إن مبدأ الاحتياط يعمل على حماية البيئة من أي ضرر متوقع حدوثه، وقد لا يحدث وان حصل فعلى المدى الطويل .

وبالتالي فان الطابع التوقعي للمبدأ يجعله موجه تماما نحو المستقبل ومرتبط كلياً بمبدأ التنمية المستدامة وتأكيداً لذلك يهدف العديد من التدابير المتعلقة بالمحافظة على البيئة إلى تلبية الاحتياجات الإنمائية للأجيال الحالية والمقبلة مستعينة في ذلك على بعض المبادئ منها مبدأ الاحتياط.

وتأكيداً لذلك فقد تكلم عن مبدأ الاحتياط في الإعلان الوزاري البارجن بشأن التنمية المستدامة سنة 1990 للدول العضوة في لجنة الأمم المتحدة لأوروبا ولجنة البيئة للمجموعة الأوروبية، وكذلك في إعلان ريو بشأن البيئة والتنمية لعام 1992 م.

وعلاوة على ذلك جاء في تعديل 1995 لاتفاقية برشلونة بشأن حماية الوسط البحري وسواحل المتوسط فان من بين الالتزامات العامة للأطراف تطبيق مبدأ الاحتياط عن طريق اتخاذ تدابير فعالة من حيث التكاليف للوقاية من تدهور البيئة كما تطبق الدول هذا المبدأ لحماية البيئة والإسهام في التنمية المستدامة لمنطقة البحر الأبيض المتوسط تبعاً لقدراتها.

وبهذه الصورة يمكن أن نقول أن مبدأ الاحتياط أصبح وسيلة وأداة عمل لتحقيق التنمية المستدامة.

ب- مبدأ الانشغال المشترك للإنسانية:

يعتبر مبدأ الانشغال المشترك للإنسانية أو المصلحة المشتركة للإنسانية بمثابة صدى لمفهوم " التراث المشترك للإنسانية "و أساس له، في المقابل، يمثل هذا التراث تجسيدا للمصلحة المشتركة للإنسانية سواء الحاضرة أو القادمة.

فقد أكدت الاتفاقية الإفريقية الموقعة بالجزائر 15 سبتمبر 1968 بشأن المحافظة على الطبيعة و مواردها على وجوب أن يستهدف استعمال الموارد الطبيعية تلبية احتياجات الإنسان حسب قدرة المحيط البيئي و الرغبة في مباشرة العمل فرديا و جماعيا للمحافظة على هذه الموارد و الاستعمال المعقول لها لرعاية حاضر و مستقبل الإنسانية.

كما تعبر بوضوح عن ذلك، اتفاقية واشنطن بشأن التجارة الدولية لأنواع المهددة من الحيوانات و النباتات البرية الموقعة في مارس 1973 ، حين تعرف الأطراف المتعاقدة بأنه تكون ،الحيوانات و النباتات البرية بفعل جمالها و تنوعها عنصر من النظم الطبيعية لا يمكن استبداله و يتوجب حمايته للأجيال الحاضرة و القادمة.

و من هنا نستنتج بأن مفهوم التراث المشترك للإنسانية ينطوي على فكرة ترك الجيل السابق إرثا للجيل الحاضر.

ج -المبادئ القابلة للاندماج:

بالإضافة إلى المبادئ المرتبطة مباشرة بالتنمية المستدامة، هناك خمسة مبادئ أخرى في طريق الاندماج و هي:

• سيادة و مسؤولية الدولة:

لكل دولة ثروات طبيعية و لها الحق في استغلالها بالطريقة التي ترسمها، و هذا دون تدخل أي دولة في ذلك تطبيقا لمبدأ سيادة الدولة، لكن هذه السيادة ليست مطلقة و ذلك عن طريق مراعاة التسبب في إضرار بيئية لدولة أخرى، و إن حدث ذلك وجب عليها إصلاح الضرر الايكولوجي المتسببة فيه.

و قد روعي تحقيق التوازن – قدر الإمكان -بين متطلبات السيادة الوطنية للدول فرادى من ناحية و مقتضيات المصلحة العامة للمجتمع الدولي من ناحية ثانية، و عليه أصبح مقبولا أن تساءل الدولة عن الأفعال المشروعة التي تباشرها داخل إقليمها أو تحت إشرافها متى كان من شأن مثل هذه الأفعال إلحاق الضرر ببيئة دول أخرى.

• المسؤولية المشتركة:

هو مبدأ يترجم طموح الدول النامية في أن تعامل معاملة خاصة، تأخذ بعين الاعتبار خصوصية وضعيتها الاقتصادية، كما جاء في مسؤوليات مشتركة و إن كانت متباينة.

• الشراكة الشاملة و التعاون:

إن التعاون الدولي للحفاظ و حماية البيئة ضروري تفرضه شمولية النظم الشمولية 3 كما جاء في إعلان دير " تتعاون الدول، بروح من المشاركة العالمية، في حفظ و حماية و استرداد صحة و سلامة النظام الايكولوجي للأرض.

الملوث الدافع:

تم تبني مبدأ " الملوث هو الدافع "لأول مرة من طرف منظمة التعاون و التنمية الاقتصادية (OCDE) بموجب توصيتين الأولى سنة 1972 و الثانية سنة 1974.

حيث يتحمل تكاليف الوقاية و المكافحة الملوث ، و تكون التكاليف داخلية و نعني بذلك أن تكلفة الإجراءات تنعكس على تكلفة السلع أو الخدمات التي تعتبر مصدر التلوث.

و يجب على السلطات العامة ألا تقدم أي مساعدات سواء عن طريق الإعانات أو المزايا الضريبية أو غيرها من الإجراءات إلا في أحوال استثنائية.

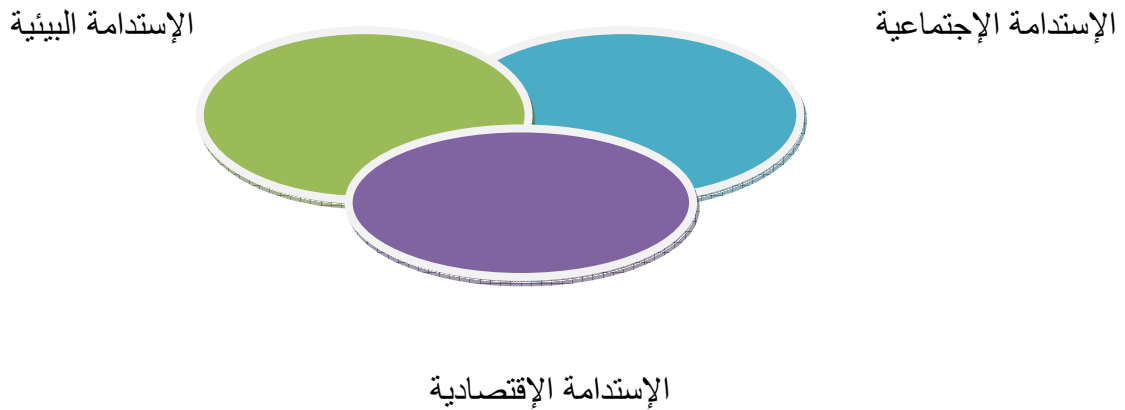
و يهدف هذا المبدأ إلى تشجيع الاستخدام الأمثل و الرشيد للموارد الطبيعية التي تحتويها البيئة.

• المشاركة في القرارات:

لتحقيق التنمية المستدامة ايكولوجيا، يجب أن تسعا إلى إشراك جميع فئات المجتمع في عملية اتخاذ القرار المتعلق بالبيئة و نقصد بجميع الفئات " النساء، السكان الأصليين، الشباب ، و المجتمعات المحلية، الفلاحين، النقابات و النخبة العلمية".

و سجل الاعترافه بهذا المبدأ أثناء المؤتمر الوزاري الرابع " بيئة لأوروبا "المنعقد في أروس (الدنمرك) من 23 إلى 25 جويلية 1998 ، و الذي أسفر عن توقيع اتفاقية أروس بشأن الحصول على المعلومات و مشاركة المواطنين في اتخاذ القرار و اللجوء إلى القضاء في مجال البيئة، تهدف اتخاذ قرارات أفضل و إمكانية تطبيقها بفعالية أكبر من أجل حماية و حفظ و تحسين حالة البيئة و ضمان تنمية مستدامة معقولة ايكولوجيا.³

شكل رقم (1) :اندماج العناصر الثلاثة :الاجتماعية والاقتصادية والبيئية شرط أساسي للإستدامة.



³ نعيمة مسعودي. التنمية المستدامة و استراتيجيات تطبيقها في الجزائر. مذكرة لنيل شهادة ليسانس في العلوم الاقتصادية. جامعة المدية 2007. ص14

4- عناصر التنمية المستدامة:

كما أسلفنا الذكر تتألف التنمية المستدامة من ثلاث عناصر رئيسية متداخلة هي: النمو الاقتصادي والعدالة الاجتماعية وحماية البيئة.

4-1- العنصر الاقتصادي: ويستند إلى المبدأ الذي يقضي بزيادة رفاه المجتمع إلى أقصى حد والقضاء على الفقر بتوفير الاحتياجات الأساسية لفقراء العالم من خلال استغلال الموارد الطبيعية مع النمو الأمثل وبكفاءة.

4-2- العنصر الاجتماعي: ويشير إلى العلاقة بين الطبيعة والبشر، وإلى النهوض برفاه الناس، وتحسين سبل الحصول على الخدمات الصحية والتعليمية الأساسية، والوفاء بالحد الأدنى من معايير الأمن، واحترام حقوق الإنسان. كما يشير إلى تنمية الثقافات المختلفة والتنوع، والتعددية، والمشاركة الفعلية للقواعد الشعبية في صنع القرار.

4-3- العنصر البيئي: ويتعلق بالحفاظ على قاعدة الموارد المادية والبيولوجية وعلى النظم الإيكولوجية والنهوض بها، وبعبارة أخرى تتضمن عناصر التنمية المستدامة مايلي:

-**الاستمرارية:** أو عدم إلحاق ضرر بالأجيال القادمة بسبب استنزاف الموارد الطبيعية وتلويث البيئة التي تتحمل عبئها الأجيال اللاحقة.

-**المساواة:** أو تساوي الفرص المتاحة أمام كل أفراد المجتمع بغض النظر عن العرق أو الجنس أو الأصل أو اللون.

-**التمكين:** لأن التنمية تتم بالناس وليس فقط من أجله⁴.

5- أبعاد التنمية المستدامة:

تتضمن أبعاد متعددة متداخلة فيما بينها وهي:

5-1- الأبعاد الاقتصادية: وتشمل:

-ترشيد الاستهلاك الفردي من الموارد الطبيعية ومن الطاقة(استهلاك الغاز والنفط والفحم .

-إيقاف تبديد الموارد الطبيعية كالحوانات المهددة بالانقراض.

-مسؤولية بلدان الشمال عن التلوث وعن معالجته.

-تقليل الإنفاق العسكري.

⁴ لعريبي صالح نفس المرجع السابق.ص93

2-5- الأبعاد البشرية:

- تثبيت النمو الديمغرافي لتفادي الضغوط الحادة على الموارد الطبيعية وعلى قدرة الحكومات على توفير الخدمات.
- أهمية توزيع السكان في الإقليم والنهوض بالتنمية الريفية لتجنب العواقب البيئية الوخيمة، فالمدن تقوم بتركيز النفايات والمواد الملوثة التي تهدد الإنسان وتدمر الطبيعة المحيطة به .
- الصحة والتعلم.
- المشاركة الشعبية في مختلف العمليات التنموية للنهوض بالمدن.
- بناء القدرات وتجديدها كلما دعت الحاجة.

3-5- الأبعاد البيئية:

- وقاية التربة وتجنب إتلافها بالمبيدات الكيميائية المختلفة أو تدمير الغطاء النباتي والمصايد.
- حماية الموارد الطبيعية بدءا من حماية التربة إلى حماية الأراضي المخصصة للأشجار، وحماية مصايد الأسماك مع التوسع في الإنتاج لتلبية احتياجات السكان الآخذين في التزايد.
- حماية المناخ من الاحتباس الحراري ومن استتراف أوزون الغلاف الجوي.
- تهمين الموارد الطبيعية المتجددة والاستهلاك العقلاني والمحدود للغير المتجدد منها وتقليل النفايات قدر الإمكان مع تشجيع عمليتي الرسكلة والاسترجاع وكل ما من شأنه أن يعود بفوائد اقتصادية وصحية على المجتمع وعلى البيئة.
- تحسين إطار الحياة للفرد بتحسين الخدمات الضرورية والمكملة وتحسين شروط الصحة والوقاية.

4-5- الأبعاد التكنولوجية:

- استعمال تكنولوجيا أنظف في المرافق الصناعية.
- الحد من انبعاث الغازات الحرارية عبر الحد من استخدام المحروقات و إيجاد مصادر أخرى للطاقة.
- الحيلولة دون تدهور طبقة الأوزون بتطبيق الإجراءات المنصوص عليها في الاتفاقيات.
- الرفع من قدرة التنبؤ بالحوادث الطبيعية والاستعداد لها ماديا وبشريا.
- تشجيع البحوث العلمية العملية التي تحد من أخطار التلوث.
- وقد ركزت دول أوروبا في الاستدامة البيئية لمدنها على ما يلي:
- **حدود بيئية للتقدم :** أو حد أدنى من التلوث.
- **تسيير الاحتياجات :** نحو طرق جديدة للإنتاج ونمط الحياة.
- **فعالية بيئية :** منفعة اقتصادية قصوى تسحب من الوحدات المستعملة للموارد الطبيعية.

-فعالية اجتماعية: خدمات إنسانية على اقتطاع النشاطات الاقتصادية.

-عدالة: في الداخل وبين الأمم.⁵

6- خصائص التنمية المستدامة:

تتفرد بمجموعة من الخصائص والمميزات تميزها عن التنمية التقليدية وهي:

1-6- الاستمرارية: وهي التواصل والاستدامة في عملية التنمية لكونها معيار نجاح تنمية المجتمع في جميع غاياته لتحقيق النمو المطلوب.

2-6- تنظيم استخدام الموارد الطبيعية: لضمان حق الأجيال القادمة باستثمار المصادر المتجددة بمعدل مساوي لمعدل ما يتجدد منها أو أقل منه، وأن يكون في قدرة البيئة على استيعابه واستثمار المصادر غير المتجددة بمعدل مساو لمعدل اكتشاف بدائل متجددة.

3-6- تحقيق التوازن البيئي: وهو المعيار الضابط للتنمية المستدامة، وذلك بالمحافظة على سلامة الحياة الطبيعية وإنتاج ثروات متجددة مع الاستخدام الرشيد للغير المتجدد منها.

4-6- التكامل: تركز على تحقيق التكامل والتبادل بين الاقتصاد والمجتمع والبيئة.

ونشير هنا إلى أن لعملية التنمية المستدامة أربعة مراحل رئيسية متتابعة زمنياً ومنفصلة تماماً وهي: مرحلة التفهم، ومرحلة وضع الخطة، ومرحلة التنفيذ، ومرحلة تقييم الخطة، وتتخلل أنشطة متداخلة بين مراحلها المختلفة⁶.

7- عوائق التنمية المستدامة:

تعتبر المدن بأوضاعها الحالية ليست مستدامة لكونها تستهلك كميات غير متناسبة مع الموارد يضاف إلى ذلك أن متوسط التلوث الذي يسببه الفرد الحضري أعلى بكثير عن ما يسببه الفرد الريفي، كما أن العولمة زادت من حدة المشكلة لكون المدن تدمر البيئات والثقافات المحلية. ويركز جدول أعمال الموئل على وجوب تغيير المواقف وتقليل التبعة الاستهلاكية واجتثاث السلوك الذي يؤدي إلى توليد النفايات. لذلك يشترط أن تكون مجهودات التنمية المستدامة في مستوى التقدم العلمي والرقى الحضاري للأمم حتى لا تحدث شرخاً يعيق أحد أوصالها الاجتماعية أو البيئية أو الاقتصادية، ومن ثم كان البحث والتخمين من المنظمات العالمية والوطنية والمحلية ينصب حول هذا الاتجاه ليتماشى مع خصوصيات كل منطقة أو دولة.

⁵ نفس المرجع السابق. سعودي هجيرة. ص11

⁶ لعريبي صالح. مرجع سابق. ص95

ويمكن تقسيم العوائق إلى أربع مجموعات أساسية:

7-1-العوائق التقنية:

تتمثل العوائق التقنية أساسا في أدوات التخطيط والتهيئة العمرانية التي لم تعد تستجيب للتطور الحاصل وما يرافقه من توسع عمراني لاسيما مخططي شغل الأراضي والمخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير، لذلك وجب تكيف المخططات العمرانية بإدخال البعد البيئي خصوصا فيهما وجعله أحد محددات المعادلة، وهو بذلك يضمن حقوق المناطق التاريخية والمحمية ويكسبهما نوعا من الشرعية ويحافظ على البيئة الحضرية بالمدن العتيقة التي تصارع من أجل البقاء ويضمن نوعا من التوازن بين الأحياء في المدن وفوق كل ذلك يحمي ثقافة وتاريخ الشعوب وحضاراتهم.

7-2-العوائق المالية:

تتطلب التنمية المستدامة إصلاحات اقتصادية واجتماعية وسياسية جذرية، وأن أي تحول وجب أن يعزى بإمكانيات مالية معتبرة، لذلك فإن البحث عن مصادر تمويلية محلية ودولية تكون في مستوى التحول ولأن التنمية المستدامة لا تراهن على المساعدات الدولية بالأساس فهي تعتمد على الإمكانات المحلية والقدرات الوطنية فيجب أن تتكاثف الجهود وتتوحد الانشغالات لضمان نوعا من الاستقلالية لمشاريعها حتى لا تتعطل أو تسلب مميزاتها بشروط تعجيزية من الدول المانحة وبالتالي تسلب حريتها وإرادتها وثقافتها.

7-3-العوائق التكنولوجية:

تعتبر إنتاج التكنولوجيا ونقلها وتبادل الخبرات بين الشعوب من أهم المؤشرات التي تقاسبها تطور الأمم ونهضتها، وأن التوجهات الحالية تسير نحو إنتاج المعرفة بدلا من استيرادها، لذلك على الدول أن تحاول قدر المستطاع أن تكون في مستوى الحدث وأن تضمن مزيدا من الاهتمام للبحث العلمي كونه ركيزة أساسية للتقدم والتطور المستمر، كما يشترط على الدول المتقدمة تزويد الدول النامية بتكنولوجيا وميكانيزمات بدلا من ديون أرهقتها.

7-4-العوائق التشريعية:

حتى يكون التوازن وتحقق المطالب أو الأمنيات وجب أن تتكيف النصوص التشريعية للدول مع ما يحصل من تطور في العالم لاسيما جانب التلوث والسيطرة عليه، وكذا حقوق المجمعات والمستوطنات الفقيرة والاهتمام بالأرياف وبعث نموها، كذلك التوجه نحو ميكانيزمات تمويلية لها صفة الشرعية بإشراك جميع الفاعلين والمواطنين في عمليات التنمية مع مساهمة مالية للمستفيدين والمؤيدين وذوي الاهتمام حتى يكون التوافق والانتصار⁷.

⁷ نعيمة مسعودي. مرجع سابق. ص 54

8- مجهودات الجزائر لتحقيق التنمية المستدامة:

قبل الحديث عن المجهودات المبذولة لتحقيق التنمية المستدامة بالجزائر ينبغي علينا التطرق إلى وضعية التنمية المستدامة بها، فالجزائر كغيرها من الدول النامية تتخبط في مشاكل اجتماعية واقتصادية وإيكولوجية ومرد معظم ذلك إلى العوامل التاريخية المتمثلة في الاستعمار الذي تعرضت له مدة طويلة، وكذا عن ضعف السياسات التنموية والقطاعية وعدم توزيعها توزيعا عادلا بعد الاستقلال الأمر الذي أثر على توزيع السكان والموارد والتجهيزات داخل الإقليم، وأدى إلى تدهور البيئة وتدهورها نتيجة للضغط الكبير على رقعة ضيقة هشة ومعرضة للعديد من التأثيرات أهمها أنها منطقة زلزالية نشيطة وذات تربة خصبة مما تسبب في تقليص المساحات الغابية والزراعية نتيجة الزحف العمراني وزحف الصحراء والرعي الجائر والجفاف.

8-1 - الوضعية الاقتصادية:

تعاني الجزائر من مشكلة الديون وضعف الناتج المحلي الخام واعتمادها على اقتصاد أحادي الجانب (المحروقات)، وعلى أنظمة اقتصادية مركزية.

8-2- الوضعية الاجتماعية:

تعاني الجزائر من ارتفاع معدلي الفقر والبطالة والامية، وأزمة السكن ونقص الانتفاع بالمياه الآمنة والخدمات الصحية وأزمة مياه الشرب فالجزائر تقع تحت خط الندرة للمياه، بالإضافة إلى زيادة نسبة التحضر ومشاكل الهجرة والنمو السكاني بعد الاستقلال التي كان لها دور كبير سوء توزيع السكان والموارد.

8-3- الوضعية البيئية:

تعاني الجزائر من زيادة كبيرة في مستوى التلوث بشتى أنواعه، فمثلا التلوث الهوائي بسبب حركة مرور السيارات(مصدر متحرك)، وبقدر أقل من مصدر مترلي وتدفقات صناعية صادرة عن الوحدات الإنتاجية المبعثرة داخل النسيج الحضري أو ملوثات صادرة عن احتراق النفايات الصلبة في الهواء الطلق(مصادر ثابتة) إضافة إلى التلوث بالغبار والأتربة، كما تتميز أيضا بضعف خدمات الصرف الصحي ونقص الأراضي الزراعية (التصحّر ولعوامل الجفاف والرعي الجائر ونقص المساحات الغابية وتدهورها وتراجع خصائصها النوعية والإنتاجية).

ومن خلال وقوفنا على الوضعية الحالية للبيئة ثبت أن أنماط الإنتاج للأنشطة الاقتصادية المختلفة لا ترقى إلى المستوى المطلوب فهي بعيدة عن الطرق المستدامة، فالمصانع لا تتقيد بالموصفات والمعايير العالمية والمحلية عند تشغيلها ببثها للملوثات على اختلافها، ومثلها وسائل النقل التي تنبعث من محركاتها أدخنة وملوثات تحجب الرؤية وضجيج يصعب من المخابطة والحوار وتقلق الكبير والصغير، كما أن القمامة تنتشر بكل مكان ولا يلتفت إلى تجميعها وإعادة استعمالها، والمياه تضيع بالتسرب أحيانا والتلوث أحيانا أخرى، وبين هذا وذاك تضيع الموارد الطبيعية الثمينة والطاقة والأموال، وتسرق الراحة والهدوء، وتختفي القيم والمبادئ .

أما في مجال التنمية العمرانية فقد عجزت أدواتها العمرانية في حل مشاكل التوسع والهجرة السريعين مما تطلب البحث على أدوات جديدة فعالة فكان المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير ومخطط شغل الأراضي أثمر ببعض الحلول، ورغم هذا فإن البيئة الحضرية قد تضررت كثيرا نتيجة أخطاء في التخطيط وأخرى في التنظيم وبعضها في التنفيذ، مما جعل السلطات المحلية والعليا تعيد حساباتها وتسعى من جديد وفي كل مرة للبحث عن أدوات ووسائل عمرانية أكثر كفاءة وتدعيمها بآليات قانونية ومالية وتسييرية وتنظيمية للتحكم في مختلف العمليات العمرانية.

وقد تزامنت تلك الجهود مع مجهودات أخرى موازية مست المنظومة التشريعية والمالية والتسيير الحضري قصد حماية البيئة الحضرية وتحسين إطار الحياة بها، نذكر على سبيل المثال ومن الناحية التشريعية:

* قانون حماية البيئة رقم 83 - 03 المؤرخ في 5 فيفري 1983 أو النص الأساسي المتضمن الأسس العامة الخاصة بمختلف جوانب قانون حماية البيئة، وبالرغم من كثرة نصوصه لم يترك آثار إيجابية منذ تأسيسه عدا بعض الترقيعات وفي مناطق متفرقة لاصطدامه بعدد من المعوقات أهمها أنه يتناقض مع بعض أسسه ولم يُلغ أي أحكام سابقة تتعارض معه. أما ومن الناحية العملية التطبيقية فهو يصطدم ميدانيا لكون النصوص المطبق لم تساير كليا الإطار المؤسسي لنقص الخبرة والتنسيق والتشاور بين القطاعات المعنية بالبيئة.

* القانون التوجيهي للمدينة والذي يمثل أحد أولوياته تحقيق التنمية المستدامة للمدن الجزائرية. وجعل وزارة للبيئة بعدما كانت تدمج في قطاعات أخرى، ووزارة منتدبة للمدينة. وبالإضافة إلى ذلك استحداث العديد من هيئات قطاع البيئة من أهمها نذكر:

- كتابة الدولة المكلفة بالبيئة عن طريق المرسوم الرئاسي 01- 96 المؤرخ في 5 جانفي 1996 .

- المديرية العامة للبيئة بموجب المرسوم التنفيذي 247-94 المؤرخ يوم 10 أوت 1994 .

- المرصد الوطني للمدينة :أوصى بإنشائه في مارس 2006 ويلحق بالوزارة المكلفة بالمدينة.

ويتحتم على الجزائر تبني قواعد التنمية العمرانية المستدامة (الترشيد والجودة والاعتماد على المصادر المتجددة وحماية مكونات البيئة الطبيعية وعدم تعريض الساكن لبيئة غير صحية) مع ضرورة التعامل معها بكلية وليس بانفراد، ولكي تأخذ التنمية العمرانية المستدامة مسارها الصحيح عليها الالتزام بمبادئ التنمية العمرانية المستدامة وكفاءة الفراغ العمراني وترشيد الموارد ومصادر الطاقة مع تطبيق معايير الاستدامة في العمارة وكذا في التخطيط والتصميم العمرانيين.

كما كان الاتجاه نحو إتمام سير بعض العمليات الكبرى الخاصة بمكافحة التلوث للقضاء على البؤر الكبيرة لها، إضافة إلى بعض الإجراءات التنظيمية أهمها :إتمام وتكييف قانون 1983 المتعلق بحماية البيئة ليكون متماشيا مع التشريعات التكميلية له، وأيضا تطوير وتطبيق مبدأ الملوث دافع تدريجيا يستفيد منه الصندوق الوطني للبيئة وإدراج الانشغال البيئي في التنمية الصناعية وفي سياسة البحث العلمي، ورفع مستوى الوعي البيئي للمواطنين من خلال الجمعيات المحلية بتوحيد انشغالها البيئي وتفعيل دورها وأيام تحسيسية وإعلامية في كل القطاعات للرفع من التربية البيئية، وتشغيل محطات مراقبة البيئة في المدن الكبرى وإنجاز مخبرين جهويين بقسنطينة ووهران⁸.

9- وضعية التنمية المستدامة في العالم:

تختلف وضعية التنمية المستدامة بين الدول المتقدمة والنامية وأيضا من دولة وأخرى، وقصد تقييم وضعيتها بأي دولة هناك مجموعة مؤشرات اقتصادية واجتماعية وبيئية ومؤسسية تختلف من دولة لأخرى على ضوءها يمكن معرفة مستوى تحقيقه، ومن أجل ذلك يحتاج المخططون لمعلومات تحدد الإجراءات المطلوب اتخاذها لإحراز التقدم تشمل الوضع الراهن للأمور، والاتجاهات ونقاط الضغط وأثر التدخلات، وقد اعترف مؤتمر ريو (قمة الأرض) بأهمية وجود هذه المؤشرات للمساهمة في استدامة ذاتية التنظيم للنظم البيئية، ويمكن تلخيص مؤشرات التنمية المستدامة في ثلاث مجموعات رئيسية هي:

- مؤشرات القوى الدافعة، وهي تصنف الأنشطة والعمليات والأنماط.

- مؤشرات الحالة التي تقدم لمحة عن الحالة الراهنة.

⁸ لعريبي صالح.ص99

- مؤشرات الاستجابة تلخص التدابير المتخذة

بالإسقاط، وفي الدول المتقدمة -المتسببة بقدر كبير في تردي البيئة العالمية - (التسخين الشامل، وثقب الأوزون والمطر الحمضي)، تتميز بمناخها السياسي المستقر، وتطورها الاقتصادي المتسارع، ووضعيتها الاجتماعية المريحة والتقانة العلمية والتكنولوجية العالية. هذه الوضعية أدت إلى إنتاج مواد ومركبات اختلفت تسمياتها وتعددت أشكالها وصفاتها، كما تفاوتت سميتها وأضرارها على الأنظمة البيئية هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد أسهمت هذه الوضعية الريادية في جانب مهم الابتكارات والأسس التي تقلل من أثر الترددي في مجال البيئة كالبحت عن بدائل أخرى للطاقة (النظيفة) وتحسين كفاءة الاحتراق الداخلي للمحركات، والاتجاه نحو تثمين الموارد الطبيعية غير المتجددة كتدوير النفايات وإعادة استعمال المياه، ناهيك عن منع استعمال مركبات تضر بالبيئة والصحة العامة.

وبالرغم من الإجراءات العملية، لم تصل إلى المستوى المطلوب، فقد كان لطغيان المصلحة الفردية وتصادمها في أحيان كثيرة مع خيارات التنمية والسباق نحو التقدم الاستراتيجي العسكري كان دافعا مهما لتعطيلها، فانقلبت عليها في مواضع عديدة كحادثة تشرنوبيل.

أما الوضعية بالدول النامية فيمكن وصفها بالكارثية، فقد تشابكت عوامل كثيرة في زيادة تدهورها أهمها: عدم الاستقرار السياسي والحروب الداخلية، وتردي المستوى الاجتماعي والأخلاقي كالفساد والبطالة وارتفاع عدد السكان وتزايد معدلات الأمية وضعف التحصيل العلمي، وأزمة السكن وانعدام الخدمات الضرورية الأساسية، والتقهقر الاقتصادي جراء المديونية ونقص الغذاء والجفاف، إضافة إلى استنزاف الثروات الطبيعية وتلوث النظم البيئية وتراكم النفايات، وغياب التموين بالمياه الصحية الآمنة وغياب الصرف الصحي وانتشار الأمراض، والتوسع العمراني العشوائي والتمايز بين المناطق الريفية والحضرية وكذا بين الأحياء في المدن الحضرية، وقدم تشريعاتها القانونية وعدم ملاءمتها مع الأوضاع الجديدة للتقدم المستمر والتقنية الحديثة المذهلة، كلها ساهمت في تردي البيئة الحضرية واتجاه التنمية اتجاهاً سلبياً فيه.

وبالدول العربية تعتبر التنمية المستدامة دون الطموح رغم ما بذل من مجهودات وما تحقق في الميدان في بعض الدول العربية لكونها متشعبة بالثقافة الاستهلاكية سواء في الغذاء والعلم والتكنولوجيا والعمران إضافة إلى أن مثل هذه القضايا الإستراتيجية تتطلب معرفة وفهم عميقين للحالة الراهنة ومقدار واتجاه

التغيرات الحاصلة بفعل ضغوط التوسع الحضري والنمو الاقتصادي الناتج من العمليات التنموية المختلفة والقوى المحركة لها وتأثيراتها على صحة الإنسان والموارد الطبيعية والاقتصاد⁹.

جدول رقم(02):مقارنة بين التنمية المستدامة في العالم و في الجزائر

التنمية المستدامة في الجزائر	التنمية المستدامة في العالم
- التنمية المستدامة في الجزائر تتخبط بين مشاكل اجتماعية و اقتصادية واكولوجية و السبب في ذلك هو الاستعمار الفرنسي الذي تعرضت له لمدة طويلة و كذا ضعف السياسات التنموية و القطاعية و عدم توزيعها توزيعا عادلا بعد الاستقلال.	- فهي تختلف بين الدول النامية و المتقدمة و أيضا من دولة لأخرى باختلاف المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية و البيئية.
- فهي دون طموح رغم المجهودات المبذولة و ما تحقق في الميدان كونها متشعبة بالثقافة الاستهلاكية سواء في الغذاء و العلم و التكنولوجيا و العمران فهي تتطلب معرفة و فهم عميقين للحالة الراهنة و مقدار اتجاه التغيرات الحاصلة بفعل ضغوط التوسع.	- ففي الدول المتقدمة فهي تتميز بالمناخ السياسي المستقر و تطورها الاقتصادي المتسارع و وضعية اجتماعية مريحة.
	- وبالرغم ما وصلت إليه فقد كان طغيان المصلحة الفردية و تصادمها في أحيان كثيرة مع خيارات التنمية و السباق نحو التقدم كان دافعا لتعطيلها.
	- و أما الدول النامية فهي كارثية بسبب عوامل سياسية و تردي المستوى الاجتماعي و التقهقر الاقتصادي جراء المديونية بالإضافة إلى استنزاف الثروات الطبيعية و تلوث النظم البيئية.

المصدر:إنجاز الطالبة 2014

⁹ نعيمة مسعودي. نفس المرجع السابق.ص112

في مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة باستكهولم السويدية عام 1972 أوضح فيه أن البيئة أكثر من مجرد عناصر طبيعية، بل هي رصيد الموارد المادية والاجتماعية المتاحة في وقت ما، وفي مكان ما، لإشباع حاجات الإنسان وتطلعاته. وقد قسم العلماء البيئة إلى قسمين هما: البيئة الطبيعية، والبيئة المشيدة أو المعدلة.

1- البيئة الطبيعية:

وهي كل ما يحيط بالإنسان من ظواهر حية أو غير حية وليس للإنسان دخل في وجودها أي من صنع الخالق، وتشمل مكونات سطح الأرض من جبال وهضاب وسهول ووديان وصخور وتربة وعناصر المناخ المختلفة من حرارة ورياح ورطوبة وتساقط وضغط، وأحياء برية النشأة نباتية كانت أو حيوانية، برية كانت أو مائية، إضافة إلى موارد المياه العذبة والمالحة، وهي بيئة أحكم الله سبحانه وتعالى وأتقن خلقها وصنعها كما ونوعا ووظيفة. وتتكون من أربعة نظم مترابطة هي: الغلاف الجوي، الغلاف المائي، اليابسة، والمحيط الحيوي.

2- البيئة المشيدة (المعدلة):

وهي من صنع الإنسان وتخضع لسيطرته، وتبقى بعض الجوانب منها مثل النظم الزراعية تخضع لمؤشرات طبيعية كالمناخ، فقد غير البيئة الطبيعية لخدمة احتياجاته فأقام المدن والقرى والمصانع والمزارع وشبكات المواصلات والري والصرف ومراكز الطاقة وغيرها.

وتتميز البيئة الطبيعية بالتوازن الدقيق والقائم بين عناصرها من نبات وحيوان وماء وهواء، ولو حدث اضطراب ما فإنه بعد فترة قليلة يزول آثار هذا التغير ويسمى هذا بالتوازن البيئي، بينما البيئة المشيدة لا تخضع في جميع الأحوال للتوازن بين عناصرها، فهي دائما في تغير مستمر وهي بذلك تتأثر وفق أخلاقيات البشرووعيه من جهة، ومدى تطوره العلمي والاقتصادي من جهة أخرى.

3- أسباب تلوث البيئة الحضرية:

إذا كانت المشكلة السكانية من مشكلات الدول النامية بالدرجة الأولى فإن مشكلة التلوث تعتبر مشكلة الدول الصناعية؛ وإن كان الفقر يؤدي إلى التلوث بالدول النامية كما تدعمه نتائج دراسات الأمم المتحدة من وجود ترابط وثيق بين النمو السكاني والفقر والتدهور البيئي، فإن التلوث في الدول المتقدمة يمثل الوجه القبيح للتقدم الصناعي غير المرشد بيئيا. وقد قسم علماء البيئة أسباب التلوث إلى عدة أسباب متداخلة منها أسباب اقتصادية واجتماعية وتكنولوجية وأخلاقية.

أ- الأسباب الاقتصادية:

لا شك أن الأسباب الاقتصادية تساهم بشكل كبير في انتشار التلوث وارتفاع مستواه سواء في الدول المتقدمة أو الضعيفة على السواء ولكن بدرجات متفاوتة؛ فإذا كانت الثروة والمال وحب السيطرة تغطي على اهتمامات أصحاب رؤوس الأموال في الدول المتقدمة فإنها في الدول الفقيرة أكثر ظلماً، ففي سبيل تحقيق نوع من النمو الاقتصادي تختزل جميع العوامل الأخرى وبسهولة، فمثلاً يمكن للمستثمرين الأجانب والمحليين بصورة أقل أن يختاروا أماكن توطين منشاتهم الاقتصادية وفق مصالحهم الشخصية العابرة أو أن يقيموا بالدول المتخلفة صناعات تلوث البيئة منعتهم دولهم من إقامتها هناك، وبذلك فإن جميع القوانين تنهار أمام أطماع مسئولو الدول الفقيرة ورغبات وإملاء أصحاب رؤوس الأموال.

كما أن ارتفاع تكاليف المعالجة للمياه المستعملة وغيرها من الحلول التقنية الأخرى تقف أمام معالجتها في الدول الفقيرة وأن طرق الحد من هذه الآثار مكلفة، ولا يرجى فائدها الآن بل يمكن الوصول إلى ذلك تدريجياً؛ وبالتالي فإن النظرة الاقتصادية الصرفة الآنفة والقاصرة دون اعتبارات بيئية أو اجتماعية تكون آثارها وخيمة على السكان وعلى البيئة مستقبلاً.

ب- الأسباب الاجتماعية:

لا يمكننا اعتبار الغنى وحده مسبباً لتلوث البيئة الحضرية، فالفقر أيضاً يساهم أيضاً ولو بشكل أقل من سابقه؛ فإذا كان مستوى الرفاهية والتقدم يقاسان بما يستهلكه الفرد من طاقة وما يطرحه من نفايات مختلفة التي تؤثر على البيئة وتفسد جمالها وإنسانيتها؛ فإن الفقراء وهم يبحثون عن المطالب السابقة (معيشة أفضل) سيجدون أنفسهم مكدرين في الأحياء الشعبية التي تكاد تنعدم فيها أسباب الحياة وهذا بالمدن، يضاف إليها الاجتثاث الفاحش للغابات والأحراج للتدفئة، وزرع المناطق الهامشية والمنحدرة والرعي الجائر بالمناطق الهشة بالأرياف للحصول على الغذاء.

ومن المفارقات العجيبة التي تستدعي الوقوف والتأمل أن الشعوب الفقيرة وفي سبيل تحقيق الغذاء تضطر إلى إنتاج محاصيل غير غذائية لتصديرها ثم تستورد مواد غذائية لإطعام سكانها. وأكثر من هذا فالفقر يؤدي إلى تدهور البيئة عندما تستترف الشعوب القانطة قاعدة مواردها مضحين بالمستقبل في سبيل الحاضر.

ج- الأسباب التكنولوجية والتقنية:

تساهم التكنولوجيا وبشكل كبير في تقدم الدول والشعوب، فبفضلها تحسنت أوضاع حياة الإنسان لاسيما الاجتماعية والصحية منها فزاد متوسط عمره وتمكن من إيجاد حل لمشاكل عديدة كادت تعرقل تقدمه فارتفع عدد السكان عدة مرات وزاد معه الإنتاج وتنوع.

إلا أنه وبالمقابل فقد عملت التكنولوجيا على مضاعفة النفايات وساهمت في انتشارها، فالصناعة وما تنتجه من مواد مختلفة وما تستهلكه من طاقة وما تطرحه من مخلفات صلبة وسائلة وغازية تحقن الهواء والتربة والماء بملوثات يصعب التخلص منها بل ويستحيل معالجتها أحيانا؛ إلى الزراعة وما تحدثه المبيدات والأسمدة على التربة والمجاري ومن تم على الإنسان والحيوان والنبات.

إن التكنولوجيا مفخرتنا بالأمس كونها ساعدت الإنسان مرات ومرات وما زالت تستجيب لتطلعاته وآماله، هاهي اليوم وللأسف تلقي بسمومها على صانعها، وهي تتجه نحو القضاء عليه نهائيا، ولا ريب في ذلك لأننا أسأنا استعمال مفاتيح الحضارة فانقلبت علينا؛ فالتغيرات المناخية وتسخين الأرض والضباب الدخاني والأمطار الحمضية وثقب الأوزون والأمراض الغريبة الفتاكة هي كلها من إفرازات التكنولوجيا غير الموجهة.

د- الأسباب الأخلاقية والتربوية:

إن أنانية الإنسان وجهله تلعب وبشكل كبير في تدني مستوى البيئة، فاحتكار التكنولوجيا في أيدي دولا دون أخرى، و تحكم بعض الأفراد في المال والأعمال، يؤدي في أحيان كثيرة إلى التعدي على المبادئ والأخلاق بين الأفراد في الثانية، وإلى انتهاك المعاهدات والمواثيق بين الدول والحكومات في الأولى.

إن الدول الغنية تحاول اليوم أكثر من أي وقت مضى لتحقيق الرفاهية والأمان وضمان بيئة سليمة وصحية لأبنائها ولا سبيل لها سوى السعي وراء امتلاك التكنولوجيا وتوعية أبنائها وتربيتهم وتحسيسهم على احترام الطبيعة وضرورة التعايش معها، إلا أنها وبالمقابل لا تلتفت إلى الدول المتخلفة الفقيرة بل وفي أحيان كثيرة تلقي بمخلفاتها في أجواء وتراب ومجاري هذه الدول المستضعفة.

أما الدول الفقيرة فهي تسعى وراء التقدم الاقتصادي ولو كان ذلك على حساب بيئتها المتدهورة والتي تزداد تدهورا بفضل طغيان المصالح الفردية وقصر نظرهم وقلة تبصرهم للأمور وعدم جديتهم في اتخاذ القرارات وتطبيقهم القوانين وقلة مواردهم وإمكانياتهم.

لذلك نجد التفاوت في مستوى البيئة بين هذه الدول، ورغم ما تحقق من بعض التقدم في الدول المستضعفة يبقى ذلك دون الطموح؛ ومهما كانت العراقيل التي تحد من قدرات الدول النامية فيمكنها الانتصار والقفز بعيدا إذا ما بادرت إلى تحسيس أبنائها وتوعيتهم على التعايش السلمي مع بيئتهم المحلية ومن ثم قهر التصرفات الخاطئة والسلوكيات غير السليمة لهم، وسيساهم في هذه المهمة رجال الدين خاصة، وسيكون الأمر سهلا بالنسبة للمسلمين خصوصا إذا ما عرفنا أن ديننا الإسلامي الحنيف يقف بقوة ضد المفسدين والمعبثين في الأرض، ويسعى للحفاظ على البشرية ويحمي الطبيعة بما فيها.

لذلك أصبح من الواضح للعديد من المهتمين بشؤون البيئة الدعوة إلى سلوك الطرق الوقائية للتحكم في التلوث، أو عن طريق النظر لمشاكل التلوث في المدى البعد وأخذ بعين الاعتبار كجزء من التطور الصناعي الواسع النطاق للتحكم في نسب التلوث بشكل دقيق.¹⁰

4- أنواع التلوث بالبيئة الحضرية:

إن أنواع التلوث بالبيئة الحضرية عديدة ومن الصعب استعراض كل أشكالها وتحليل كل عواملها وأسبابها أو تحديد نتائجها، فبالإضافة إلى مظاهر التلوث الطبيعية التي تتميز بالموسمية والأقل تأثيرا وانتشارا هناك بعض مظاهر التلوث بالوسط الحضري أوجدتها يد البشرية في البيئة وهي ليست صورة كلية عن التلوث البيئي بالمعنى الإيكولوجي العام.

وقد خاض العلماء في هذا الجانب كثيرا وراح كل واحد منهم يصنف التلوث ويقسمه، وسرعان ما يظهر نوعا آخر منه نتيجة التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل (ظهور ملوثات ومصادر جديدة نتيجة صناعات ومواد جديدة).

وللاختصار، يصنف العلماء التلوث إلى نوعين أساسيين هما:

- تلوث مادي (ملموس).

- تلوث غير مادي (معنوي أو محسوس).

وحقيقة لا يوجد تعريف ثابت و متفق عليه لمفهوم التلوث بين الباحثين، ولكن هناك عدة اقتراحات تدور في نفس المعنى.

¹⁰ أ. عبد القادر رزيق المختار: التلوث البيئي مخاطر الحاضر وتحديات المستقبل، إوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2006، ص 22.

بالإضافة إلى أن للتلوث يؤدي إلى إف ساد عناصر البيئة، فهو يسبب أيضا تلفا للمباني والمنشآت واضطرابا في الظروف المعيشية بوجه عام.

أ- التلوث المادي:

من أهم أنواعه التلوث الغازي(الهواء)، والتلوث السائل(مياه الصرف الصحي بأنواعها، والمواد الكيماوية)، والتلوث الصلب(الفضلات المتريية والصناعية). ويعتبر التلوث المادي (الملموس) من أقدم أنواع التلوث وخطره أكثر وضوحا على البيئة، وهو لا يكاد يخلو من كل شبر من البيئة الحضرية، سريع الانتشار بعوامل المناخ، شديد التأثير على الكائنات الحية وعلى المنشآت العمومية والمباني، يمكن ملاحظته في أحيان كثيرة أو معرفته عن طريق آثاره، ويمكن قياسه لاسيما التلوث بالهواء، والتلوث بالفضلات الصلبة المتريية والصناعية.

ب- التلوث الهوائي:

يحدث التلوث الهوائي عندما تطلق المصانع والمركبات كميات كبيرة من الغازات والهبائيات في الهواء، كما يمكن أن يحدث التلوث الهوائي نتيجة لمصادر طبيعية، بشكل تعجز معه العمليات الطبيعية عن الحفاظ على توازن الغلاف الجوي وهو نوعان :تلوث خارجي وتلوث داخلي.

يحدث معظم التلوث الأول(الخارجي) نتيجة احتراق الوقود المستخدم في تشغيل المركبات وتدفئة المباني، كما يصدر بعض التلوث عن العمليات الصناعية والتجارية، فمثلاً يستخدم مركب فوق كلوريد الإثيلين - وهو ملوث خطير - في الكثير من معامل التنظيف الجاف، لإزالة الأوساخ من الملابس، وقد يؤدي حرق النفايات إلى انطلاق الدخان والفلزات الثقيلة مثل الرصاص والزنك داخل الغلاف الجوي؛ ومعظم الفلزات الثقيلة سام جدا و يطلق في كل عام مئات الملايين من الأطنان من الغازات والهبائيات داخل الغلاف الجوي.

أما التلوث الداخلي(النوع الثاني) فيحدث هذا نتيجة احتباس الملوثات داخل المباني التي تعاني أنظمة تهويتها من سوء التصميم، وأنواعه الرئيسية هي :دخان السجائر، والغازات المنبعثة من المواقد والأفران والكيماويات المتريية، وجسيمات الألياف، والأبخرة الخطرة المنبعثة من مواد البناء، مثل العوازل والبويات والأصباغ، وتتسبب الكميات الكبيرة من هذه المواد داخل بعض المكاتب في حدوث الصداع وتهيج العيون ومشاكل صحية أخرى للعاملين فيها، وتسمى مثل هذه المشاكل الصحية أحيانا متلازمة المباني المريضة.

ج- التلوث بالمياه:

لم يسلم الماء أيضا من التلوث بعدما كان طبيعيا مقطرا، وصار مصبا للتصريفات الحضرية والريفية على اختلافها(الصناعية والصحية والزراعية). وعموما وجد أن حوالي 450 كيلومتر مكعب من مخلفات الصرف بأنواعه تدخل المجاري على مستوى العالم، حيث تخفف بحوالي 6000 كيلومتر من المياه العذب، كما وجد أن حوالي 90 % من مياه الصرف الصحي بالدول النامية لا تعامل أي معاملة قبل صرفها في البيئة...وقدر الذين لا يحصلون على ماء آمن ب 1600 مليون شخص سنة 1990 ثم انخفض العدد إلى 1100 مليون شخص سنة... 1994 وأن نصف سكان الدول النامية تقريبا يعانون من مشاكل صحية مرتبطة بالماء، فالكائنات الممرضة والكائنات المحمولة في مياههم تقتل سنويا من 10 إلى 25 مليون شخص يمثلون في المتوسط ثلث الوفيات الكلية لتلك الشعوب.

وقد سارعت منظمة الصحة العالمية والدول لوضع معايير لتمييز المياه الآمنة عن الملوثة، اختلفت تلك الاشتراطات والمعايير بين الدول لكن يبقى الهدف واحد هو صحة المواطن وسلامته .بالإضافة إلى مشكلة التلوث والنوعية للمياه تعاني بعض الدول من نقص الكمية التي تصل إلى تحت خط الندرة لاسيما بدول الصحراء الإفريقية ومن بينها الجزائر.

وتتجه دول عديدة نحو ترشيد استعمال المياه والاستفادة من المياه المستعملة بإعادة استعمالها في الأغراض الصناعية والزراعية، وأيضا تقنية حصاد المياه 1 وتحلية مياه البحر رغم تكاليفها الخيالية. وبالمدن العتيقة تقتصر مشكلة التلوث بالمياه على تسربات المياه وسيلانها بالممرات الضيقة فتحدث الحفر، وهي بذلك تعيق الحركة وتسبب حوادث كبيرة للعابرين، كما تعاني أيضا من مشكلة الحفر الصحية التي عادة ما تكون حفر فردية لكل بيت، وكل من التسربات للمياه وسيلانها بالشوارع و امتلاء الحفر للصحية وانسدادها يرجع إلى قدم القنوات وعدم استبدالها لطبيعة النسيج المتراص الذي يعيق العملية ويجعلها في كثير من الحالات مستحيلة.

د- التلوث بالفضلات الصلبة :

مما لاشك فيه أن المخلفات الصلبة من أكثر أشكال التلوث ظهورها للعيان، ويمكن تقسيم القمامة إلى ثلاثة أنواع :

- فضلات المطبخ :وهي من بقايا حيوانية ونباتية.

- فضلات قابلة للاشتعال :كالورق والكرتون وجذوع الأشجار.

- فضلات غير قابلة للاشتعال: مثل المعادن علب الصفيح.

في الأحياء العتيقة تتعقد المشكلة أكثر بسبب الكثافة السكانية وضيق الشوارع وتعرجها وميل الأرضية، وطبيعة وبدائية عملية الجمع والنقل للفضلات الصلبة المترلية، وابتعاد حاويات الفضلات عن المساكن وعدم مناسبتها، لذلك تجمع بيتا بيتا وهي بذلك تهدر الوقت والجهد من دون السيطرة على الفضلات، مما يتحتم تدعيمها بأسطول من عمال النظافة، والأمر ينطبق كذلك مع فضلات الركام والمباني المتهمة طبيعيا أو المهدامة أو الناتجة عن أعمال الترميم والصيانة حيث أن نقلها على الأحمر أو البغال يعرقل المرور بالإضافة إلى المشقة والتعب مما يقلل من كفاءة عامل النظافة.

2- التلوث غير المادي:

من أهم أنواعه التلوث السمعي (الضوضاء)، والتلوث البصري (تشوه العمران)، بالإضافة إلى التلوث الأخلاقي، ويمكن اعتبار التلوث غير المادي حديث العهد مقارنة بالسابق وأن أثره لم يكن يسبب القلق كما في الوقت الراهن، فالضوضاء قديما كانت تقتصر على بعض الظواهر الطبيعية كصوت الرعد، ومثله التلوث البصري المرتبط بتطور الإنسان حيث قضى على الطبيعة من أجل التصنيع وبناء المدن وحولت الأراضي الزراعية والغابات الجميلة الساحرة إلى مواطن تكاد تغيب منها الطبيعة. ويعتبر أقل تأثيرا من سابقه، ويستثنى من ذلك التلوث الأخلاقي الذي خطره أشد على الإطلاق فالبعض منه يمكن ملاحظته (التلوث البصري) أو الإحساس بأثره (التلوث بالضوضاء)، هذا الأخير يمكن قياسه، وفي كل الأحوال يعتبر التلوث غير المادي حديث العهد إذ ظهر بتقدم التقنية والصناعة.

أ- التلوث الضوضائي:

تعتبر الضوضاء والأصوات العالية إحدى مشاكل الحضارة الصناعية وهي عنصر مستحدث من عناصر تلوث البيئة، تنتشر في كل مكان وخصوصا بالمناطق الصناعية والتجمعات السكنية التي تتكدس فيها المباني والسكان، وتزداد فيها وسائل النقل والمواصلات وتتعدد فيها حركة المرور وتختلف الضوضاء عن غيرها من عناصر التلوث الأخرى من عدة نواح أهمها:

- أن الضوضاء متعددة المصادر وتوجد في كل مكان دون أن نعرف مصدرها الحقيقي على وجه الدقة ولا يسهل السيطرة عليها كما في حالة العوامل الأخرى التي تلوث الماء أو الهواء.

- للضوضاء أثر وقتي ينتهي بانقطاعها أو توقفها.

- تختلف عن غيرها من عناصر التلوث في أنها محلية إلى حد كبير، أي لا نحس بها إلا بجوار مصدرها فقط.

- وتعتبر الضوضاء مشكلة حضرية بالدرجة الأولى، وهي إما صادرة عن البيئة العامة التي يعيش فيها وإما نتيجة العمل الذي يقوم به، وتعتبر وسائل النقل المختلفة والأجهزة الكهربائية كالراديو والسجلات والصناعات اليدوية وأعمال البناء بالإضافة إلى الضوضاء السائدة (الخلفية) المصادر الرئيسية للضوضاء في المدن.

ب- التلوث البصري:

إن ظاهرة التلوث البصري تمثل أحد المخاطر الأساسية في عصرنا اليوم، فهي تتسلل محاولة القضاء على عنصر الجمال المرتبط دوماً بحياة المجتمعات التقليدية، وقد تمكنت إلى حد ما من ذلك فقد تناقص الإحساس بالجمال لدى الكثير من المهتمين ناهيك عن العاديين منهم وصارت الصور القبيحة مألوفة في المدن والقرى على السواء، وقد اعتادت حاسة الرؤية عليه وقد يصير عرفاً وتقليداً في يوم ما.

ويسيطر تشوه العمران على كثير من مدن الدول وبدرجة أكبر بالدول النامية، فالفوضى في شكل العمارات وارتباطها بخط الأفق-خط السماء – والعشوائية التي سادت في الطرز المعمارية وشكل الطرق وما يتخللها من تنافر... ، كما أن نمط المساكن الاجتماعية من الطرز البارزة التي تشوه جمال المعمار في المدن حيث خططت مواقعها بطريقة تبعث على الملل وبنيت بمواد رديئة سهلة التلف، وصارت بقعا لتسرب مياه الحمامات ودورات المياه، بالإضافة إلى استعمال بعض الشرفات كأماكن لعش الطيور، وفي أحيان كثيرة يضم السكان هذه الشرفات إلى بقية مرافق المساكن؛ كل هذا يشوه منظر هذه المساكن ويترتب عنها أشكالاً متنافرة قبيحة في أحياء جديدة.

وبالمدن العتيقة يتجه الجمال البصري أكثر إلى الجمال الروحي، فالبنايات ذات واجهات بسيطة غير أنها مناسبة للمقياس الإنساني وتتوزع بانتظام وفي توافق مع أبعاد الطرق وأن مواد بنائها محلية، وبذلك فهي متناسبة مع المناخ وتقلباته وهي تحاول دوماً للحد من طغيان أحدهما على الآخر. ولقد وصلت الأبنية الفطرية دائماً إلى حد الجمال المتناسق منذ انتشار أسقف المنازل الحمراء بمدينة فلورنسا وحتى الخيام السوداء اللافتة للنظر للبدو الرحل.

واليوم تتعرض المدن العتيقة لاعتداءات في التصميم وتغيير في الواجهات وكأنها صارت قاعات لعرض أعمال الفنانين في الهواء الطلق فالمباني متنافرة في الألوان وغير متناسقة في الأشكال والواجهات، وكما تتعرض الطرق للاعتداء ببروز المباني بالطابق الأرضي وكذا التوسع على حساب المساحات الخضراء وهي بذلك تقضي على الجمال وتخلق الملل والرتابة.

لذلك إذا أردنا استخدام أشكال ومواد بناء مناسبة وتدوم فلنتترك عنا التقليد الأعمى ولنجعل مرجعنا في ذلك الجهات المعمارية والعمرانية المتخصصة... ونستطيع أن نحكم عليها بأنها صالحة حالياً ومستقبلاً.. بالتأكيد هناك خطط إستراتيجية مستقبلية مدروسة لتلك المشاريع.

ج- التلوث الأخلاقي:

يرتبط التلوث الأخلاقي أساساً بالتلوث الفكري والنفسي والإعلامي والتربوي، والثورة التكنولوجية الحديثة بمثابة عملة ذات وجهين :وجه تنموي مادي، ووجه تراجع معنوي .ويمكن توضيح إحدى أهم مظاهر التلوث الأخلاقي وأشدّه خطورة على الإطلاق ألا وهو الإعلام من خلال ما يلي:

-يلعب الإعلام دور مهم في توجيه أذواق البشر وأخلاقهم وسلوكاتهم، فالتقنية الحديثة أدت إلى تكثيف وسائل الإعلام التي أفسدت بإعلاناتها وبرامجها أخلاق البشر وخصوصاً الأجيال الشابة وأبعدتهم عن أصالتهم الأخلاقية ليتعلموا منها العنف والمخدرات ، وهي ملوثات نفسية وأخلاقية أدت إلى انتشار أمراض نفسية وعضوية كمرض الإيدز الذي يحصد كل عام الملايين من البشر لاسيما الشواذ منهم نتيجة السلوكيات اللاأخلاقية.

وقد امتد الخلل البيئي ليصيب الحياة الاجتماعية والصحية بأمراض لا علاج لها إلا إذا رجعنا إلى الروحيات، فالانحلال الخلقي والتوتر النفسي والقلق والخوف التي تعيشها المجتمعات، والإرهاب الذي يهدد كيان الدول، والعنف الذي انتشر في جميع الأماكن حتى داخل المدارس والثانويات وغيرها من الأماكن دليل على أن التلوث البيئي وصل إلى حد لا يطاق.

يمتد التلوث أو يتقلص بالبيئة الحضرية، وتختلف تأثيراته بين الدول الصناعية والنامية على حد سواء وبدرجة أكبر بين مدن العالم الثالث، وإذا كان التلوث المادي وما يحمله من أخطار وأضرار واضحة على الإنسان ومنتوجه المادي، فإن التلوث المعنوي صار اليوم أكثر خطراً على الشعوب والطبيعة كونه يمسح أخلاق البشر وسلوكياتهم وطبائعهم ويتربع منه الاهتمامات الجمالية فيقتل الروح الإبداعية، كما يخنق الراحة الحرارية والبصرية والسمعية ويطمس معالمها بين اهتمامات تحاول إشباع الغرائز

والشهوات وأطماع المال وهو بذلك يوجههم نحو الرداءة والعنف فتذهب القيم الإنسانية وتذوب الهمم وتتقاذفها أمواج العولمة.

وفي الأنسجة العتيقة لا تخلو البيئة الحضرية من مظاهر التلوث بنوعيه المادي والمعنوي، وتتعدد بعض مظاهر التلوث وتصل أحيانا إلى درجة الانسداد، فإذا كان التلوث الهوائي ليس من مسئولية سكان هذه الأنسجة فإن تحركه من المناطق المجاورة قد يضاعف من احتمالات الإصابات بمختلف الأمراض على الإنسان ويساهم في تلف الكثير من المباني الهشة، فهو من أخطر أنواع التلوث، ذلك أنه ينتقل وبسهولة بين الدول أو المدن عبر تيارات الهواء الأفقية والعمودية، كما يمكن للرياح أن تساهم في انتشاره فتخفف من تركيزه وبالتالي خفض سميته في وجود تضاريس تسمح بذلك. وبالمدن العتيقة يتعقد الوضع ويبلغ أقصاه لاسيما أن غياب المساحات الخضراء- تلك المصفاة الطبيعية وخزان الأكسجين- يمكن أن يلحق آثار غير مرغوبة في الصحة العمومية وكذا بالمباني التقليدية الهشة¹¹.

¹¹ عمار عماري. نفس المرجع السابق. ص70

خلاصة:

حرصت الدول على التنمية المستدامة واختلفت درجة تحقيقها بوصفها عملية تشتمل على أهداف اقتصادية واجتماعية وبيئية، كما أنها عملية تراكمية تتأسس على ما هو قائم، وهي ليست نشاطا من الأنشطة التي يترك تحقيقها للمدى الطويل، بل هي كناية عن مجموعة أعمال قصيرة ومتوسطة وطويلة الأجل وكذا مجموعة أنشطة وممارسات تهدف إلى معالجة دواعي القلق الملحة الآنية والمستقبلية. ولا مناص من سياسات عميقة الأثر وإصلاحات مؤسسية وانخراط جميع القطاعات وعلى كافة المستويات ضمنا لنيلها كونها ليست من مسؤولية الحكومة أو قطاع واحد من قطاعات المجتمع فحسب.

نرى أن أسباب تدهور المدن متنوعة أفقدتها تجانسها وانسجامها، فتغيرت معالمها ومسخت مكوناتها وأفكارها وحوورت وظائفها، فانقض عليها التلوث فجأة وجعلها تتألم وتقاوم في صمت عليها تجد من يرعاها وينقدها، وهي اليوم تقترب من كوتها جمادا يصارع الطبيعة والإنسان.

ما يحدث بالعالم اليوم من مخاطر على اختلافها التي تهدد المدن ومواطن الحياة البرية والناجمة عن الإنسان من سوء استخدامه للموارد قد جعلته اليوم يراجع نفسه ويعيد حساباته وهو بذلك قد تأخر كثيرا، وقد صدق من قال أن الإنسان بدأ حياته على الأرض وهو يحاول أن يحمي نفسه من غوائل الطبيعة وانتهى به الأمر بعد آلاف السنين وهو يحاول أن يحمي الطبيعة من نفسه".

الفصل الثالث

تمهيد الفصل

المبحث الأول : خصائص الأحياء العمرانية العتيقة

المبحث الثاني : مشاكل الأحياء العمرانية العتيقة

خلاصة الفصل

تمهيد :

هناك نوعين من المدن العتيقة بالجزائر ، الأولى بالشمال و الثانية بالجنوب (القصور) اللذان لا يختلفان من حيث اختيارهما للمواقع أو التركيب الداخلي للعناصر المعمارية وأن سبب نشأة المدن العتيقة بالشمال وبالدرجة الأولى صد الهجمات الخارجية والحماية من التوغل داخل الأراضي لذلك كان تحصينها أشد وأمتن، أما القصور فالأرجح في سبب ظهورها هو تخزين الحبوب والأعلاف للسكان والحيوان، ومهما كانت الدوافع والأسباب فإن الغاية والهدف واحد وهو حماية سكانه من خطر الطبيعة والأعداء وضمان الراحة النفسية والحرارية . و لا تكاد تختلف المظاهر الشكلية للمدن العربية وحتى الإسلامية رغم بعد المسافات واختلاف الظروف لأنها تشربت من الدين الإسلامي الحنيف بجرعات مختلفة، وأن قياس النجاح والفشل بقدر ما هو قياس لتطبيق مبادئ الدين بين المسلمين.

وسنتطرق لمعرفة خصائص هذه المدن :

لا شك أن المدن العتيقة بالجزائر تنقسم مثيلاتها من الدول العربية و الغربية لاسيما الأندلسية منها في بعض المميزات كأسس تخطيطها واختيار مواقعها ، و تصميم أحيائها ومسالكتها نتيجة تلك الحقبة الموصوفة بالصراعات المحلية والحروب الخارجية.وبالنظر إلى الفترة التي ظهرت فيها تلك المدن سنجد نوعين منها:

- أ- مدن ذات صبغة عسكرية: كقصة الجزائر و المدينة العتيقة بكل من قسنطينة وهران وتلمسان وهي نويات لمدن عسكرية تركية لصد الهجمات الأوروبية المتكررة.
- ب- مدن ذات صبغة مدنية أو دينية أو تجارية: تقع بجنوب الجزائر أو بصحرائها بعيدة عن مراكز الصراع العسكري أو الطائفي كقصور بني ميزاب بغرداية ، بالإضافة إلى بعض القصور المترامية بكل من وسط وشرق وغرب وبأطراف الصحراء الجزائرية وعمقها لأسباب التجارة مع الجنوب (السودان والحبشة).

1- التركيب الداخلي للمدن العتيقة بالجزائر:

إن التركيب الداخلي والتكوين العمراني والمعماري للمدن العتيقة في شمال الجزائر أو جنوبها لا يكادان يختلفان، وأن مرد ذلك للعوامل التاريخية والحضارية المشتركة ، فقد كان الدين الإسلامي الحنيف وعادات السكان تحرص هذه القواعد التنظيمية المثلى التي جمعت ووحدت بين المسلمين الغايات والأهداف، من الدعوة إلى الجهاد والفتح والدفاع عن أرض المسلمين وحمايتها، إلى الحجب وحفظ الحرمات، لذلك جاء هذا التكوين الفيزيائي يتفق والأسس الأمنية والسلوكية القويمة.

أ- التركيب الداخلي للقصور الصحراوية:

يتألف القصر عادة من وحدات سكنية تتلاصق وتتوسع أفقيا، وهي ذات أفنية أو أحواش، يحتوي القصر بداخله على قصبة أو قسبتين محصنتين ومسجدا جامعاً (الجامع العتيق أو الكبير)، ويمكن أن يشمل أيضا على المرافق الضرورية كالسوق والدكاكين والرحبات.

وقد يندمج أكثر من قصر، وهو ذو حدائق وغابات مشتركة غير أن لكل قصر قصبته، والأحياء قد تكون منفصلة عن بعضها بسور يفتح في أوقات السلم ويغلق في أوقات الحرب بدون أو مدعم أبراج أو يعوض بجدران البيوت الخارجية.

ويتكون القصر عموما من غرف ذات أشكال مستطيلة غير متشابهة تصل إلى مائتين أحيانا وقد تكون ذات ارتفاع أكثر من طابق، وقد عولجت العوامل المناخية طبيعيا داخل المسكن وخارجه بمعالجات معمارية وعمرانية ذكية منها الملاقف والمشربيات وسمك الجدران وارتفاعه وقد تعدد شكل القصر

وحجمه وتنظيمه والغاية من ظهوره واختلفت مواد بنائه، أما وظيفته الأساسية فهي تخزين المنتجات الفلاحية والمواد الغذائية للبدو و الرحل ومواشيهم ، وأيضا ممارسة الطقوس الدينية والاجتماعية والتربوية والتجارية وقت السلم والاحتفاء أيام الحرب. ويعتبر القصر أقل تحصينا من المدن العتيقة بالشمال، لكون خطرهما محلي فقط لبعدها عن التهديد البحري (العدو الخارجي) ، ومن أشهر قصورها (غرداية ،تاغيت، ورقلة، تقرت، بوسعادة).

وقد صاحب هذا التركيب الفيزيائي تنظيم اجتماعي قوي يسهر على ضمان راحة السكان بالبحث في القضايا وتنظيم القصر وتنميته وفق الأسس الإسلامية ووفق عادات وسكان المنطقة وأهمها نظام العزابة بقصور غرداية¹.

صورة رقم : (01)توضح قصر غرداية بمبانيه المتراسة ومسجده المهيمن



المصدر: ويكيبيديا

ب-التركيب الداخلي لمدينة الشمال العتيقة:

تعتبر المدينة العتيقة بشمال الجزائر إحدى ثمار الفن التركي والخبرة المحلية مشكلة أنسجة عمرانية مميزة وتتكون أساسا من جزأين : مدينة عليا ومدينة سفلى وتتشكل مجاليا من خمس عناصر تمثل أجهزة المدينة وهي : الجهاز الدفاعي، والجهاز السلطوي، والجهاز العقائدي، والجهاز الاقتصادي الإنتاجي والتجاري والجهاز السكني.

¹ بدره فتحة.تسيير المواقع الأثرية من منظور التنمية المستدامة حالة القصر في مدينة غرداية.مذكرة لنيل شهادة مهندس دولة2012.ص141

أ- مدينة عليا : تضم الجهاز الدفاعي، وتشمل جميع المباني العسكرية من قلاع وثكنات داخل أسوار المدينة وخارجها لاسيما بالقرب من المداخل والموانئ العسكرية، تربط هذه المؤسسات العسكرية سلسلة من القلاع والحصون والأبراج والخنادق، فالأتراك اهتموا بالأمن أكثر من اهتمامهم ببناء المدينة.

مخطط رقم (01) : يوضح مكونات القسبة القديمة بالجزائر



المصدر : محفوظ مرواني : عدم فعالية الحفاظ على المدن التاريخية، ص 17

أ- مدينة سفلى:

وتتضمن الجهاز السلطوي (يتمثل في السلطة المركزية والمرافق الحكومية التابعة لها) والجهاز العقائدي التربوي الثقافي (المسجدين الكبيرين مالكي و حنفي مت قاربين والزوايا والكتاتيب) والجهاز الاقتصادي (الإنتاجي والتجاري كأماكن النشاط والشوارع التجارية والأسواق الصغيرة أو السوقية) والجهاز السكني(أحياء المسلمين والأندلسيين، وأحياء المسيحيين واليهود منفصلة عن بعضها). وقد كانت القصور والمساجد عند التقاء الشوارع الرئيسية المدينة (الشوارع التجارية) بقلب المدينة وبعدها تحولت قصور الحاكم إلى قصبة القلعة بعيدا عن السكان والمسجد مكونة حيا وحده لخصوصية وطبيعة الحكم، أما الأحياء السكنية فهي بعيدة عن المركز والمناطق العامة للمدينة لضمان حرمة وراحة السكان من جهة ولسيطرة أماكن التجارة ومساكن الميسورين وشيوخ المساجد على المركز من جهة أخرى.

وأهم ما يميز المدن العتيقة بالشمال قلة الأبواب والمداخل ومناعة الأسوار المدعمة بأبراج المراقبة لصد الهجمات الخارجية يضاف إليها الدروب والانعطافات لدحر التمرد أو الفتن الداخلية، فغالبا ما تنتهي بعض الحارات السكنية إلى نهايات مسدودة لتوفير الشعور بالاستقلالية لكل حارة ولتوفير الشعور بالأمان لسكانها ليلا.

وتتكون المدن التركية بالجزائر و بالإضافة إلى العناصر السابقة الذكر من الحمامات المنتشرة والحدائق الرائعة، وبالأحياء السكنية وتحديدا ب وحدات الجوار توجد مرافق عمومية لتلبية الاحتياجات اليومية كالسوق أو دكان صغير وفرن الخبز وعين، وكتاب ومدرسة ومسجد صغير.

إن هذا التدرج الدقيق في التنظيم للكتل السكنية وللنشاطات التجارية يسايره تدرج الطرق والأزقة والمنافذ، والمناطق السكنية تتكون من حارات يتقاسم سكانها المصالح والعوامل الثقافية والدينية والتاريخية والعرقية، فكان حي الأندلسيين (الثغوريين) الذي يفصل بين أحياء المسلمين وحي اليهود والمسيحيين والكل متعايش في احترام.

وقد ساهم نظام الطوائف (الحرفية كالحرفيين والتجار، والدينية ومنها الأقليات المسيحية واليهودية وأقليات المسلمين الغرباء، والجغرافية أو الحارات) بشكل ملموس في تدبير حياة المدينة من الناحيتين الاجتماعية والإدارية، وقد وفرت لتلك الطوائف الإطار اللازم للتماسك الداخلي لمجتمع المدينة من ناحية، ومكنت الدولة من الإمساك غير المباشر بزمam أمور الرعية من ناحية أخرى.

أما مساكنها الأصيلة فمنها البسيطة والفخمة تبعا لموقع المسكن والمساحة التي يشغلها والحالة المادية لصاحبها، وأنها على صلة قوية بالتصميم الشرقي بالرغم من أن تصميم المسكن بشمال إفريقيا يقترب عن مثيله الإيطالي أو الإغريقي من خلال توزيع الغرف على أحد جانبي الصحن وخلفه فقط .

وبالإضافة إلى الخصائص التي سبق ذكرها تتميز المدن العتيقة بشمال الجزائر ب:

- السور الذي ظهر بظهور المدينة العتيقة وصار أحد عناصره ، وكان له دور في الحماية من الطبيعة القاسية وأيضا له الفضل في حماية الأراضي الزراعية من توسع المدن ، و أحيانا ينوب عن السور في جهات معينة من المدينة الحواجز الطبيعية والجزر التي تكفل للمدن والقرى قدرا كافيا من الحماية في عصور معينة.

-صاحب التسوير الجيد تركيب عمراني معقد نتيجة توافد عناصر سكانية على المدينة بالإضافة إلى الأندلسيين . وبالإضافة إلى الأسوار والأبواب المحدودة كان " حفر الخنادق تحت الأسوار منعا من وصول المهاجمين إلى الداخل، كقصة الجزائر التي صمدت ضد حملات المهاجمين طيلة ثلاثة قرون. - المساكن المتراسة التي تضمن الحماية وتزيد من تحصين المدينة، ولما توفره من حماية للعوامل المناخية بتحقيقها للراحة الحرارية في الأزقة والدروب و في المساكن ذات الفناء الداخلي أو ذات الحوش، وكذا ضمان الهواء الصحي بها.

- الجامع يتوسط المدينة ويتصل بباقي أجزائها بطرق تتفرع من مداخله وتنتشر في أجزاء المدينة والطرق مخططة لمرور الناس والدواب بعضها مسقوف والبعض الآخر منها مكشوف، وتنتشر على جوانبها المساكن والمدارس والزوايا، وغالبا ما تكون منحنية ومتدرجة.

- الطرق أغلبها مظلة وهي بذلك توفر راحة حرارية للمارين والساكين، وهي أقل حرارة من المحيط الخارجي بسبب جدرانها العالية وسقوفها . وقد تخصص بعض الطرق بالأسواق التجارية إضافة لوظائف ثانوية، تكون مفتوحة لتسهيل ربط الأسواق، هذه الأخيرة لا تخترق المساكن ولا الطرق المؤدية إليها.

- الإهتمام الكبير بالطبيعة والمساحات الخضراء لاسيما داخل القصور ومساكن الأثرياء ، وبالبساتين خارجها.

- سمح النسيج المتضام بتلطيف الجو على المشاة صيفا لقصر المد الشمسي في الممرات الضيقة وأن التشعب الشمسي للمساكن لا يكون إلا في السطوح المستوية وبنسبة أقل على صحن (أفنية) المساكن .

- تقع الواجهات بالأزقة الضيقة بعيدا عن الشوارع الكبرى وعن التيار البحري أثناء الشتاء ، وهي بسيطة ومعظمها غير متقن وليس في " مستوى الثراء الفني لمنازل تونس والقاهرة، تعلوها ظلة، ووظيفتها لا تقتصر على وقاية الداخل من المؤثرات الطبيعية المختلفة بل تقي المنتظرين أمامه . أما الغرف بالمسكن الأصل فتتمتاز باستطالتها وبساطتها، فهي تأخذ مساحة أضلاع المسكن رغم طولها المبالغ، وتكسي جدرانها وسقوفها لاسيما السفلية منها بالمربعات الزخرفية، أما الجزء الباقي منها الزخرفة الجصية أي بالزخرفة الهندسية عموما .

- يعتبر الصحن أو الفناء العصب الحيوي والمجال المركزي للمسكن الأصلي بتوسطه لأجزاء المبنى ويختلف بالمبنى الكبير منه في المبنى البسيط (من المحتمل أن ينفصل عن السقيفة بالمسكن الكبير)، وبين الصحن والغرف وبقية المرافق الأخرى توجد أروقة تقوم بدور المعدل للحرارة من جهة، ومن جهة أخرى تقوم بدور الاتصال فيما بينهما ، بالإضافة إلى إضفاء طابع الجمال على القصر ، وتتشابه الصحنون في شكلها المربع وانخفاض مستواها عن مستوى الأروقة بمقدار سنتيمتر في نقطة الانطلاق وثلاث سنتيمترات عند فوهة المجال الذي أسفل الصحن " ، وتبليط بالرخام ذي الأضلاع السداسية، ونادرا ما يكون اختلاف في توزيع أقسام المسكن حول الصحن.

- تتخذ السقيفة مكانا بارزا وتقوم مقام غرفة الاستقبال ويختلف مكانها من مسكن لآخر، مساحتها بسيطة تنفتح على الصحن مباشرة يحجبها عنه الباب ولا يفتح إلا للضرورة، به قليل من المقاعد لاستقبال الضيوف غير القريبين من الأهل.

- تتوفر بعض القصور والمساكن الواسعة على الملقف بنهاية السقيفة الكبرى، غير أن الملقف بالجزائر يختلف عن ملاقف الصحراء والمشرق العربي . ففي المشرق يقتصر وجوده على تجديد حركة الهواء البارد بينما هو بالجزائر وخاصة العاصمة يؤدي وظيفتين رئيسيتين بالإضافة التي ذكرت سابقا فهو يزود المبنى بكمية لا بأس بها من الضوء للسقيفة الكبرى، لذلك يسمى البئر الضوئية".

- المساكن وغيرها من المكونات العمرانية تبني بمواد البناء المحلية.

- تصميمها يتفق مع المقياس الإنساني سواء في المكونات الداخلية للمسكن أو بالخارج كهندسة الشوارع والأزقة والساحات.

-تتصل جدران المساكن وتتماسك، كما تعلوا جدرانها تعبيراً عن التحام سكانها ولحماية المدينة من أثر العوامل المناخية وتأكيداً لحرمة فناءاتها.

-يتفق النسيج العمراني مع التقاليد الحضارية السائدة، ومن تفاعلات كثيرة أهمها العوامل المشتركة في الحياة الاجتماعية والاستجابة للشروط الحضارية للمجتمع ومنها الوازع الديني كالمحافظة والتزام بحدود اللياقة الأدبية والأخلاقية هذا بالإضافة إلى ذلك العادات التركيبية ، لهذا بنيت مساكن الجزائر بنمط التضام حيث تبدوا وكأنها كتلة واحدة أو على شكل مدرج حسبما يتخيله القادم من البحر طبقا لمرفولوجية المدينة المتضرس، فضلا عن بروز الرواشن (الأواوين) المقتضبة عن المسكن فالتصقت بعض المباني لذلك وغطت الممرات الضيقة والطرق لتصبح على شكل أسبطة (سباطات) مع التوائها وتشعبها إلى تفرعات دقيقة غالبا ما تنتهي إلى بيت يحدها أو إلى ساحة صغيرة هي بمثابة انطلاق لحارة أو حارات أخرى.

مما سبق يتضح لنا بعض أوجه التشابه والاختلاف بين القصور الصحراوية ومدن الشمال العتيقة المحصنة من أهمها نذكر:

لا يختلف كثيرا النسيج الحضري العتيق ب شمال الجزائر عن القصر بجنوبها فكلاهما نسيج عمراني مدمج أو متضام، شكله شبه دائري عادة لاعتبارات دفاعية ، والطرق متعرجة ومتدرجة تنتهي بأزقة مسدودة و الجامع يأخذ موقعا بالمركز لأهميته الكبيرة وثقله السياسي والاقتصادي والديني، والمداخل محدودة وفي اتجاه المدن المجاورة، والصور يحمي المدينة أو القصر، وتحيط بهما عادة أو بالقرب منها بساتين وواحات لتغذية السكان.

أما أوجه الاختلاف بينهما" فالقصر القديم يختلف عن المدينة العتيقة بالشمال من حيث:

- القصر لا علاقة له بالسلطة المركزية كما هو الحال في المدينة العتيقة.
- الملكية شبه عامة في القصر، فلا يجوز التصرف بأي من الممتلكات دون موافقة الجماعة.
- صعوبة توسع القصر مقارنة بالمدينة، فعند ازدياد عدد السكان يمكن بناء قصر آخر كقصور غرداية.
- قد يتلاحم ويتداخل قصران أو أكثر ينتميان إلى أنماط مختلفة مكونا قصرا واحدا.
- ويمكن أن نضيف هنا أيضا أن نسيج المدينة العتيقة بالجزائر يكاد يتوافق مع باقي الأنسجة العتيقة بباقي الدول كونه مركز الجذب لسكانه ولكل المجموعات المحلية المحيطة ، كما لا يختلف في الشكل العام عن بقية المدن الإسلامية من حيث توزيع نقاط الجذب بوسط المدينة والتي تشتمل على عدة مراكز أساسية تقوم عليها المدينة وتحتاج إليها ولا يستكمل إطارها إلا بها:
- مقر دار الإمارة وقصور حكام المدينة أو القصب.
- المسجد الجامع وبقية المساجد الأخرى.
- الأسواق الكبرى ومنطقة التجار الموزعين حسب الاختصاص.
- الطريقان الرئيسان و المعروفان بمحور المواصلات ينطلقان من الأبواب ويلتقيان بالسوق المركزي الذي لا يبتعد عن القصر.

تعتبر الجزائر من الدول الغنية بتراثها الثقافي والحضاري، ورغم بعد المسافات واختلاف المعطيات المناخية والطبيعية بها فإن تشكيلاتها المادية تكاد تكون صورة طبق الأصل في القصور الصحراوية وبمدن الشمال العتيقة، وهذا راجع للعوامل التاريخية والدينية والثقافية والاجتماعية الراحية لها، وقد ساهم الدين الإسلامي ومبادئه التي تدعو إلى الستر والحفاظ على الحرمات والتعاون والترابط في إنتاج هذا النسيج العمراني المتماسك والملتحم الذي يوفر الراحة والمتعة والأمان والاقتصاد ، وظل كذلك عدة قرون حتى قهرته القوى الاستعمارية المختلفة الأشكال والمظاهر وصارت هذه الأحياء تنعت بالتخلف والانحطاط.

وتتشترك المدن العتيقة بشمال الجزائر عن القصور الصحراوية العتيقة في العديد من المظاهر الشكلية (المكونات العمرانية والمعمارية)، كما تتقاسم الكثير من الصفات رغم اختلافها في بعض الأسس التنظيمية كالقصور الصحراوية ذات الملكية الجماعية أو شبه جماعية أما بالمدن التركية فتحكمه النقابات المحلية والتنظيمات الاجتماعية.²

² بلقاسم تارش. إعادة هيكلة مركز مدينة غرداية. جامعة المسيلة. ص 123

1- مشاكل المدن العتيقة بالجزائر:

تتخبط المدن الجزائرية العتيقة كغيرها من المدن العربية القديمة في مشاكل تعددت أسبابها وتباينت آثارها السلبية من مدينة إلى أخرى، وإجمالاً يمكن حصر المشاكل وأسبابها في نقاط أساسية أهمها:

- مشكلة التوسع السريع والفوضوي أو تضخم مدنها بسبب النمو الديمغرافي والهجرة ترك تفاوت وتمايز بين الأحياء في المدينة الواحدة وتسبب في القضاء على الأراضي الزراعية والبساتين التي كانت تمون المدينة العتيقة بالغذاء وتمدها بالهواء النقي وتلطف مناخها.

- مشكلة التخلص من الفضلات الصلبة والصرف الصحي بسبب النسيج العمراني المتضام ومواد البناء التقليدية الهشة، وما قد يحدثانه من مخاطر على صحة السكان وراحتهم وعلى سلامة المسكن عند الشروع في تنفيذ مختلف التدخلات العمرانية أو المعمارية.

- تدهور و ضعية الأحياء والمساكن بسبب العوامل الطبيعية (المناخ)، وكذا العوامل البشرية (الهجرة والتروح والاستعمار)، وعدم صيانتها أو تجديدها أدت إلى تغييرات مستمرة تصاميم المساكن وتحوير أو فقدان بعض وظائف عناصره التي كانت تتعدد حسب الفصول والظروف، وأيضاً ضيعت تفاصيلها وقضت على توازن المسكن وتكامل عناصره، خصوصاً وأنها ذات أكبر معدل لشغل المساكن والغرف.

- تلاشي الأهمية الريادية للحي أو تفريغ مركزه الريادي من محتوياته العصبية تفريغاً كلياً أو جزئياً، وعدم تلبية الحي والمساكن التقليدية للاحتياجات من المرافق الضرورية أو السكنية لأبنائهم من الأسرة الممتدة، أدى إلى نفورهم من الحي تاركيه للوافدين الجدد، وما قد ينتج عنه من تعرض الطرق والساحات وتصاميم المساكن وواجهاتها لاعتداءات تفقدتها خصوصياتها.

- غياب الشعور بالأمن والراحة النفسية في المسكن أو الشارع نتيجة الحركات والهجرات للقاطنين الجدد إلى الحي العتيق، مما ساهم في تدني مستوى الأخلاق وانتشار العادات السيئة وتدني حب شعور الانتماء للحي.

- تدني مستوى البيئة الحضرية بسبب التلوث بنوعيه المادي والمعنوي وما ينجم عنه من مشاكل صحية ونفسية واجتماعية على السكان.

- مشكلة العقار بسبب كثرة ورثة المسكن الواحد وعدم توفر مجالات للتوسع الأفقي أو العمودي تجعل اتخاذ الإجراءات أو التدابير العملية لحل مشاكل هذه الأنسجة تطول وتتعدد وتصبح العملية شبه مستحيلة.

- غياب المساحات الخضراء بسبب أعمال التوسع للمساكن أفقيا وعموديا مما يقضي على أشجار عمرت طويلا وكانت لا تفارق المسكن وتمده بظلالها وثمرها وهوائها، وهو بذلك يقطع حلقة أو وصلة من أوصال المدينة العتيقة المعجزة ويحرم حقها من الجمال الطبيعي للأشجار كما حرّمها من البساتين³.

2- أسباب تدهور المدن العتيقة بالجزائر:

ساهمت عدة أسباب في تدهور المدينة العتيقة بالجزائر، ومن أهمها نذكر:

2-1- الأسباب التاريخية:

المتتمثلة في الاستعمار، حيث هدمت معظم أحيائها بالكامل أو جزئيا لتقام عليها مدن أخرى غريبة الطابع و الشكل والمضمون، وظهر أحياء موازية إن تقلت فيها الفعاليات الاقتصادية والسياسية والإدارية، فمسخت بذلك أفكارها وفلسفاتها وغيبت معانيها الواضحة. وفقدت تجانسها والتحامها، فالمدن القديمة كانت منبر العلم والعلماء وحصنا عسكريا يربط فيه الجند للجهاد ومركزا تجاريا مهما لتبادل المنتجات والسلع.

2-2- الأسباب السياسية:

لاهتمام المسؤولين بتحسين الحالة الاقتصادية والزراعية للبلاد على حساب السكن، ثم التوجه نحو بناء الأحياء الحديثة والعصرية استجابة للتطور الحاصل وتماشيا وبناء الدولة القوية بوسائل وأدوات عمرانية موروثة عن الاستعمار بينما لا يلتفت إلى الأحياء العتيقة كونها قد تجاوزها الزمن، وتمنوا استبدالها تماشيا مع ما يحصل بالعالم من الرغبة في التخلص من كل قديم، ولحسن الحظ لم يكتب لها النجاح بالجزائر لاصطدامها بالمشاكل المالية. إلا أنه سرعان ما عاد الخطر من جديد تحت تسميات متعددة قبل أن تظهر الحركة المضادة والاتجاه المعاكس لهذا الرأي بالعالم.

2-3- الأسباب التمويلية:

إذ تصادمت المشاكل التمويلية التي تتطلبها مثل هذه الأحياء للمحافظة على شخصيتها وطابعها المتميز مع خيارات أخرى كهدمها وبنائها من جديد أو تنمية مناطق أخرى، وإذا ما طغت مثل هذه الاعتبارات المالية في التخطيط يمكن أن تزهق أرواح ومآثر الشعوب ومفاخرها، ويمكن أن نذكر كذلك غياب المساهمات المحلية سواء من المالكين للمساكن أنفسهم أو من الدولة أو الجمعيات المتخصصة أو من رجال الأعمال أدى وبدرجة كبيرة إلى فشل الصيحات التي تطلقها العديد من الدراسات المتخصصة لها

³ زيداني حليلة. سبق ذكره. ص158

كما أنه لمحدودية البرامج التمويلية العالمية في مثل هذا المجال واقتصاره على المصنف منها دون غيرها وبمساهمات لا تكاد تغطي كلفة التغطية التقنية، فإن مثل هذه البرامج أو الانشغالات تبقى تخمينات أو آراء لا ترقى إلى المستوى المطلوب ولم تكتب لها النجاح.

2-4- الأسباب التقنية والتكنولوجية:

لما يتطلبه مثل هذا النسيج من خبرة تقنية ويد فنية متخصصة ومثل هذه المؤسسات غائبة بالجزائر.

2-5- الأسباب الثقافية:

نتيجة الانفتاح على الغرب و وعلى حساب التراث أدى إلى التخلي تدريجيا عن الهوية والتقاليد المعمارية الموروثة والمتركمة ولم يتفطن لمخاطرها إلا في السنوات الأخيرة.

2-6- الأسباب الاجتماعية:

مظاهر التمايز بين الأحياء السكنية جعلت سكان الأحياء العتيقة في رحلة بحث عن شروط حياة أفضل تاركين مساكنهم للوافدين الجدد من الريف أو من المدن المجاورة ، مما أثر على مسألة الخصوصية والعلاقات غير الرسمية السائدة عدة قرون خلت، وبذلك اختفت العلاقات الاجتماعية المبنية على أساس القرابة والدم فاتحة المجال للعلاقات الرسمية ، وانتشرت العادات القبيحة بها كالسرقة والاعتصاب والتشرد والقتل وغيرها وهي غريبة على مجتمعه المحافظ . مما جعلت معظم السكان الأصليين أو من الوافدين الجدد ينفرون من حب الانتماء لمثل هذه الأحياء.

2-7- العوامل المناخية والتلوث:

فبالإضافة إلى عوامل التآكل الطبيعية بفعل الرياح والحرارة والأمطار والفيضانات وتعاقبهما أدى إلى تهديم العديد من المساكن والأحياء التقليدية ذات المواد المحلية البسيطة وضعيفة المقاومة ، هناك أيضا خطر التلوث الهوائي - الخطر الساحق - بالأنسجة العتيقة كونها ضعيفة التكوين والتركيب والمقاومة لأدنى المؤثرات الخارجية لاسيما ضرر الأمطار الحمضية على المباني و بدرجة أكبر مواد البناء والأصباغ حيث تجعلها تتصدع نتيجة تآكلها وتحللها ويمكن أن تتهدم وبالتالي تشكل خطرا على السكان وعلى صحتهم.

2-8- الأسباب الأخلاقية:

تأثرت الأخلاق كثيرا نتيجة وسائل الاتصال الحديثة من تلفزيون وأنترنت وهواتف نقالة وكذا الهجرتين السرية والقانونية لأبنائنا نحو الدول الغربية بحثا عن العمل وتحسين المستوى العلمي والاجتماعي، كان له الأثر الكبير في تأثر الشباب وأدى إلى مسح الشخصية الإسلامية المتميزة لاصطدامه بالثقافة المادية الغربية، حيث اهتموا بالمظاهر الشكلية وابتعدوا عن الخصوصية.

هكذا نرى أن أسباب تدهور المدن القديمة متنوعة أفقدتها تجانسها وانسجامها، فتغيرت معالمها ومسخت مكوناتها وأفكارها وحوورت وظائفها، وهي اليوم تقترب من كونها جمادا يصارع الطبيعة و يتصدى للتلوث الذي انقض عليها، فهي تتألم وتقاوم في صمت علها تجد من يرعاها وينقدها ⁴.

⁴ مايكة لعباني. إعادة هيكلة مراكز المدن القديمة. حالة مدينة سكيكدة 1996. ص 145

خلاصة :

لا تكاد تختلف المظاهر الشكلية للمدن العربية وحتى الإسلامية رغم بعد المسافات واختلاف الظروف لأنها تشربت من الدين الإسلامي الحنيف بجرعات مختلفة، وأن قياس النجاح والفشل بقدر ما هو قياس لتطبيق مبادئ الدين بين المسلمين.

و لا تختلف مشاكل المدن العتيقة بين الدول العربية من حيث طبيعتها وأسبابها غير أنها تختلف من حيث حجمها وتأثيراتها كونها تعرضت تقريبا لنفس المؤثرات الخارجية من استعمار وتبعية معمارية وبعدها تدمير وتهميش وتلوث.

الفصل الرابع

تمهيد الفصل

المبحث الأول : تجربة مدينة الأردن

المبحث الثاني : تجربة مدينة الدرعية بالرياض

خلاصة الفصل

تمهيد :

تزداد أهمية المدينة العتيقة أو قيمتها الحضريّة إذا كانت لا تزال محتفظة بأنماط حياة الناس من مهن قديمة و تقاليد معيشية عريقة و ملابس و أطعمة و حوانيت و أسواق، كل هذه الأنماط التي يحكم استمرارها الاقتناع بها و موافقتها للعادات والتقاليد السائدة و التي تربط إلى حد كبير بطبيعة العقيدة الدينية، و رغم أهمية هذه المدن إلا أنها تتعرض لتدهور حقيقي، بتغيير في معالمها و أحيانا إلى الاختزال التدريجي لمحتوياتها و على الرغم من الجهود المبذولة للمحافظة عليها، فهي بحق تواجه تحديات متنوعة و سنتطرق من خلال هذا الفصل إلى التعرف على بعض المدن العتيقة في العالم العربي التي تعرضت للتدهور.

إن شأن مدينة الكرك القديمة شأن المدن الأردنية القديمة الأخرى، مع خصوصيتها من حيث موقعها وتاريخها، بقيت المدينة ضمن حيزها المكاني والمتمثل في موقعها على قمة جبل على الرغم من زيادة عدد السكان عبر المراحل الزمنية حتى نهاية عقد الستينيات من القرن العشرين، ومنذ بداية عقد السبعينيات من ذلك القرن، ونتيجة للتحويل السياسي ورغبة الحكومات المتتالية في تحقيق التنمية الشاملة من خلال التخطيط العمراني عبر مخططات التنظيم الهيكلية، بدأت المدينة تشهد تحولات اجتماعية وسكانية واقتصادية وثقافية وعمرانية واضحة.

اعتمد مخطط التنظيم الهيكلي لمدينة الكرك القديمة على نظام الحركة الموجود والمتمثل في الطرق والممرات الضيقة وعلى ملكيات الأراضي التي اتصفت بصغر مساحاتها التي أنتجت الظروف الاجتماعية كالتكوين العشائري للمدينة والمنطقة المحيطة بها.

ازدادت الكثافة السكانية للمدينة بسبب زيادة عدد السكان على المساحة الفعلية للمدينة المحصورة بين الأودية السحيقة من جميع الجهات والناجمة عن الزيادة الطبيعية والهجرة اليومية من جميع مناطق المحافظة، كون المدينة هي المركز الإداري لمحافظة الكرك، تعرضت المدينة لضغط شديد على مختلف الخدمات كنظام الحركة، وخدمات البنية التحتية، والخدمات الإدارية والعامة والتجارية، مما انعكس على نسيجها العمراني الحضري وبيئته، وكانت هناك حاجة إلى إعادة النظر في مخططها الهيكلي في منتصف فترة التسعينيات من القرن الماضي بعد توسع المدينة إلى مناطق المرج والصباحيات والثلاجة - من خلال تحديث المخطط والذي يعتمد على مطابقة المخطط التنظيمي للواقع وتقسيم الأراضي - إفرزات الأراضي الحديثة وتغير صفة بعض الاستعمالات، وبناء على ذلك تم اعتماد مدينة الكرك القديمة بأنه تجاري مركزي، وأخرجت الحرف والصناعات من مدينة الكرك القديمة إلى منطقة الحوية - المنطقة الحرفية-، كما تم إخراج عدد كبير من الدوائر الإدارية الرسمية للاستعمال الإداري -ولم يبق إلا مديرتان وهما مديرية التربية والتعليم ومديرية السياحة والآثار، محاولة للتخفيف من الضغط الشديد على مدينة الكرك.

1- الدراسات ذات العلاقة بالتجديد الحضري لمركز المدينة:

أ- الدراسات العالمية:

تناولت الدراسة العالمية في بريطانيا السياسات المطروقة في حقل التجديد الحضري وتنفيذها وقد كانت هناك ثلاثة أشكال للتعامل مع التجديد الحضري في بريطانيا وهي :-التدخل من خلال التشريعات والقوانين، التطوير والتدخل من خلال التمويل والضرائب، التطوير والتدخل من خلال التغيرات التنظيمية والوكالات الجديدة.

أ- التدخل من خلال التشريعات والقوانين، وُضِعَ نظام تخطيط المدن بعد الحرب العالمية الثانية، واعتمد في تحديد مواقع الاستعمالات المختلفة وتشكيل هيكل التجديد الحضري في كثير من المدن، ووفق قانون تخطيط المدن والمجالس والمناطق لعام 1947 والذي يوجب تحديد مواقع استعمالات الأرض وكثافتها ووفق القانون المدني لعام 1967 والذي يعطي السلطة لتحديد مناطق المحافظة من حيث المناطق التي يجب أن تحسن أو يحافظ عليها، وقانون تخطيط المدن والمناطق لعام 1968 تعرض للتجديد الحضري بشكل موسع حيث حدد المناطق المراد الحفاظ عليها، والمناطق التي بحاجة إلى التغيير، وحدد الموقع العام لخطوط النقل المهمة ومقترحات التطوير الرئيسية، وحدد أهداف السياسة لمخططات المنطقة ومناطق العمل الفوري لإعادة التطوير والتحسين، ووفق قانون الإسكان لعام 1969 والذي يمكن السلطات المحلية من تحديد وتصميم مناطق تحسين عامة للمباني المنفردة، التي يجب أن تحسن أو تزال وإدارة المرور وتحسين البيئة ومن الأمثلة على مثل هذا التدخل -دراسة مراجعة استراتيجية مركز مدينة لفربول.

ركزت المراجعة للإستراتيجية على مشكلة عملية التجديد الحضري في مركز المدينة، ففي عام 1988 قامت هيئة تخطيط مدينة لفربول بوضع مخطط لعشرين سنة قادمة، ووضع المخطط للتجديد الحضري المستقبلي لنمو الوظائف والاستثمار، وتعد الوثيقة مهمة في سياسة التجديد الحضري كونها توفر إطاراً شاملاً للتجديد لكل منطقة اجتماعية واقتصادية، معتمدة على حاجات مركز المدينة من خلال الرؤى الآتية :- تقوية الروابط بين لفربول ومناطقها وتحسين نظام الحركة للمشاة والمركبات كونها متداخلة غير آمنة، وتوفير مواقف السيارات من خلال إعادة تخمين للحركة الداخلية وتقويمها، وتطوير البيئة كون مركز المدينة له تراث معماري وتاريخي غير مكتشف، وضواحي ذات مستوى بيئي متدنٍ. وتعرضت الوثيقة لتوفير مراكز التمويل للخدمات البيئية وتطوير السياحة من خلال مخطط السياحة الذي شمل تحسين عناصر الجذب الرئيسية وإنعاش خدمات الزوار والتسويق والوظائف السياحية وسياسات التدريب وتغيير المتطلبات التجارية والمداخل غير الكفوء لها، ووضعت مخططات في منطقة المحافظة لدراسة الطاقات للموجودات المادية وزيادة فرص الإسكان من خلال إعادة توطين الناس في مركز المدينة من خلال استراتيجية وسياسة إعادة التجديد والبناء في بعض الأحياء، وتقوية الأهمية الفنية والثقافية لمركز المدينة وتكوين صورة إيجابية للمنطقة كونها تعاني من أشكال عامة سيئة نتيجة الاستثمار، وجزء من سياسة التجديد الحضري هو إعادة تفعيل الوضع.

أما فيما يتعلق بتحديد قائمة المباني والمناطق للمحافظة عليها فتعتمد المحافظة للبلدة على المساحات الكبيرة أكثر منها من الاعتماد على المباني المنفردة، ووفق قانون تخطيط المدينة أو المنطقة لعام 1972 فإن دائرة البيئة هي المسؤولة عن تحديد أي الأجزاء التي لها خصائص مميزة واهتمامات كمناطق

حفاظية من خلال شراء وتسجيل الأراضي التي يمكن فيها التطوير لغايات الطرق وبرامج الإزالة للمناطق العشوائية.

ب- التطوير والتدخل من خلال التمويل والضرائب، حيث وضعت البرامج الحضرية الهادفة لتعاون وتنسيق المنظمات ذات العلاقة مثل القطاع الخاص والمجتمع المحلي مع السلطات المحلية، وهذه البرامج هي من أكثر العناصر التي تدعم وتمول من الحكومة المركزية لمشاريع المدينة الداخلية.

ج - التطوير والتدخل من خلال التغيرات التنظيمية والوكالات الجديدة، حيث أسست القاعدة القانونية لتعاونيات التطوير الحضري عام 1980 من خلال الحكومة المركزية وقانون التخطيط والأراضي، وهذه التعاونيات لها القدرة على اكتساب الأرض وإدارتها واستغلالها لتنفيذ الأعمال الإصلاحية وتوفير الطرق وخدمات البنية التحتية الأخرى، وأسست أول وكالة في لندن عام 1981 ولغربول تمول من الحكومة المركزية، فضلا عن التدخل والتطوير من خلال الوكالات والتنظيمات العامة المتغيرة الأخرى ومن خلال وكالات خاصة خيرية.

ب- الدراسات المحلية لمدينة الكرك القديمة:

أجريت عدة دراسات تتعلق بمدينة الكرك القديمة ذات صلة بالتجديد الحضري وأساليبه وهي:

1- دراسة خطة التطوير الإقليمية المتكاملة لمحافظة الكرك والطفيلة ومنطقة ذيبان التي أجريت بالتعاون ما بين وزارة التخطيط والتعاون الدولي الأردنية ووكالة الإنماء اليابانية لعام 1988 .

هدفت الخطة إلى جملة أهداف خاصة وهي بأن تكون مركزاً إقليمياً للسياحة والتجارة والإدارة والنشاطات الحرفية والتصنيعية، ضمن عدة برامج متمثلة في برامج التنمية الحضرية، من خلال نقل الوظائف الإدارية والتجارية من مدينة الكرك القديمة إلى منطقة التوسع - الكرك الجديدة - مع إقامة منطقة سكنية على مستوى جيد، وبرنامج الكرك مدينة المتحف - ذات وظيفة سياحية-، لتطوير جميع أنحاء المدينة القديمة لجعلها مدينة متحف لتطوير السياحة بإعادة بناء القلعة وسور المدينة، والاستفادة من مكان الأبنية الإدارية ليصبح ميدان القلعة الذي سيستغل للجوانب الترويحية والثقافية، والبرنامج الحرفي والذي يهدف إلى ربط الصناعة الحرفية بالتنمية السياحية لتوفير فرص عمل وتنمية دور المرأة وتوجيه التوسع العمراني والأنشطة السكانية والاقتصادية والاجتماعية والتخصص الوظيفي والربط بين شطري المدينة القديمة والجديدة.

يلاحظ مما سبق ما يأتي: اقترحت الخطة أولاً: بقاء مركز المدينة -الكرك القديمة- وثانياً: نقل النشاطين الإداري والتجاري منها إلى منطقة التوسع - الكرك الجديدة-، وكانت البرامج مركزة على الجانب السياحي مثل تنفيذ برنامج تطوير السياحة المتعلقة بالقلعة وإزالة بعض الأبنية الإدارية واستغلال مكانها للأغراض السياحية، وبرنامج التنمية الحضرية والذي نفذ من خلال نقل جميع الوظائف الإدارية من مدينة الكرك القديمة إلى مناطق التوسع، والبرنامج الذي نفذ جزء منه من خلال مخططات التنظيم التي

صدقت في منطقة الصبحيات والمرج، والذي اقترح ربط المدينة القديمة بمناطق التوسع العمراني، إلا أنه لم يتم الربط بين شطري المدينة عمرانياً أو حتى من خلال الطرق التي اقترحتها الخطة كالجسور المباشرة التي تربط منطقة المرج بالكرك القديمة، ولم يتم اعتمادها على مخططات التنظيم وتصديقها لصعوبة تنفيذها من الناحية الطبوغرافية وارتفاع كلفة تنفيذها، كما أن الخطة لم تدرس الجوانب البيئية والمتمثلة في شبكة الطرق الداخلية للمدينة، ووضع المناطق السكنية البيئي في المدينة القديمة.

2-دراسة تخطيط التنمية الحضرية في الكرك وهي دراسة حالة مدينة الكرك القديمة للباحث أحمد السحيمات استكمالاً لمتطلبات التخرج لدرجة الماجستير في الجامعة عام 1990 .

تطرق الباحث إلى الخصائص العمرانية والمتمثلة في الإسكان والخدمات في المدينة القديمة كوضع السكن من حيث طبيعة السكن ملكاً أم مستأجراً ووضع المساكن وحالتها الإنشائية المهجورة والمتردية ونوعية مواد البناء، والإجراءات المتخذة من قبل الساكنين على مساكنهم، وإدراكهم لمفهوم التراث، وتوصل إلى عدة نتائج تتعلق بالسكان في المدينة، والإمكانات المتاحة في المدينة والمعوقات، وأسباب مشاكل المدينة والمؤثرة في طبيعة المسكن والعوامل المؤثرة في عملية الهدم والتطوير، وخلص إلى بعض التوصيات من خلال السياسات والإجراءات لتحقيق التنمية السكانية والمحافظة على تراث المدينة. يلاحظ من خلال هذه الدراسة أنها مفيدة من حيث المؤشرات المهمة لعملية التجديد الحضري للمدينة القديمة كوضع المساكن ووضع على الرغم من مرور خمس عشرة سنة، تم من خلالها تعرض المدينة إلى تراجع أكثر في وضعها البيئي والصحي، إلا أنها اقتصرت على الجوانب التنموية والتي تعرضت للسياسات التنموية دون التطرق لسياسات التجديد الحضري، وكان هناك جملة سياسات وإجراءات مهمة فيما يتعلق بموضوع التجديد الحضري كالمحافظة على الأبنية ذات الطابع التراثي من خلال إجراء مسح شامل عليها وترميمها وصيانة المساكن للمحافظة على طرازها وإدخال تعديلات ونشر الوعي بأهمية التراث وإصدار تشريع للحد من الهدم للأبنية ذات الطابع التراثي وتوفير التمويل اللازم.

3 -دراسة المحافظة على النسيج العمراني وهي تشمل دراسة للنسيج العمراني الحضري للحي المسيحي في مدينة الكرك القديمة للباحث أيهاب عمارين استكمالاً لمتطلبات التخرج لدرجة الماجستير في هندسة العمارة من الجامعة الأردنية عام 1993.

هدف الدراسة بشكل أساسي هو المحافظة التاريخية للحي المسيحي في مدينة الكرك القديمة، فضلاً عن جملة أهداف جزئية من حيث المحافظة على النسيج التاريخي القائم وتحسين حالته والسيطرة على النمو ورفع مستوى الوعي الشعبي للقيم التاريخية للنسيج العمراني والوصول إلى بيئة عمرانية صحية ومتوازنة، وتطرق الباحث إلى مشكلة الاكتظاظ، وأسبابه وتوصل إلى نتائج تتعلق بأسباب المشكلة من حيث تداخل استعمالات الأراضي ومحدودية المساحة كونها مركز محافظة الكرك الإداري والوضع

الطوبوغرافي والجانب الاجتماعي فضلا عن النتائج المتعلقة بعوامل تغير الشخصية للنسيج العمراني التاريخي التي عزّاهّا إلى عوامل أولية وثانوية كالعامل الثقافي والتي تعد سبباً في ظهور عوامل نفسية واجتماعية واقتصادية وتقنية، والنمو السكاني وما واكبه من تقنية وتطوير، والعوامل البيئية والزمنية، واقتراح الباحث عدة سياسات في الإطار العمراني والتاريخي من حيث استعمالات الأراضي كالحد من الاستعمالات الحرفية شبه الصناعية كالحداثة والنجارة واقتراح صناعة تسهم بتقوية الشخصية التقليدية كالصناعات التقليدية فضلا عن اقتراحات في الأطر الاقتصادية والمؤسسية والشعبية، وتوصيات تتعلق بأنواع المرور والمركبات، وتتعلق باستعمالات الأرض من حيث الكثافة في المناطق والعلاقة التبادلية بين نظام الحركة والأنشطة الإنسانية، وتتعلق بنمو النسيج العمراني داخل المدينة القديمة -النمو الرأسى- يلاحظ من هذه الدراسة أنها مفيدة من حيث اعتماد أحد أساليب التجديد الحضري والمتمثل في الحفاظ التاريخي فضلا عن مقترحات خاصة باستعمالات الأراضي ونظام الحركة إلا أنها لم تتعرض لما يأتي:

1- التعامل مع مدينة الكرك القديمة كوحدة واحدة إنما اقتصر على الحي الشمالي للمدينة (الحي المسيحي) لوجود نسبة لا بأس بها من الأبنية.

2- اعتماد أسلوب الحفاظ التاريخي للحي دون التطرق للأساليب الأخرى ذات العلاقة بإعادة التأهيل والتطوير الشامل.

3- التعامل مع أسلوب الحفاظ التاريخي من حيث تقديم اقتراحات عملية على مستوى الأبنية المنفردة وليس على مستوى النسيج المتكامل والمرتبط مع مناطق المدينة الأخرى على الرغم من وجود اقتراحات تتعلق بأسلوب الإملاء الحضري من خلال إضافة أبنية أو إكمال جزء من النسيج مع العلم بأن مدينة الكرك القديمة بشكل عام تعاني من مشكلة الفراغات المفتوحة والفضاءات - أي أنها ليست بحاجة إلى أسلوب الإضافة - لارتفاع الكثافة إنما هي بحاجة إلى إيجاد فراغات مفتوحة وتوسيع الشوارع خاصة الرئيسية عند الضرورة.

لم تتعرض إلى الأبنية الحديثة ذات الأوضاع العمرانية الرديئة والمشوهة خاصة الأبنية الداخلية وغير الموجودة على الشوارع من حيث أسلوب التحسين لرفع مستواها الصحي وكذلك محيطها كون هذه المناطق أصبحت تكون مكاره صحية وبالتأكيد سوف تؤثر في الأبنية التاريخية وشخصية المدينة ككل - الانطباع العام للمدينة- فضلا عن علاقة الأمكنة والأبنية التاريخية بمحيطها السكني والتي أصبحت أماكن للنفايات خاصة الأبراج والأسوار لعدم وجود مقترحات تتعلق بتنسيق المواقع مع وجود بعض المقترحات لبعض المناطق مثل البرك التاريخية واستخدامها كفراغات ترويحية.

4- المشاريع المنفذة للأغراض السياحية في مدينة الكرك القديمة ذات العلاقة بالتجديد الحضري

1- مشروع البنك الدولي مشروع السياحة الثاني مشروع الكرك السياحي الفوري والذي يتكون من عدة عناصر مثل كشف الخندق الأثري الذي يقع أسفل الجهة الشمالية للقلعة وربط القلعة بجسرين للدخول للقلعة وكشف بوابة القلعة الشمالية وواجهتها وتبليط ساحات المشروع وإنارتها وإنشاء كافيتيريا ومركز اتصالات وبنكاً ومطعماً ومرافق عدة عناصر مثل كشف الخندق الأثري الذي يقع أسفل الجهة الشمالية للقلعة وربطه بجسرين للوصول إليها وكشف بوابة القلعة الشمالية وتبليط ساحات المشروع وإنارتها وإنشاء كافيتيريا صحية ومسرحاً ومدرجاً ومركزاً لبيع التحف وقاعات للمحاضرات وربط المسجد الحميدي بعناصر المشروع ومكوناته وعمل فرشاة حجرية بأسقف من خشب سكة الحديد الحجازي الملغاة، ونفذ المشروع من خلال مستشار محلي.

صورة رقم(2): ترميم المباني التراثية



المصدر :محفوظ مرواني :عدم فعالية الحفاظ على المدن التاريخية،

صورة رقم (03): ترميم وإعادة التأهيل للمباني التراثية أمام القلعة



المصدر: محفوظ مرواني : عدم فعالية الحفاظ على المدن التاريخية

صورة رقم (04): واجهة القلعة الشمالية



المصدر: محفوظ مرواني : عدم فعالية الحفاظ على المدن التاريخية

صورة رقم (05): النفق الشمالي و الجسور المعدنية



المصدر :محفوظ مرواني :عدم فعالية الحفاظ على المدن التاريخية

صورة رقم(06):ترميم المباني التراثية و تبليط الأرضيات و إقامة أدرج



المصدر :محفوظ مرواني :عدم فعالية الحفاظ على المدن التاريخية

2- مشروع تطوير وسط المدينة القديمة من خلال وزارة السياحة ووزارة الأشغال العامة بالتنسيق مع بلدية الكرك، يهدف تطوير وسط المدينة القديمة سياحياً من خلال تطوير شارع الملك حسين من مدخل القلعة إلى ميدان صلاح الدين إلى غايات سياحية وتطوير وسط القلعة بإعادة تنظيم الكرك والممرات السياحية، وتضمن المشروع تحسين الممرات السياحية داخل القلعة، وتحسين متحف القلعة وتحسين مركز زوار الكرك وأعمال تحسين شارع المجمع وشارع الملك حسين وشارع السرايا وإقامة نقاط مشاهدة على ارتفاعات متفاوتة، وتم الانتهاء من تنفيذه عام 2001 ، وتضمن المشروع الأول إزالة

بعض الأبنية الموجودة أمام القلعة والمتمثلة في مبنى المحافظة القديم ومبنى المحكمة وإنشاء ساحات ومدرجات في مكانها، أما المشروع الثاني والمتعلق بتطوير الشوارع فقد اعتمد على إعادة تبليط الأرضيات لتلك الشوارع ولم يتعرض لواجهات الأبنية والمحلات التجارية والأبنية المجاورة سواء التراثية أو الحديثة من حيث الترميم وإعادة الاستعمال.

صورة رقم (07) (08) (09): أعمال الترميم داخل القلعة



المصدر: محفوظ مرواني : عدم فعالية الحفاظ على المدن التاريخية



المصدر: محفوظ مرواني : عدم فعالية الحفاظ على المدن التاريخية



المصدر :محفوظ مرواني : عدم فعالية الحفاظ على المدن التاريخية

صورة رقم(10):الشارع المؤدي إلى مدخل القلعة الرئيسي باتجاه القلعة



المصدر :محفوظ مرواني : عدم فعالية الحفاظ على المدن التاريخية

3- مشروع ترميم المدرسة العثمانية التي أسست عام 1898 وهو مشروع نفذ من خلال مؤسسة إعمار الكرك وشمل صيانة شاملة للمدرسة من الداخل والخارج من أجل إعادة تأهيلها فضلا عن أعمال الأرضيات والأسوار والبوابة الخارجية.

2-الخصائص العمرانية والبيئية لمدينة الكرك القديمة (الإسكان والخدمات) المستخلصة من دراسة تخطيط التنمية الحضرية في الكرك للباحث أحمد السحيمات

✓ صغر مساحة المدينة ومحدوديتها والخط الوظيفي لاستعمالات الأرض ووجود مشاكل الاكتظاظ وعدم وجود المساحات الترفيهية.

- ✓ التوسع الرأسي للأبنية على الأقبية والكهوف تحت مستوى الأرض الطبيعية، والتي تسبب في وجود مشكلة حدوث انهيارات وتصدعات المباني والشوارع ومشاكل تصريف مياه الأمطار.
- ✓ تردي أوضاع المساكن ووجود المساكن المهجورة والمتردة.
- ✓ إن العوامل الاجتماعية والمتمثلة بالتكوين العشائري والعائلات قد أدى دوراً في توزيع السكان وتجمعهم على مستوى الأحياء.
- ✓ تلاصق المباني وعملية الهدم المستمرة من قبل السكان إذ إن 12.4% من السكان قد أجروا تعديلات على مساكنهم و 9.1 % يرغبون في إجراء تعديلات وإن 94,4% من الذين لم يجروا تعديلات كان السبب هو عدم ملائمة المسكن.
- ✓ صغر المساحات المملوكة نتيجة أسلوب التنظيم التجاري المركزي، من خلال السماح بإفرازها إلى مساحات صغيرة إذ شكلت المساكن التي تقل عن مساحتها عن 150 م² 77.9% والتي تزيد على تلك المساحة 22.1%
- ✓ وشكلت المساكن المبنية من الطوب 1.8% والمبنية من الخرسانة 60.2% والمبنية من الحجر 38% من مجموع المساكن، حيث يلاحظ هناك تراجع في استخدام مادة الحجر نتيجة لاستخدام مادة الخرسانة والكلفة المادية العالية لها.
- ✓ و 71.7% من الساكنين هم مالكون و 28.3% منهم مستأجرون.
- ✓ شكلت الشقق 63.7% من المساكن و شكلت البيوت المستقلة 36.3% من المساكن.
- ✓ و 40% من المساكن لا تتوافر لها ارتدادات قانونية نتيجة تأخر الجهات الرقابية والمتمثلة في الرقابة البلدية على ضرورة الالتزام بالارتدادات القانونية والتي ساعدت على تدهور الأوضاع الصحية للمساكن لها.
- ✓ تبلغ نسبة الأبنية التي بنيت قبل 115 سنة 2.7% وقبل 65 سنة هي 15.9% وقبل 35 سنة هي 33.6% وأقل من 35 سنة 47.8% حيث تمت عملية البناء في الفترة الأخيرة على حساب المباني التراثية.
- ✓ و إن 19.5% من العينة كان مفهوم التراث يعني لهم قدم المسكن و 72.6% منها لا يعني لهم شيئاً و 7.9% منها لا يوجد لهم فهم وإلمام بمعنى قيمة تراثية مما يدل على أن إدراك السكان لأهمية التراث الحضاري ما زال قاصراً.
- ✓ إن 76.1% من المساكن مرتبط بشبكة التصرف الصحي و 16% لا يرتبطان بالتصريف الصحي بسبب صعوبة المنطقة.
- ✓ ويرى 54.9% من السكان أن المساكن مناسبة، وأن 27.4% يرون أنها لا بأس بها وأن 17.7% من السكان يرون أنها غير مناسبة ويرغبون في الانتقال إلى مناطق خارج المدينة.

✓ ضيق الشوارع وعدم استيعابها لحركة السير وقلة توافر مواقف السيارات وعدم توافر مرافق سياحية وقلة الفضاءات الترويحية والحدائق وضعف التمويل المحلي والوطني والعجز المالي للبلدية (الإدارة المحلية).

صورة رقم (11)، (12): استخدام جوانب الشوارع الضيقة كمواقف للسيارات



المصدر :محفوظ مرواني :عدم فعالية الحفاظ على المدن التاريخية



المصدر :محفوظ مرواني :عدم فعالية الحفاظ على المدن التاريخية

صورة رقم(13): هدم الأبنية واستخدام الأرض كمواقف للسيارات



المصدر :محفوظ مرواني :عدم فعالية الحفاظ على المدن التاريخية

شكلت الحاجة إلى وجود حدائق للأطفال نسبة 61.1% من العينة، والحاجة إلى وجود مواقف سيارات لتلك الحدائق 32.7% من العينة.

✓ تمتاز المدينة بالإمكانيات التطويرية والتي تتلخص بالموارد البشرية والقيمة العمرانية للمدينة والثقافية والإمكانيات السياحية والمتمثلة في الآثار كالقلعة والأبراج والصور وبعض الأبنية التراثية العامة كالجامع والمدرسة العثمانية.

✓ توجد عدة معوقات كالمعوقات السكانية كمعدل النمو السكاني والمعوقات الطبوغرافية للمدينة، والمؤثرة في البنية التحتية والطرق، ومعوقات الجيولوجية للمدينة، والمشايعة في الملكية من خلال تفتيتها إلى مساحات صغيرة، وعدم الالتزام بالتشريعات المتعلقة بمختلف الاستعمالات.

النتائج العامة:

❖ إن العامل الجغرافي والذي يعد عاملاً ثابتاً من حيث الموقع ومحدودية مساحته الملائمة للعمران طبوغرافياً فضلاً عن العامل العمراني الأثري - القلعة والخندق - والمعزولة كلياً عن المناطق الملائمة للتوسع العمراني يعد العامل الأساسي الأولي في المشكلة لأنه المكان الضيق للتفاعلات والنشاطات المتغيرة مع الزمن.

❖ أدى ارتفاع الكثافة السكانية إلى زيادة الطلب على الخدمات المختلفة الحديثة مع وجود البعد الثقافي للعامل الاجتماعي من خلال التحول الثقافي والتقني العام للمجتمع الأردني مما أدى إلى تنوع الاستعمالات وكثافتها العالية بسبب العامل الجغرافي.

❖ العامل التخطيطي والمتمثل في غياب أسلوب التخطيط الحضري الذي يتعامل مع مراكز المدن، لعدم وجود معرفة في التجديد الحضري وأساليبه رغم وجود قانون تنظيم المدن والقرى واحتوائه على

بعض أفرع المواد التي تتعرض لهذا الشأن مع وجود تنوع وكثافة عالية للاستعمالات أدى إلى وجود الخلط في الاستعمالات والعشوائية فيها.

❖ لم يتعرض قانون تنظيم المدن والقرى رقم 79 لسنة 1966 بإسهاب للتجديد الحضري وأساليبه الواجب إتباعها في مراكز المدن القديمة رغم تعرضه لبعض الحالات مثل مخططات التنظيم الهيكلية الفقرة 2 ق من المادة 19 والتي تنص على "إزالة الأحياء القديمة والمزدحمة أو المتناقضة مع مقتضيات التنظيم وإعادة تخطيطها وكيفية إنشائها وتنظيمها وتحسينها وفرض شروط خاصة لمنع إصدار رخص البناء في المناطق المذكورة"، وفي مخططات التنظيم التفصيلية فقرة 6 من المادة 23 والتي تنص على أن " يبين على مخطط التنظيم التفصيلي أية منطقة ترى اللجنة المحلية للتنظيم وبموافقة لجنة التنظيم اللوائية أنها في حاجة كلياً إلى تنظيم من أجل الغايات الآتية:

أ- إعادة تخطيطها على أسس حديثة بسبب قدمها أو بليها أو سوء تنظيمها.

ب- بقصد تغيير مواقع السكان والصناعات.

ج -بقصد تحقيق أي غاية من الغايات المبينة على المخطط."

❖ العامل التخطيطي من خلال الخطط الحضرية والإقليمية والتي لها بعد إقليمي كوجود جامعة مؤتة والتوسعات التنظيمية جهة المناطق الشرقية والجنوبية الشرقية في المناطق السهلية وعدم التوسع في الجهات الأخرى ليصبح موقع المدينة موقعاً متوسطاً ومنطقة تقاطع قد جعل من موقع المدينة القديمة موقعاً هامشياً غير حيوي خاصة في الليل وعمل على نقل المركز إلى منطقة الثنية.

❖ العامل الاقتصادي والتمثل في استخدام استعمال التجاري المركزي شجع على تفتيت الملكية إلى مساحات صغيرة مع وجود الكثافة السكانية، و أدت إلى ارتفاع قيم الأراضي وخاصة في الشوارع الرئيسية الداخلية والتي شجعت السكان على التوسع الرأسي إلى أربعة طوابق أحياناً من أجل استغلال الأرض اقتصادياً.

❖ التوسع العمراني الرأسي والعامل الجيولوجي أديا إلى حدوث آثار جيولوجية على طبقات الأرض من خلال حدوث تشققات في المباني والشوارع وانزلاقات نظراً إلى وجود الأقيية والكهوف تحت مستوى الأرض الطبيعية فضلاً عن طبيعة التربة الجيرية الموجودة.

❖ العامل الزمني من حيث تردي أوضاع المساكن القديمة بحيث أصبحت مهترئة ومهجورة مع الزمن.

❖ هناك بعض المحاولات في مجال التجديد الحضري إلا أنها لم ترق إلى التعامل مع جميع القطاعات كونها تتعلق بالقطاع السياحي من خلال المشاريع المتعلقة بالمواقع التاريخية كالقلعة وترميم المدرسة العثمانية.

❖ هناك عدة برامج اقترحتها خطة التطوير الإقليمية الشاملة لمحافظة الكرك والطفيلة ونفذ بعض منها لها علاقة بالتجديد الحضري والتي تتعلق بقطاع السياحة والإدارة من خلال نقل المراكز الإدارية من المدينة وكذلك القطاع الصناعي من خلال نقل الصناعات الحرفية.

❖ هناك عدة دراسات تتعلق بمدينة الكرك القديمة من حيث المحافظة التاريخية ومن حيث التنمية ذات العلاقة بأحد أساليب التجديد الحضري توصلت إلى عدة نتائج وقدمت مقترحات قيمة في هذا المجال.

❖ هناك عدة دراسات عالمية تطرقت إلى عدة سياسات وتدخلات في حقل التجديد الحضري منها دراسة مراجعة إستراتيجية مركز مدينة لفر بول في بريطانيا والتي لها أهمية في مجال التجديد الحضري كونها توفر إطاراً شاملاً للتجديد الحضري من خلال عدة أفكار ورؤى تطويرية من خلال التمويل والضرائب والتدخل من خلال التغيرات التنظيمية والوكالات الجديدة.

❖ هناك عدة مقومات للتجديد الحضري يمكن الاستفادة منها في تجديد مركز مدينة الكرك القديمة.

❖ هناك عدة دوافع للتجديد الحضري لمدينة الكرك القديمة لوجود عدة مشاكل تتعلق باستغلال

الأرض والاستعمالات وتحديث أنظمة الخدمات والتحكم في أنظمة الحركة وتحسين مستوى الرصيد

السكني وظروفه البيئية والحفاظ على القيم التاريخية والموروث الحضاري.¹

¹ مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية-المجلد الثالث و العشرون-العدد الثاني-2007-س.العاسفة-س.جبوري-ي.الزعي.التجديد الحضري كاسلوب لمعالجة مراكز المدن.حالة مدينة الكرك القديمة مدينة الاردن.ص246

1- التعريف بالدرعية:

تقع الدرعية وسط الجزيرة العربية في الجزء الشمالي الغربي على مسافة ٢٠ كم من مدينة الرياض على بعد 20 كم، وهي ترتفع عن سطح البحر بنحو 700م. يحدها من الشرق مدينة الرياض ومن الغرب وادي حنيفة ومن الشمال طريق العمارة، ومن الجنوب مركز عرقة (الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، 2009).

مخطط رقم (02): موقع محافظة الدرعية



المصدر: ويكيبيديا

2- مخطط البيئة والطبيعة بالدرعية:

يعتبر وادي حنيفة من أبرز المعالم الطبيعية التي تتمتع بها منطقة الدرعية، ويحتوي على معظم ما تبقى من مظاهر البيئة التقليدية والمتمثلة في القرى والبساتين والمزارع المنتشرة فيه، ويزخر الوادي بالكثير من المقومات الزراعية والتراثية والترويحية التي تتيح تطويره كمصدر ترويحي وزراعي وتنقيفي لسكان مدينة الرياض (الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، 2009).

3- التراث العمراني بالدرعية:

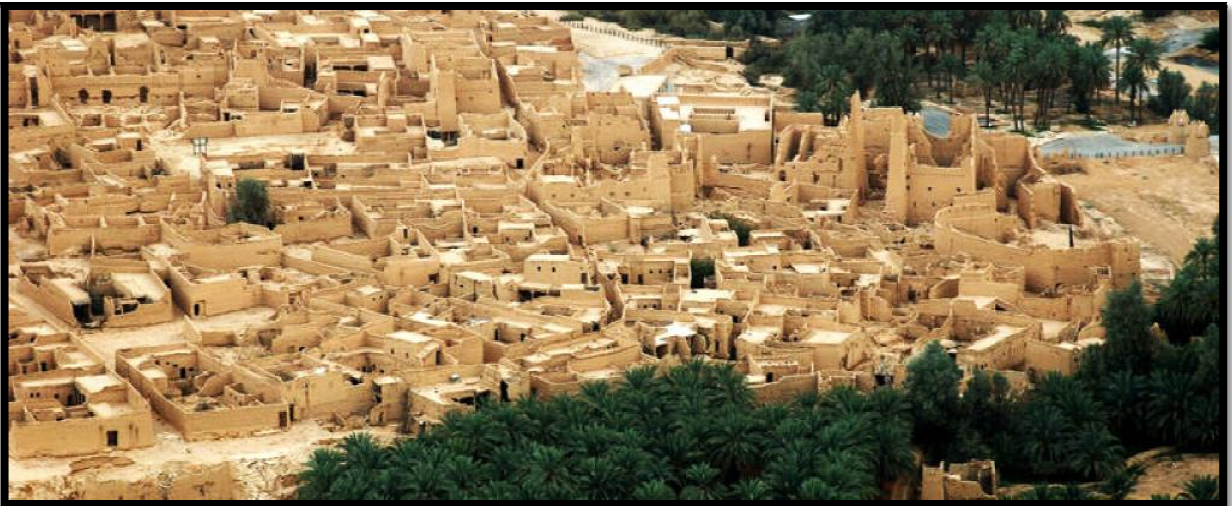
- تتكون الدرعية القديمة من نسيج من الأحياء القائمة على ضفاف وادي حنيفة (حي الطريف وحي البجيري)، تفصلها التكوينات الطبيعية والأودية والمزارع، ويتكون كل حي من نسيج متضام من الوحدات السكنية تتخللها الشوارع والأزقة المتعرجة، وتتمثل أبرز المنشآت العامة في قصور الأمراء والأئمة والمساجد والساحات والميادين.

- تم بناء الدرعية القديمة من مواد البيئة المحلية مثل الحجارة والطين وجذوع الأشجار، وتتفق جميع المباني في طريقة البناء حيث استخدام الحجارة في الأساسات والأعمدة، في حين يستخدم الطوب اللبن في الجدران والحوائط، أما جذوع النخيل والأشجار وجريد النخيل في الأسقف (الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، 2009).

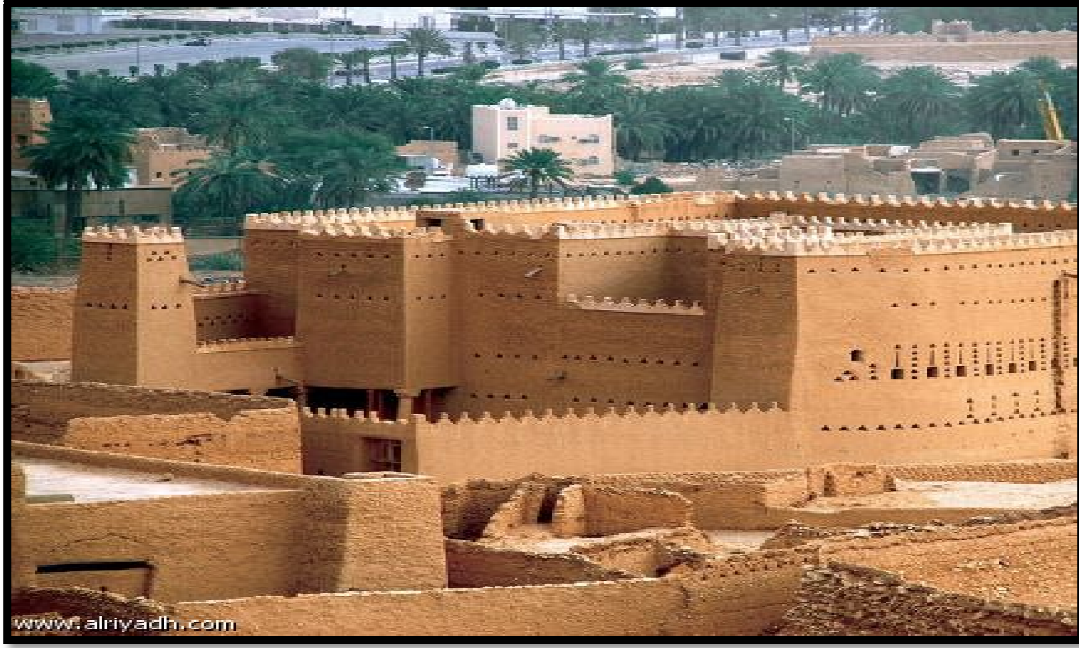
صورة رقم (14)، (15)، (16)، (17): المباني التراثية بمدينة الدرعية



المصدر : ويكيبيديا



المصدر : ويكيبيديا



المصدر: ويكيبيديا



المصدر: ويكيبيديا

4- مشروع الحفاظ على التراث العمراني وتطوير الدرعية التاريخية:

وضعت الهيئة العامة لتطوير مدينة الرياض فكرة التطوير على أساس الاعتماد على استغلال المزايا التي تتمتع بها الدرعية، وقد أظهرت نتائج الدراسة التي أعدتها الهيئة أنه لا يمكن تطوير الدرعية التاريخية بمعزل عن تطوير الدرعية الحديثة.

أ-هدف برنامج التطوير:

يهدف البرنامج الذي وضعته الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض ، إلى تطوير الدرعية التاريخية من خلال إعمارها وتحويلها إلى مركز ثقافي وحضاري على المستوى الوطني وفقاً لخصائصها التاريخية والثقافية والعمرانية والبيئية، بما يجعلها قادرة على التكيف مع متطلبات العصر، بالإضافة إلى جعلها منطقة جذب سياحي من خلال المحافظة على تراثها التاريخي.

ب- الجهات المشاركة في مشروع التطوير:

الجهات الحكومية :تتولى الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض أعمال التخطيط والإنشاء والإدارة الحضرية والتشغيل، والتنسيق بين الجهات الحكومية الأخرى والأفراد والقطاع الخاص، بالإضافة إلى بناء شبكات المرافق العامة والطرق، أما باقي الأجهزة الحكومية ذات العلاقة، سوف تتولى إدارة بعض المرافق والأنشطة الأخرى وتشغيلها، واستقطاب الاستثمارات الاقتصادية والسياحية لكامل الدرعية التاريخية.

القطاع الخاص :الاستثمار في بعض برامج التطوير وأنشطته وفق المخطط الشامل لتطوير الدرعية التي وضعته الهيئة.

مؤسسات المجتمع المدني :تنظيم المشاركة التطوعية من قبل الأفراد والمؤسسات لزيادة الوعي والثقافة البيئية لدى السكان المحليين للمحافظة على التراث العمراني في الدرعية التاريخية.

الخبراء :تم إشراك مجموعة من الاستشاريين من خارج المملكة دراسة الوضع الراهن، وإعداد الفكرة التطويرية، ووضع برنامج تنفيذي وتقدير تكلفته، وهي " وكالة التراث والتنمية – من المغرب"، و"جماعة تصميم المجتمعات من مصر".

ج- إستراتيجية تنفيذ مشروع تطوير الدرعية التاريخية:

طبقاً لمجلة تطوير(2008) فقد وضعت الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض إستراتيجية شاملة لتطوير الدرعية التاريخية لإعادة توظيف ما احتوته من تراث عمراني وطبيعي بما يتناسب مع أهميتها التاريخية والسياسية مع دمجها في الحياة اليومية للبيئة المحيطة، مع الالتزام بقوانين وتشريعات حماية التراث الطبيعي والثقافي، إضافة إلى الاعتبارات الخاصة بحي الطريف كنموذج متفرد في طرازه المعماري وكحي تاريخي له خصوصيته في تاريخ المملكة الحديث، وفيما يلي عرض لإستراتيجية التنفيذ:

- 1- تم عمل دراسة للوضع الراهن، عن طريق المسح الميداني للدرعية القديمة والحديثة، وجمع معلومات عن السكان والمزارع والعمران والاقتصاد القائم.
- 2- تأسيس إدارة للإشراف على تراث الدرعية التاريخية، وإعداد الدراسات المتخصصة والدورات التدريبية للقوى العاملة في مجال حماية التراث العمراني.
- 3- وضع خطة لرفع مستوى وعي السكان، وتشجيع مشاركة الأفراد والسكان المحليين في عملية التطوير بمساعدة مؤسسات المجتمع المدني.
- 4- تشجيع القطاع الخاص في المساهمة في أعمال التطوير من خلال الاستثمار والتوظيف لإمكانيات الوادي الطبيعية والحضارية بما يتفق مع بيئته.

وقد تم التخطيط لإستراتيجية تطوير الدرعية لتتم على أربعة مراحل وفقاً للتالي:

المرحلة الأولى : تطوير حي الطريف والعمل المتحفي به، وذلك من خلال تطوير الحي وإعادة تأهيل مجموعة من المباني التاريخية لتحتوي الأنشطة المتحفية والسياحية والثقافية التي تبرز تاريخ الدولة السعودية الأولى، كما يتضمن إقامة مركز ثقافي علمي في حي البجيري.

المرحلة الثانية : إقامة مركز ترفيهي في حي البجيري حول الساحة المركزية، وتشمل سوق الحرف التقليدية ومجمع المطاعم ومجموعة المحلات التجارية، بالإضافة إلى مجموعة المكاتب والوحدات السكنية، وتأهيل المباني والمنشآت الطينية في حي البجيري لإعادة استخدامها في الخدمات الفندقية (سكن للسياح) بشكل يلاءم طبيعتها، مع استغلال العناصر المميزة لها.

المرحلة الثالثة : دعم مشاريع التطوير الثقافية والتراثية والخدمية والسياحية في حي الطريف وحي البجيري، بنظام متكامل من الطرق الموصلة وشبكات المرافق العامة ومواقف السيارات واللوحات الإرشادية.

المرحلة الرابعة : وتختص بالأنشطة والفعاليات الموسمية التي تتضمن العروض التاريخية والثقافية المتعلقة بتاريخ الدولة، وكذلك الأنشطة الاحتفالية الشعبية التي تهدف إلى تنشيط المنطقة بشكل يناسب بيئتها الثقافية والعمرانية.

د- تمويل مشروع تطوير الدرعية:

- 1- تم التمويل من قبل الدولة السعودية، حيث تم تخصيص مبلغ (14 مليون ريال سعودي) للبدء في أعمال التخطيط والدراسات اللازمة لبرنامج التطوير.

2- تم طرح مجموعة من المشروعات المحددة على القطاع الخاص لتمويلها والاستثمار في الدرعية بما لا يتعارض مع الحفاظ على التراث العمراني والطبيعي.

5- المراحل التنفيذية لتطوير الدرعية التاريخية:

تنقسم الخطة التنفيذية في مشروع تطوير الدرعية إلى ثلاثة مجموعات رئيسية من المشاريع: هي مشاريع حي الطريف، ومشاريع حي البجيرى، ومشاريع الطرق وشبكات المرافق العامة.

أولاً : مشاريع حي الطريف:

تم إعداد مشاريع حي الطريف وفق منهجية محددة، من خلال الوضع في الاعتبار الحرص التام على تطبيق محددات الحفاظ على التراث العمراني في مشاريع الترميم والتأهيل والاستخدام، وأن تتماشى أعمال التطوير مع مقررات اليونسكو العالمية لحماية مواقع التراث الثقافي.

المشروعات التي تم تنفيذها بحي الطريف هي:

أ. مشروع التوثيق البصري والأثري: ويشمل رفع مساحي للمباني الأثرية وتوثيق أثري للعناصر المعمارية، وتم ذلك من خلال استخدام وسائل توثيق متعددة كالرسوم والصور والتصوير التلفزيوني.

ب. مشروعات الترميم الأثري: وتمت على أربعة مستويات:

- الترميم الكامل لجميع عناصر المبنى الداخلية والخارجية.

- الترميم وإعادة التأهيل، لعناصر المبنى الداخلية والخارجية وتأهيله للاستخدامات المتحفية والإدارية.

- ترميم الأطلال، من خلال إبقاء عناصر المبنى القائمة وتدعيمها وحمايتها من التدهور.

- ترميم الواجهات المطلّة على الشوارع والممرات فقط.

ج. باقي المشروعات التي دخلت في حيز التنفيذ طبقاً للهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض (2009) هي:

1- متحف الدرعية بقصر سلوى والذي يعرض تاريخ الدولة السعودية الأولى، بالإضافة إلى عرض الصوت والضوء على الأطلال الخارجية لقصر سلوى.

2- متحف الحياة الاجتماعية، وهو يضم مجموعة من العناصر التي تعرض جوانب الحياة اليومية والعادات والتقاليد والأدوات المستخدمة في فترة ازدهار الدولة السعودية.

3-مركز استقبال الزوار وهو مبنى حديث سيقام عند مدخل حي الطريف، والهدف منه تقديم خدمة الإرشاد السياحي.

4-المتحف الحربي، وسوق الطريف لعرض المنتجات الحرفية التقليدية، ومركز إدارة الطريف.

5-تنسيق المواقع في حي الطريف، حيث سيتم تهيئة الممرات والفراغات العامة داخل الحي ورصفها وإضاءتها بعدة أساليب تبرز القيمة التراثية للحي، وقد أخذ بعين الاعتبار عند تصميم البنية التحتية وشبكات الخدمات والتجهيزات ملاءمتها لطبيعة الطريف العمرانية والأثرية.

ثانيًا : مشروعات حي البجيري:

وهذه المشروعات لم يتم تنفيذها بعد ولكنها دخلت في حيز التنفيذ، حيث تهدف الخطة التنفيذية إلى تحويل حي البجيري إلى بوابة ثقافية خدمية للدرعية التاريخية، عبر إنشاء المؤسسات الثقافية وإقامة الساحات والميادين والمتنزهات ودعمها بالطرق والممرات الحديثة والمداخل ومواقف السيارات.

ثالثًا : مشاريع الطرق والمرافق:

طبقًا لمجلة تطوير (2010) فإنه سيتم دعم مشاريع التطوير الثقافية والتراثية والخدمية والسياحية التي يجري تنفيذها في حي الطريف وحي البجيري، بنظام متكامل من الطرق وشبكات المرافق العامة ومواقف السيارات واللوحات الإرشادية والتعريفية، وقد تم تصميم هذه الطرق والمرافق وفقًا للاعتبارات البيئية للدرعية التاريخية. وقد أكملت الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض نزع الملكيات الخاصة التي تقع ضمن المشروع، لاستخدامها في توسعة الطرق وتنفيذ مواقف السيارات، والساحات المفتوحة والمرافق الخدمية، وقد تم تنفيذ ما يلي:

-إنجاز 96% من الطرق والمداخل المؤدية إلى الدرعية التاريخية.

-إنهاء أعمال تنفيذ طريق وادي حنيفة في الجزء الممتد ضمن حدود الدرعية التاريخية بطول 6.1 كيلومترًا.

-إنجاز الأعمال النهائية لتنفيذ شبكات المرافق العامة في المنطقة التي تغطي المسافة من مدخل الدرعية الجنوبي عند ميدان الأمير سلمان إلى نهاية طريق الإمام محمد بن سعود شمالًا شاملة الأحياء الواقعة بينها و تشمل هذه الشبكات المياه والكهرباء والصرف الصحي وتصريف السيول والاتصالات والإنارة وغيرها.

خلاصة تجربة الدرعية بالرياض:

تم وضع برنامج تطوير الدرعية القديمة من قبل هيئة حكومية" الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض"، وتم وضع برنامج تطوير شامل يتوافق مع قوانين وتشريعات حماية التراث الطبيعي والثقافي، وقد نجح برنامج التطوير في تحقيق التنمية المستدامة عن طريق:

1-وضع خطة لرفع مستوى وعي السكان، وتشجيع مشاركة الأفراد والسكان المحليين في عملية التطوير.

2-عمل دراسة شاملة للوضع الراهن للدرعية القديمة، وتشمل هذه الدراسة المسح الميداني للدرعية القديمة والحديثة، وجمع معلومات عن السكان والمزارع والعمران والاقتصاد القائم.

3-الحرص التام على تطبيق محددات الحفاظ على التراث في مشاريع الترميم والتأهيل والاستخدام، وأن تتماشى أعمال التطوير مع مقررات اليونسكو العالمية لحماية مواقع التراث الثقافي.

4-تم تأسيس إدارة مستقلة للإشراف على تراث الدرعية التاريخية ومشروعات التطوير فيها، وإعداد الدراسات المتخصصة والدورات التدريبية للقوى العاملة في مجال حماية التراث، وذلك لضمان المحافظة على تراث الدرعية.

5-تشجيع مشاركة القطاع الخاص في تمويل وتنفيذ بعض المشروعات الاستثمارية المحددة من قبل الهيئة بما يضمن الحفاظ على التراث الطبيعي والعمراني للدرعية التاريخية.

برغم أن المشروع قامت بتخطيطه وتنفيذه جهة حكومية وهي " الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض"، إلا أنه لم يتم إهمال دور مؤسسات المجتمع المدني في عملية التطوير، هذا بالإضافة إلى التوعية والتدريب لأفراد المجتمع المحلي، وفي إستراتيجية التطوير التي وضعتها الهيئة، تم استغلال التراث العمراني بإعادة تأهيله لاستخدامه في الخدمات الفندقية والأنشطة المتحفية، وأيضاً تم استغلال التراث الثقافي الذي تتمتع به الدرعية التاريخية في وضع مخطط لعرض المنتجات المحلية في الأسواق الشعبية التقليدية ، وإقامة العروض والأنشطة الاحتفالية الشعبية².

² الحفاظ على التراث العمراني لتحقيق التنمية السياحية المستدامة. جامعة القاهرة 2003. رسالة للحصول على شهادة ماجستير في التخطيط العمراني :ريهام كامل الخضراوي

خلاصة:

من الدراسة السابقة وتحليل أساليب الحفاظ على التراث العمراني في بعض التجارب العالمية نلاحظ أن في تجارب الأردن قامت المنظمات غير الحكومية بالدور الرئيسي في عملية التنمية المستدامة، وفي حالة السعودية قامت الحكومة بالدور الرئيسي في عملة التنمية السياحية والتمويل، ولكن لم يتم الاستغناء عن دور مؤسسات المجتمع المدني وخاصة في مجال التوعية والتدريب للسكان المحليين، ويتضح أن جميع التجارب السابقة تشترك في عدة نقاط للحفاظ على التراث العمراني وتحقيق التنمية السياحية المستدامة.

الفصل الخامس

تمهيد الفصل

المبحث الأول : تقديم المدينة العتيقة بقسنطينة

المبحث الثاني : تقديم حي السويقة العتيق

المبحث الثالث : نتائج تفريغ الاستثمار الموجهة
لسكان المنطقة

خلاصة الفصل

تمهيد:

مرت المدن العتيقة بمراحل تفاوتت فيها نسبة النجاح والفشل تماشيا مع ما تحظى به من اهتمام أو إهمال، ولقد تمكنت المدن العربية العتيقة من الوصول إلى العالمية وقهر المدن العصرية أو الحديثة والتفوق عليها في الكثير من الخصائص والسمات ولعل أبرزها البيت ذو الباحة أو الفناء الذي أبهر العامة قبل أن يبهر المهتمين والمختصين، وفي فترات معينة كادت الحركات العمرانية الغربية أن تجتث أنس جتها العمرانية العتيقة من أوصالها لأنه تمثل ذاكرتها التاريخية السوداء ونموذجاً قد تجاوزه الزمن غير أنها اصطدمت فيما بعد بحركات مضادة تسعى لإنقاذ ما تبقى من التراث والاستفادة منه، وبالدول العربية لا يختلف موقفها عن الدول الغربية أين قامت بعض الدول المرتاحة ماليا بالتخلص من العديد من الأنسجة العمرانية العتيقة، ولحسن الحظ أن تلك الأعمال لم تنفذ في الجزائر بسبب الضائقة المالية التي عرفتها بعد الاستقلال مباشرة هذا من جهة، ومن جهة أخرى لم تلق الرعاية والاهتمام كونها اتجهت نحو برامج حديثة للنهوض بالمدن نتيجة توسعها الكبير.

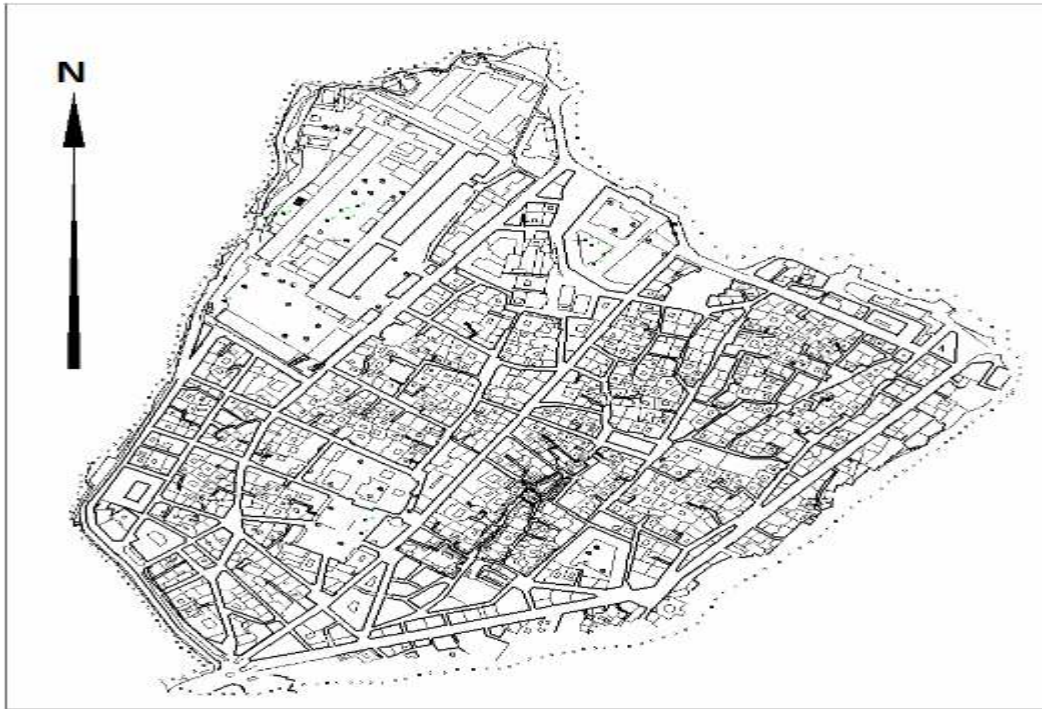
وقد أثمرت الجهود على اختلافها في السنوات الأخيرة وبدأ هذا النوع من الأنسجة يشد الاهتمام في الكثير من الدول ويحظى بالدراسات على اختلافها، ولكن لم يتحقق أي تقدم في الأنسجة العمرانية العتيقة بالجزائر رغم الجهود المحلية والوطنية المعتبرة وحتى العالمية المساندة الأمر الذي أدى إلى تراكم المشاكل وفشل المحاولات العديدة في بداية الطريق ، كما هو الحال بالمدينة العتيقة قسنطينة التي حظيت بالعديد من الدراسات المحلية والدولية كان آخرها إنشاء المخطط الرئيسي للمدينة بالتعاون مع الخبرة الإيطالية في حماية المدن العتيقة انتهت إلى تصنيفها كتراث عالمي سنة 2002 ورغم قصور الدراسة لعدم إضفائها للبعد الإيكولوجي في مثل هذه المشاريع الحساسة وذات الحساسية لا شيء في الميدان سوى بعض الأعمال النقطية والتحسينات الشكلية للمباني في حي السوق.

1-تعريف المدينة العتيقة بقسنطينة:

تحتل الصخرة موقعا مركزيا أين تتوسط مدينة قسنطينة بين جزء شرقي وجزء غربي تفصلهما خوانق وادي الرمال بعد التقائه بوادي بومرزوق، ويربطها بالجزء الشرقي أربع جسور وهي :جسر سيدي مسيد وجسر ملاح سليمان، جسر سيدي راشد، وجسر القنطرة، بالإضافة إلى ممر ساحة ال شهداء الذي يربط المدينة بالكدية، وتتربع على كتلة صخرية ذات شكل شبه منحرف مساحتها 45 هكتار، يحيط بها أخدود واد الرمال العميق الشيء الذي زاد من جمالها.

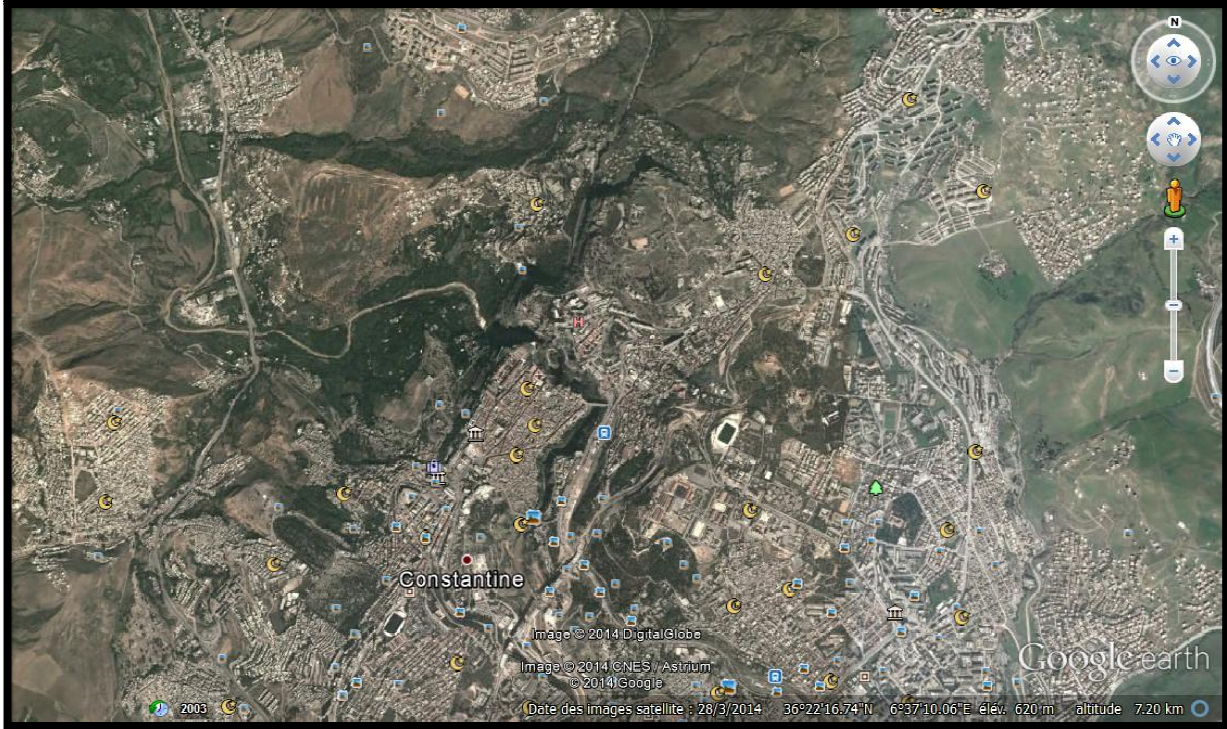
وقد ظلت المدينة القديمة لقسنطينة مركز إشعاع اقتصادي واجتماعي وثقافي حتى بعد ما شهدته من تحولات مجالية أثناء الاستعمار الفرنسي و التي أدت إلى ظهور تنظيم مجالي جديد أوروبي يجاور التنظيم التقليدي منافسا له ومحاولا إقصاءه.

خريطة رقم(01):تبيين موقع الصخرة بمدينة قسنطينة



المصدر: المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير

صورة جوية رقم(18): موقع الصخرة بمدينة قسنطينة



المصدر: google earth

2-الموضع:

إن مركز مدينة قسنطينة يتربع على الصخرة التي أكتسبها واد الرمال مناعة طبيعية على شكل خنادق تنطلق من سيدي راشد في الجهة الجنوبية إلى غاية سيدي مسيد بالجهة الشمالية الشرقية للصخرة، أين تليها الجروف الشاقولية يصل الفارق الرأسى بها إلى 200م، متطل على حوض الحامة.

هذه الظاهرة عزلت الصخرة عن المناطق المجاورة ماعدا الجهة الجنوبية الغربية التي تتصل بهضبة الكدية على شكل لسان طبوغرافية طوبه 300 م .

3-الطبوغرافية:

إن الشكل العام للمركز يتفق ويتمشى والانحناءات التي رسمتها كل من الجروف والخنادق ، آخذة بذلك مثلثا قاعدته في الشمال ورأسه في الجنوب بميل منتظم بـ 8.5% ذو اتجاه واحد من الشمال الغربي (كاف شكاره بـ 644م) إلى أقصى الجنوب الشرقي (سيدي راشد بـ 534م) ، ويصيب مباشرة في واد الرمال.

وبالرغم من التباين المحلي الموجود في الارتفاعات التي تقل من الشمال إلى الجنوب إلا أن هذا لم يؤثر على عمران المدينة ، بل أعطاه منظرا رائعا نابعا من الدمج الكامل بين التعمير والطبوغرافية الذي يعبر عن نوعية وخاصة الموضع (qualité du site).

4-مخطط شبكة الطرق (Trame viaire) :

لوحظ أن مركز المدينة مهيكّل بأربعة محاور رئيسية:

(العربي بن مهدي - ديدوش مراد و19 جوان 1965 - زيغود يوسف) ، هذه المحاور تحتوي على مجموعة من الطرق الثانوية والثالثية ، والتي تمتاز بانحنائها وتعرجها حيث يصل عرض الطريق إلى أقل من متر في بعض المناطق.

أ-الطرق الأولية (voies primaires):

تتميز هذه الطرق بشكلها الشعاعي (Rayonnant) حيث تتجه كلها نحو مفترق طرق (carrefour) ، وهي في أغلبها طرق مستقيمة يتراوح عرضها ما بين 14-17 م ، هذه الطرق تشكل حزاما يحدد مناطق مركز المدينة والمتمثلة في :

(نهج عبان رمضان - نهج قدور بومدوس - نهج زبانة - ونهج رحمانى عاشور)، في مجملها هذه الطرق تأخذ شكلا منتظما يبدأ بالتغيير تدريجيا في الجهة الشمالية الغربية والمتمثلة في كل من نهج كيتوني عبد المالك ونهج 20 أوت 1955 ، حيث تأخذ أشكالا متعرجة وغير منتظمة وهذا راجع لطبوغرافية المنطقة.

ب-الطرق الثانوية (Voies secondaires):

تتميز بالشكل الشطرنجي (quadrillé) كما هو الحال في المنطقة الكدية ومنطقة القديس جان ، أما منطقة البريش فهي بمثابة شريط ضيق تتكون من الطرق للاتصال (Voies de communications)، والمتمثلة في نهج بن بولعيد وساحة الشهداء - ونهج زيغود يوسف وديدوش مراد .

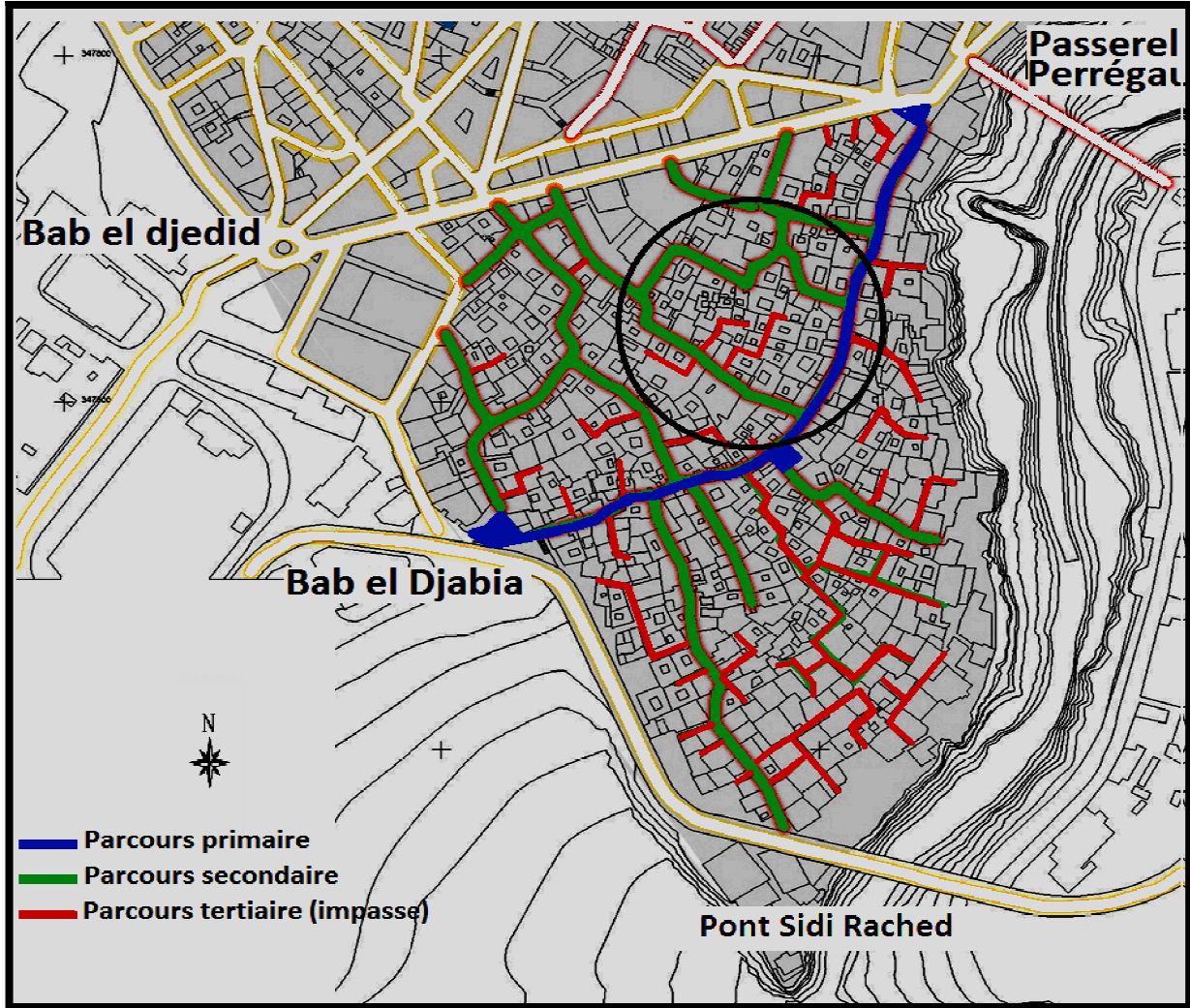
ج-الطرق الثالثية (Voies tertiaires) :

هي تلك الطرق التي تؤدي إلى المباني السكنية (Voies de dessertes) يوجد بكثرة في المدينة القديمة ، وهي في أغلب الأحيان عبارة عن ممرات للراجلين.

- إن ثنائية المظهر والنسيج التي تميز مركز المدينة ، أصبحت شبكة طرق غير خاضعة إلى نظام وظيفي واضحة : فالجهة الجنوبية مهيكلة حسب النمط القديم مع إدخال بعض التغيرات عليها ، أما الجهة الشمالية فهي تعرف اختلال في التنظيم بورود محاور كبرى حديثة بجانب أزقة ودروب موروثية عن النظام القديم.

- شبكة الطرق والشوارع لا تستوعب المتطلبات الحالية للوقود الآلية والراجلين وما زاد من حدة المشكلة هو غياب الحظائر والتوقف المستمر للسيارات على طول الأرصفة مما ينقص من قدرة الطرق الفعلية ، وبالتالي فإتخاذ إجراءات فورية وصارمة للحد من اختلال الأرصفة وتهينة الحظائر اللازمة للمنطقة .

مخطط رقم (03): تبيين شبكة الطرق في الصخرة بمدينة قسنطينة



المصدر: urbaco: 2014

5- التطور السكاني وبنيتهم الوظيفية بالمدينة العتيقة قسنطينة:

يشهد عدد السكان بالمدينة العتيقة لقسنطينة تراجع مستمر ماعدا الفترة الأولى من الاستقلال أنظر الجدول رقم(03)، ويفسر ذلك التراجع طبيعة النسيج العتيق للحي حيث أن حوالي 25% من مبانيها مهدمة حسب المخطط الرئيسي لقسنطينة ، وأيضاً انتقل مالكيها لمناطق أخرى وتأجيرها للنازحين أو الباحثين عن السكن بمركز المدينة.

جدول رقم (03) :تراجع عدد سكان المدينة العتيقة قسنطينة (الصخرة) من 1966 إلى 2008

السنة	1966	1977	1987	2004	2008
عدد السكان	42659	47974	35690	19266	14981

المصدر: إحصائيات 2008

تدل هذه الإحصائيات بأن معدل النمو ب المدينة العتيقة بقسنطينة سلبي باستثناء الفترة الأولى الممتدة من 1966 إلى 1977 وهي فترة بعد الاستقلال أين عرف معدل التروح الريفي زيادة كبيرة لاسيما بالمدن الكبرى، وسرعان ما عرف معدل النمو السكاني اتجاه سلبي في الفترات اللاحقة أي من 1977 إلى غاية 2008 لعدة أسباب أهمها:

- هجرة سكان المدينة العتيقة إلى البلديات المجاورة بحثاً عن العمل والراحة.

- عدم إعادة تهيئة وترميم السكان لمنازلهم المتدهورة من الناحية الفيزيائية.

- ترحيل ما يقارب 150 عائلة بسبب مساكنها التي تشكل خطراً على سكانها في أية لحظة.

ولم تعط الإحصائيات تفصيلاً لتوزيع السكان المشتغلين عبر القطاعات الاقتصادية، بل قسم سكان المدينة العتيقة إلى فئتين كبيرتين هما : الفلاحة و أخرى، وقد قدرت نسبة المشتغلين بالفلاحة 0,92% بينما 99,07% يشتغلون بباقي القطاعات التي تتدرج تحت فئة أخرى، مما يفسر بأن المدينة العتيقة تخلوا من النشاطات الفلاحية وتستحوذ على النشاط التجاري بدرجة كبيرة.

6- موقع مدينة قسنطينة العتيقة وعلاقته بشروط اختيار المدن العتيقة:

إن اختيار موقع مدينة قسنطينة لم يكن وليد الصدفة والدليل على ذلك المزايا الكبيرة التي يتمتع بها وهي:

-الأمن من العدو : لاشك أن المتأمل للخريطة الطبوغرافية لمدينة قسنطينة سيعرف سر اختيارهم لذلك الموضع المرتفع المحصن طبيعياً (نقطة التقاء وادي الرمال بوادي بومرزوق)، والمدعم بتحصين

اصطناعي(الجسور والأسوار ومداخل الأبواب)، كذلك الانحدارات من كل الجهات، كل ذلك لتسهيل الدفاع عن المدينة من هجمات العدو.

-ضمان الغذاء : لقد كانت لمدينة قسنطينة العتيقة الحصينة أراضي زراعية تحيط بها وأخرى بعيدة عنها نسبيا كسهول الخروب وعين مليلة تزودها بالغذاء، وكانت لها قرى خارج أسوارها تابعة لها إداريا وسياسيا كتيديس وبونوارة وكليتاني وميلة وغيرها من المدن والقرى المجاورة لها من جهاته الأربع تؤمن قسنطينة من الغذاء، وهي في الوقت نفسه الخط الدفاعي الأمامي والعمق الإستراتيجي العسكري والاقتصاد كما كانت تربطها علاقات تجارية برية بين دول الجوار كتونس وليبيا وبعض الدول الإفريقية، وأيضا لها مبادلات تجارية مع دول الحوض الشمالي للبحر الأبيض المتوسط.

ولم يغفل عامل القرب من مجاري المياه بقسنطينة أو جلبه، فموضع المدينة عند التقاء الوادين قصد الزراعة وتربية الماشية، أما التزود بالمياه الشروب فقد كان من منابع بومرزوق بعد جفاف بحيرة المنصورة.

-الهواء الصحي: كغيرها من العوامل الأخرى كان الهواء الصحي يميز مدينة قسنطينة فهي في موضع مرتفع وتحاصرها البساتين والحقول وغير بعيد عنها الغابات، لذلك فإنها مدينة صحية بامتياز.

-بعدها عن مناطق الخطر الطبيعي : يعتبر م وضع قسنطينة منذ القدم آمنا من الأخطار الطبيعية التي قد تحدث فالمدينة على صخرة صلبة تقاوم الانزلاق الأرضي والتشققات، كما أن موضعها المرتفع يجنبها أخطار فيضانات الوادي.

ترتب عن اختيار موقع قسنطينة بمنطقة الصخرة ضمان استمراريتها، فالموضع لم يتعرض لأي خطر طبيعي ولم يتغير مكانه، غير أنه يعاني من صعوبة توصيل مختلف الشبكات وتوزيعها وكذا يعيق من توسع المدينة وربطها بآماكن التوسع لطبيعتها المترسدة لذلك تم إنجاز شبكة النقل بالكوابل الهوائية.

7-الدراسة العمرانية والمعمارية للمدينة العتيقة:

تهدف الدراسة العمرانية والمعمارية للمدينة العتيقة قسنطينة إلى لفت الانتباه لبعض الخصائص والمميزات الفريدة بالمنطقة والتعرف على بعض العناصر المعمارية للمترل القسنطيني.

أ-قطاعات المدينة العتيقة: تقسم منطقة الصخرة أ و المدينة العتيقة بقسنطينة إلى 4 قطاعات جزئية وهي: سيدي راشد، سيدي لخضر، ابن باديس، والقصبة مع الثكنة العسكرية ، ويشمل كل قطاع جزئي حي أو عدة أحياء، والقطاعات الجزئية موضحة في الجدول رقم(04):

جدول رقم (04) : القطاعات الجزئية (التجارية)

القطاع	مساحة كل قطاع (هكتار)
القصبة	33.7
سيدي راشد	12.29
سيدي لخضر	3.88
ابن باديس	3.83
الصخرة	83.3

المصدر: تحقيق ميداني مفتشية الضرائب 2014

وتتكون المدينة العتيقة بقسنطينة من عدة أحياء ووحدات سكنية مقسمة على النحو التالي:

ا-تضم السوق السفلى، سيدي راشد، زليقة، والشط.

ب-وتضم السوق العليا، رحبة الجمال، السيدة، سيدي بوعنابة، والبطة.

ج-وتحتوي فقط على الرصيف.

د-وتشمل ميلة الصغيرة ورحبة الصوف، ربعين شريف، سيدي جليس، والشارع.

هـ-وتشمل الجزارين، رحبة الصوف والشارع.

و-ويحتوي على القصبة جنوبا.

ي-وتضم القصبة من الشمال الغربي.

ك-وبها القصبة جهة الشمال الشرقي. وكلها تسميات ترجع للفترة التركية.

خريطة رقم (06) تبين القطاعات الجزئية التجارية بالمدينة العتيقة قسنطينة.



المصدر : Mastreplan de constantine, 2004

8-النماذج السكنية بالمدينة العتيقة قسنطينة:

تتكون الحظيرة السكنية بالمدينة العتيقة من ثلاث نماذج هي : النموذج العربي التقليدي، النموذج الاستعماري، والنموذج المختلط ، وقد أحدث المستعمر تشوهات على الصخرة عند دخوله كتهديم للبنىات وإنشاء بدلها بنايات ذات النمط الأوروبي(وخاصة في واجهة المدينة) أو شق طرق مثل نهج العربي بن مهدي الذي أدى إلى تشويه بعض المنازل والمعالم (الجامع الكبير) وكذا المتزل التقليدي بهندسته البسيطة والقوية المعنى.

8-1-النموذج التقليدي :يعتمد العمران الإسلامي على مبادئ أساسية هي:

-الخصوصية.

-التركيبة الانطوائية للمسكن.

-الوظيفة الدقيقة لمكونات المترل، فكل النشاطات داخلية وأهمية وسط الدار.

-يتميز بالواجهات الصماء إذ لا يظهر عليها وجهة صاحبها سوى ما يظهر على أعلى الباب من زخرفة والتي تعكس صورة غناؤه.

ويشغل المسكن ال تقليدي معظم مباني حي السوق، ماعدا الجهة الشمالية أين تعرضت للتعديل من طرف الاستعمار.

وهي تمثل نسبة معتبرة تصل إلى 43,18% من مجموع البنايات، وتتركز معظمها بالسوق.

وهناك العديد من المميزات يمكن تقسيم الأنماط السكنية على ضوئها وأولها موقع الفناء من المسكن فنجد:

-مسكن ذات فناء مركزي ويأخذ شكل 0 ، وذات فناءين مزدوجين 00 ، وعلى شكل L مع فناء جانبي .

-مسكن ذات شكل U مع فناء ملتحم مع جدار المسكن، وذات فناء في الطابق الأول حالات نادرة هناك أنماط للأفنية بالطابق كفناء تحت الأرض للبنايات السكنية ذات ، الحديقة والتي وجدناها على حواف وادي الرمال، بالإضافة إلى بعض المساكن التي لا تتوفر على الأفنية تماما.

أما أنواع البيوت التقليدية بالمدينة العتيقة بقسنطينة فهي:

-مترل الأغنياء : "دار فلان" تابعة لاسم المالك من البايات وأغنياء مدينة قسنطينة القدامى وهي تحتل مساحة كبيرة ، وذات مواد البناء الغالية (الحجر والرخام) ، تدهن بالجير ، تحتوي البعض منها على ملاحق الحمام، المسجد الخربة، والمنازل الجيدة هي التي بقيت محافظة على أسمائها.

-المترل العادي: كثير الانتشار ، لا يستعمل مواد البناء الغالية بل يكتفي بالمواد المحلية الطوب وجذوع العرعار كما أنه يخلو من الزخرفة.

-مترل العلي : مترل صغير يوجد في الشوارع التجارية حيث المالك له متجر في الأسفل والسكن في الأعلى، به وسط الدار صغير، تنظم حوله بيوت قد تكون اثنين أو ثلاثة منها المطبخ وهذا قديما.

صورة رقم (19)، (20): منزل تقليدي بحي السوقية



المصدر: تصوير الطالبة 2014

8-2- النمط (النموذج) الإستعماري:

منتظمة عموماً على محاور السكنات، يمكن أن تخصص للتجهيزات (ثانوية، دار البلدية) أو تجزئات سكنية، القطع لها أشكال مختلفة: مربع، مثلث، مستطيل، معين، ويبدو النسيج الاستعماري متراساً.

صورة رقم (21): مظهر خارجي لنمط أوروبي (شارع زيغود يوسف)



المصدر: تصوير الطالبة 2014

8-3- النمط المختلط:

هو مسكن تق ليدي تعرض لتدخلات استعمارية يجمع ميزتين (خاصيتين) معماريتين وسط الدار يأخذ النمط العربي الإسلامي ، وفتحات كبيرة بالخارج لل نمط الاستعماري، وهو ذو شكل مربع أو مستطيل

صورة رقم(22): النمط المختلط بحي السوقية



المصدر: تصوير الطالبة 2014

جدول رقم(05): مميزات الأنماط السكنية بالمدينة العتيقة قسنطينة.

النمط التقليدي	النمط الأوروبي	النمط المختلط
مباني ذات واجهات صماء.	مباني مفتوحة على الخارج بشرفات كبيرة ونوافذ.	مباني مفتوحة على الخارج بنوافذ كبيرة و على وسط الدار.
شكل مكعب.	شكل متوازي المستطيلات.	شكل مكعب ومتوازي المستطيلات.
وسط الدار هو العنصر المهيكل.	عدم وجود ساحة أو فناء.	وسط الدار في الطابق الأرضي أو في الطابق الأول.
المساكن قد تكون انفرادية أو غير انفرادية.	مساكن انفرادية.	مساكن انفرادية أو غير انفرادية.
يوجد في بعض المنازل سطوح وأخرى بها سقوف بالقرميد التقليدي.	وجود السطح في البعض وبعض الآخر بها سقف بالقرميد الحديث.	وجود السطح في بعض المنازل، السقف قد يكون حديثا أو تقليدي.
أساسات بالحجر، الجدران الحاملة بالحجارة، أرضيات بجذوع العرعار، قديما :التلبيس الداخلي بالجير والخارجي بالبغلي.	جدران بحجارة أرضيات، أعمدة حديدية قديما :تلبيس الداخل بالجبس والخارج بالإسمنت حديثا:الجدران ملبسة بالإسمنت المسلح.	نفس مواد بناء النوع الأول لكن الجدران بحجارة أو لبنة.

المصدر: إنجاز الطالبة 2014

9- التجهيزات والمرافق بالمدينة العتيقة:

تجمع المدينة العتيقة لقسنطينة بين وظائف مختلفة انطلاقا من الوظيفة التجارية وصولا إلى الوظائف الأساسية القيادية والمركزية ، وهذا ما يعكسه العدد الكبير للتجهيزات ، والتي يتعدى مجال نفوذ بع ضها حدود مدينة قسنطينة.

9-1-التجهيزات العسكرية : وتشمل الثكنة والمحكمة العسكرية الموجودتان بالقصبة، مركز الإعلام الجهوي التابع للجيش الوطني الشعبي بساحة العقيد سي الحواس.

9-2-التجهيزات الإدارية والخدماتية : يعود معظمها إلى الفترة الاستعمارية وتحتوي على 27 تجهيزا منها 16فندقا ونزلا، وتعتبر الولاية والبلدية أهم التجهيزات الإدارية كونهما تستقطبان

أعدادا كبيرة من السكان حتى من خارج حدود المدينة العتيقة، أما التجهيزات الخدماتية فتتجسد أساسا في الفنادق والحمامات المنتشرة عبر المجال بعدد معتبر.

3-9 -التجهيزات المالية: تتركز أساسا في الجزء العلوي من المدينة العتيقة وتشمل فروع المؤسسات المالية أهمها: البنوك وقباضة الضرائب.

4-9 -التجهيزات التعليمية: تعود نشأتها إلى الفترة الاستعمارية، إذ أن التعليم قبل ذلك كان ينحصر في الزوايا لذا فهي متجمعة في كل من الجزء العلوي والوسط للمدينة (مجال إقامة الأوروبيين) بينما تخلو منها السويقة وبعض الأحياء التقليدية كالجزارين والرصيف (مجال إقامة الأهالي).

وتتعدد التجهيزات التعليمية في المدينة العتيقة بمختلف الأقطار، وتتكون من 9 مدارس ابتدائية و 4 إكماليات وثانويتين، ويعتبر معدل إشغال القسم بالمدينة العتيقة أقل من المعدل الوطني، وبالتالي فهي لا تعاني ضغطا أو نقصا.

5-9 -التجهيزات الثقافية والرياضية: تضم المدينة القديمة 10 تجهيزات من هذا النوع وهي إما تجهيزات تابعة لمديرية الثقافة أو معالم تاريخية كقصر أحمد باي ومعهد ابن باديس بالإضافة إلى المسرح الجهوي لقسنطينة.

6-9 -التجهيزات الدينية والروحية : يوجد بالمدينة القديمة حوالي 20 ما بين مسجد وزاوية (أداء الصلوات وتحفيظ القرآن).

7-9 - التجهيزات الصحية: تحتوي الصخرة على 4 مؤسسات صحية اثنان منها متخصصتان وهما:

-المركز الطبي لمكافحة مرض القلب والسكري أسفل نهج العربي بن مهيدي.

-مركز طب العيون مريمش رابح، بنهج العربي بن مهيدي.

أما الآخرين فهما متعددتا التخصصات تقع إحداها بالجزء العلوي (عيادة بن عميرة) والأخرى أعلى نهج العربي بن مهيدي (عيادة بن مهيدي).

وتعتبر تجهيزات المدينة العتيقة غير ملوثة وتقتصر فضلاتها عموما على الأوراق لطبيعة نشاطها التعليمي والإداري، ونستثنى من ذلك التجهيزات الصحية التي تترك مخلفات استشفائية تتطلب تعاملًا خاصًا حيث يستلزم نقلها إلى المستشفى لترميدها بمحرقة المستشفى.

أما عن حالتها الفيزيائية عموما فمنها الجيدة والمتوسطة كون معظمها عرفت ترميمات (كالبنك المركزي الجزائري، مسجد الكتانية، ودار الإمام والمدرسة ومعهد ابن باديس) وبعضها لا تزال أشغال الترميم بها جارية (كقصر أحمد باي)، كذلك المدينة العتيقة تنقصها لتجهيزات الترفيهية والرياضية بينما هي مكتفية ذاتيا من التجهيزات الدينية والصحية والتعليمية، وهذا ما تؤكدته نتائج التحقيق الميداني التي بينت أن 10 % من سكان السويقة يتطلعون إلى إنشاء أماكن الترفيه و المساحات الخضراء، كما برمجت تجهيزات أخرى لعمليات الترميم كالجامع الكبير والمسرح.

وتعتبر الصخرة منتجا للمؤثرات المجانية وهذا لتركز مختلف الوظائف بها والتي يمكن لأي متعامل الاستفادة منها خاصة في مجال الخدمات ، ونشير هنا إلى أن الصناعة التقليدية الحرفية بمنطقة الصخرة فقدت قيمتها السابقة سواء من حيث الكم أو النوع وقد اختفت بعض الأنشطة تماما نتيجة لعدة عوامل أهمها :

-التغيرات التي طرأت على المجال وتغير المتطلبات اليومية للحياة.

-كبر سن الحرفيين وتخلي الشباب عن هاته الحرف.

-نقص الدعم المالي والأسواق المتخصصة لتصريف هذا النوع من الحرفة الصناعية التجارية.

بالإضافة إلى التخصص التجاري وكثافته توجد بها ثلاث أقطاب تجارية هامة تتوزع على أجزاء الصخرة الثلاث، وهي:

-**سوق العصر :** موجود بساحة بوهاالي السعيد في الجزء العلوي ، يختص في تجارة الخضر والفواكه بالتجزئة يحتل مساحة 2100 م² ، ويصطف حوله موزعا للباعة المتجولين مما يصعب الحركة والتنقل ويوجد بهذا السوق محلا يعرض معظمها سلع مختلفة من لوازم المتزل ، تتصل به عدة محاور تشهد هي الأخرى كثافة تجارية كبيرة . وجود هذا السوق بشمال الصخرة جعل من الجزء العلوي مجالا تجاريا يشهد حيوية وحركة يومية.

-**رحبة الصوف :** تتوسط الجزء الأوسط مساحتها 1.5 هكتار تمارس بها نشاطات تجارية مختلفة من لوازم الشخص إلى لوازم المتزل، الخضر والفواكه وكذا الخدمات . يتكون من سوق مغطى ومحلات محيطة بالسوق إضافة إلى التجار المتنقلين، يرتبط بعدة محاور تجارية تقليدية مهمة كرواق السعيد.

-**رحبة الجمال :** تقع بالجزء السفلي من الصخرة تنتوع فيها التجارة و تتعدد بها المحلات من لوازم الشخص الخدمات إلى الحرفيين، يتردد عليه الرجال أساسا حيث يجدون ما يلزمهم من سلع، يتم الوصول إليه عبر 05 أنهج :الإخوة برامة، نهج حملاوي، الإخوة حسان، حنون رشيد ونهج سيرتا. كما بدأت الصخرة تعرف ظاهرة المراكز التجارية على مستوى البناية أو تشغل المساحات الفارغة بين البنايات.

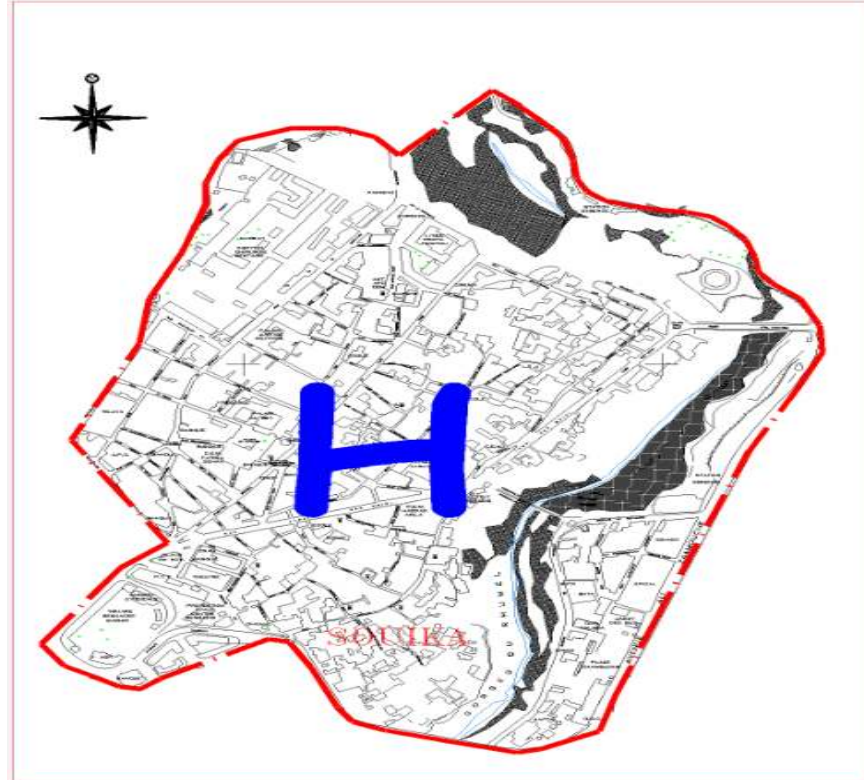
: تقديم حي السوقية العتيق:

1-الموقع:

يقع حي السوقية جنوب المدينة العتيقة بمنطقة الصخرة بقطاع سيدي راشد يحده شمالا شارع العربي بن مهيدي أو الطريق الجديدة والرصيف بالقطاع (C) ومن الشرق وادي الرمال وباب القنطرة والشط، و من الجنوب وادي الرمال وحي رحماني عاشور، أما من الغرب فسيدي راشد و la brèche ، ويتربع على مساحة قدرها 12,29 هكتار ، يحيط بها أخدود واد الرمال العميق الشيء الذي زاد من جمالها.

وقد ظلت المدينة القديمة لقسنطينة مركز إشعاع اقتصادي واجتماعي وثقافي حتى بعد ما شهدته من تحولات مج الية أثناء الاستعمار الفرنسي و التي أدت إلى ظهور تنظيم مجالي جديد أوروبي يجاور التنظيم التقليدي منافسا له ومحاولا إقصاءه.

خريطة رقم(2): موقع حي السوقية بمدينة قسنطينة



المصدر: المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير

صورة جوية رقم (23): موقع حي السوقية



المصدر: google earth

2-التشخيص العمراني لحي السوقية:

يعيش (30,66 %) من سكان المدينة العتيقة بحي السوقية، تشكل الأسر (43.25 %) من العدد الكلي لأسر منطقة الصخرة، وتسكن في (28,42 %) من مجموع مساكن المدينة العتيقة (انظر الجدول رقم 06).

ومن خلال قراءتنا يتبين ارتفاع عدد الأسر المقيمة بالسوقية وانخفاض عدد المساكن المشغولة مما يدل على أن الكثافة ببعض المناطق من السوقية مرتفعة جدا مقارنة بمناطق أخرى . ولعل السبب يرجع لتهدم المباني بشكل كبير بالسوقية ووضعتها الرديئة.

جدول رقم(06) :يبين مجموع المساكن والسكنات بالسوقية ونسبتها مع منطقة الصخرة.

المجموع	الاناث	الذكور	عدد الاسر	المجموع	ذات استعمال تجاري	غير المشغولة	المشغولة	عدد البنايات	
4405	2286	2119	1422	1202	74	168	968	503	بالسوقية
14981	7745	7170	3288	4229	488	795	2946	1371	منطقة الصخرة
30.66	30.68	30.64	43.25	28.42	15.16	21.13	23.37	36.67	النسبة

المصدر: مديرية التهيئة و التعمير

ويبلغ معدل شغل المسكن نظريا سنة 2008 بحي السوقية 4,55 فرد/مسكن غير أن الواقع يختلف عن ذلك تماما نظرا للكثافة الهائلة من العائلات التي تسكن المسكن الواحد.

3-مشاكل الأنماط السكنية المختلفة:

باعتبار السكن عنصر أساسي لتشكيل فضاءنا بالمدينة العتيقة ويقضي الإنسان معظم وقته بالبيت، فإن سكان المدينة العتيقة يتعرضون لمشاكل ناتجة عن المسكن، وترجع بعض أسبابها إلى التوجيه غير السليم لفتحات المبني، أما الأسباب الأخرى فمرددها التعديلات على تصاميم المساكن والواجهات وتحويل كل الفراغات إلى غرف (انظر الجدول رقم 07).

جدول رقم (07) : يبين المشاكل المناخية والطبيعية بالأنماط السكنية بالحي العتيق.

النمط المختلط	النمط التقليدي	النمط الأوروبي	المشكل
70.12	60.8	40	الرتوبة %
40.46	63.23	22.90	التهوية %
75.18	74	26.54	التشميس %
75.18	74	54.60	صعود أو تسرب المياه %
80	77.56	55	الضيق %
74.12	78.80	46.40	تصدع الجدران %
73	70	41.50	تشقق السقف %
34.60	36	26.50	تشقق الأرضية %

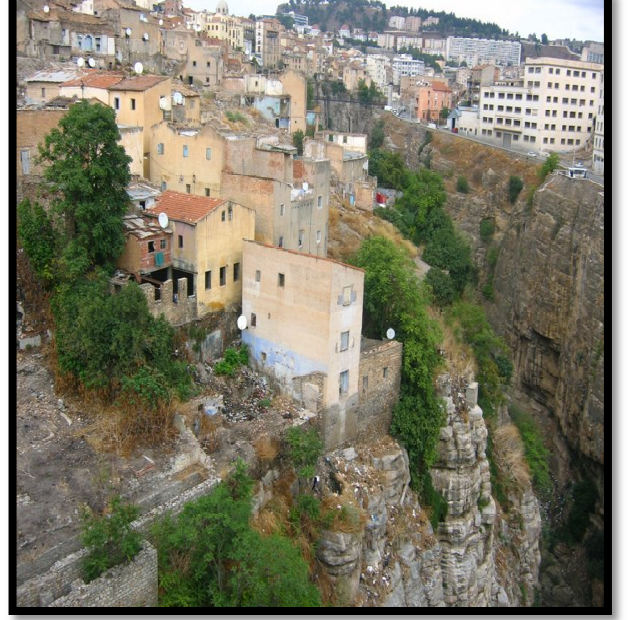
المصدر: مديرية التهيئة و التعمير

3-1- تناقص الكثافة السكنية وارتفاع المباني:

كانت المساكن بالمدينة العتيقة تشغل نسبة 69 % من مساحة المدينة العتيقة 1 ، وهو معامل يتناقص يوميا كما يوضحه الجدول، وتعد نسبة تناقص 26,42 % - بين سنتي 1977 و 1987 الأعلى، ثم تليها الفترة الحالية 1998 إلى 2008 ب 24,42 % ، ونسبة التناقص الأقل بين سنتي 1987-1998 ب 11,64 % .

نفس الوضعية بالنسبة لعدد الطوابق بحي السوقية التي تشهد انخفاضا معتبرا خلال العشريتين شأنه شأن المساكن ومساحتها وعدد ساكنيها، فقد بقي 6 مباني ذات 5 طوابق فقط سنة 2005 من أصل 10 مباني سنة 1984 ، وتقلصت المباني ذات 4 طوابق ب 9 بنايات من 1984 إلى 2005 بتهدم طابق وحيد لكل منها، وتعد مباني ذات 3 طوابق الأكثر انخفاضا حيث هدم 80 طابق في الفترة نفسها، وذات طابقين هدم 32 طابق بناية في نفس الفترة، أما البنايات ذات الطابق الواحد (ط+1) فقد ارتفعت ب 9 طوابق نتيجة هدم البنايات ذات الطابقين، أما البنايات المهمة دمة كليا فقد بلغت 14 بناية خلال الفترة 1984-2005 هذا الانخفاض يتطلب تدخلا سريعا لإنقاذ ما يجب إنقاذه.

صورة رقم (24)، (25): توضيحان ارتفاع المباني بحي السوقية



المصدر: تصوير الطالبة 2014

3-2- تدهور حالة الطرق:

معظم الطرق في المدينة القديمة مرصوفة بالحجارة ، وناذرا ما نجدها معبدة بالإسفلت (الطرق الأولية ملاح سليمان و بعض الطرق الثانوية) . و تختلف حال تها من الحسنة والمتوسطة إلى الرديئة حيث أن الطرق الأولية في حالة حسنة أما الطرق الثانوية فهي من حسنة إلى متوسطة خاصة تلك المرصوفة بالحجارة، وتبقى الطرق الثالثية أو الممرات في حالة سيئة لعدة أسباب أهمها:

-الضغط السكاني الكبير على المدينة القديمة بسبب تركيز الأنشطة المختلفة و الخدمات خاصة الحركة الآلية.

-قدم بعض الطرق خاصة المرصوفة بالحجارة والتي تعود للعهد العثماني.

-الطبيعة الجغرافية للصخرة والانحدار الذي يساعد على جريان الماء ويؤثر بصفة كبيرة على الطرق المرصوفة بالحجارة.

-اختراق السيارة لممرات الأحياء مما يؤثر على تماسك حجارة الطرق ووضعيتها الطريق.

وقد أكدت مختلف الدراسات بأن الم دينة العتيقة تعرف تدهورا وتقهقرا مستمرين جراء الإهمال المتواصل، بازدياد نسبة المباني المنهارة خاصة في بعض الأجزاء منها التي بدأت تفقد ملامحها العمرانية " كالسوقية " بالإضافة إلى ذلك تعاني من:

-تدهور حالة البنايات والشبكات المختلفة.

-اختناق حركة المرور في ظل غياب الحظائر.

-تردي الوضع البيئي.

-تردد كبير للسكان على الصخرة بسبب تركيز التجهيزات والتجارة.

-بداية زوال الطابع المعماري.

مما يستلزم دق ناقوس الخطر لتسخير كل الجهود والإمكانيات التقنية والقانونية لإنقاذ ما تبقى منها وإعادة تهيئة المجالات الشاغرة.

صورة رقم (26) (27) : تدهور حالة الطرقات بحي السوقية نتيجة سيلان المياه ودخول السيارة إلى

الممرات.



المصدر: تصوير الطالبة 2014

4-التشخيص البيئي الأولي بحي السوق:

لقد سمحت زيارتنا الميدانية الاستطلاعية لمنطقة الدراسة بالإطلاع عن الوضعية العامة للحي، كما ساهمت المقابلات الشخصية مع السكان والحديث إليهم والاستماع إلى انشغالاتهم باختزال أهم المشاكل التي يعاني منها السكان.

وأهم ما شد انتباهنا ولاحظناه وسجلناه عند الزيارة الأولى ما يلي:

أ- التلوث الهوائي:

-السيارة تتوغل بممرات حي السوق العتيق.

-توفر حي السوق على محلات لبيع الفحم وشواء الحمص، مما يرفع من إمكانية التلوث الهوائي بالحي.

ب -التلوث بالفضلات الصلبة:

-وجود فضلات الردم والهدم وكذا الفضلات الصلبة القديمة بالحي.

-وجود مدبغة تقليدية بالحي تزيد من الروائح الكريهة بالإضافة إلى بائعي أحشاء الحيوانات المذبوحة من طرف الجزائريين غير الرسميين.

ج -التلوث المائي:

-تسربات للمياه تعيق الحركة وتسبب في سقوط العابرين ، وكذا تأثيرات غير مرغوبة للسكان لإمكانية انتقال الأمراض المتنقلة عن طريق المياه الراكدة بواسطة الحشرات.

-انسداد العيون نتيجة فضلات الحيوانات المذبوحة جراء غسل أحشاء الحيوانات قبل بيعها.

د-التلوث الضوضائي:

-ضوضاء أبواق السيارات وأصوات الباعة وانعدام أصوات الحرفيين.

هـ-التلوث البصري:

-انتشار القمامة وقدم المساكن وغياب العنصر الجمالي.

و-تلوث المواد الغذائية:

-من خلال طرق الحفظ والنقل والبيع للمواد الغذائية.

ولعل المخالفات المسجلة بمدينة قسنطينة والتي لا تعبر إلا عن شيء يسير مما يحدث، فقد سجلت مصلحة النظافة بمدينة قسنطينة مخالفات في مجال حماية الصحة العمومية ومنع انتقال الأوبئة في خراجاتها الميدانية التفتيشية والتي تبقى غير كافية.

5-مظاهر التلوث بالمدينة العتيقة (حي السوق) قسنطينة:

تشهد المدينة العتيقة بقسنطينة تدهورا كبيرا مس نسيجها العمراني وتشكيلها المعماري وأضعف من تركيبها الاجتماعي المتماسك وأثر على مستوى البيئة داخلها نتيجة التلوث بمختلف أنواعه الذي انتشر بأحياء المدن بصورة مقلقة وصار يهدد السكان والمباني على السواء، ويعتبر حي السوق مع الأحياء الأخرى بالأمس أحد أحياء المدينة العتيقة المستدام بكل ما تحمله الكلمة من معان فقد كان حي تسكنه الطبقتين المتوسطة والفقيرة ورغم ذلك كان سكانه يتمتعون بالراحة النفسية والراحة الحرارية والهدوء ولا يخشون على أنفسهم لا من العدو ولا من الأمراض التي انتشرت اليوم بصورة مقلقة، لذا سنحاول التطرق إلى أنواع التلوث بحي السوق التي أثرت على توازن البيئتين الحضرية والعمرانية داخلها.

5-1مظاهر التلوث الهوائي:

من خلال وقوفنا على تجهيزات الحي تبين بأنه يفتقر إلى الصناعة المصدر الثابت لانتشار التلوث، أما مصادر التلوث الهوائي الناجمة عن حرق النفايات فالحى لا يعاني من ذلك كون النفايات تنقل إلى المفرغة العمومية بعين السمارة، أما التلوث الهوائي الناجم عن التدفئة فمعظم السكان يستعملون الغاز (45% أو الفرن الكهربائي (20 %)

أما المصادر المتحركة (السيارات)، ولكون مم رات الحي ضيقة لا تسمح بمرور السيارات فهي لا تعاني ذلك، إلا أنه وفي السنوات الأخيرة عرف الحي ظاهرة اختراق السيارات للممرات من جميع الجهات بمسافة تتعدى أحيانا الـ 20 متر وهي بذلك تعيق حركة المشاة من جهة وتؤثر في بنية الممرات من جهة أخرى ومادام الحي لا يحتوي على المساحات الخضراء فهو عرضة للتلوث. وبما أن المستشفى الجامعي لا يفصله سوى وادي الرمال عن حي السوق فهو عرضة للتلوث نتيجة حركة الرياح من جهة والانقلاب الحراري للوادي من جهة أخرى.

بالإضافة إلى المنطقتين الصناعيتين بالما ومزروق وإمكانية وصول ملوثات المصانع المختلفة إلى المدينة العتيقة نتيجة الظروف المناخية، كذلك التدفقات اليومية للسيارات على مركز المدينة بنسبة 20% من الحركة الميكانيكية للمدينة نظرا للتركز التجاري بالمدينة القديمة ولاحتواء مركز المدينة على تجهيزات ومرافق قد تتعدى مجال تأثير البعض منها خارج إقليم الولاية. ولكون طبيعة طرقها الضيقة والشديدة الانحدارات فهي مكتظة وتشهد اختناق مروري لاسيما في أوقات الذروة وبالتالي فهي تساهم في زيادة مستوى التلوث بالمدينة.

ولأن حركة الملوثات تتغير بتغير الظروف المناخية وطبيعة النسيج، وهذا الأخير كان بالأمس لا يساهم في نقل الملوثات نتيجة المباني المتراسة، إلا أنه وبالمقابل ولكون العديد من المساكن قد تهدمت فإن تلك الفراغات تسمح بانتقال وتركيز الملوثات بالحي وتحديدًا بجوار المساكن المهتمة وأيضًا قربها من الوادي أين تكون عملية الانعكاس الحراري فتتراكم الملوثات.

بالإضافة إلى ذلك، فإن للمصادر الطبيعية دورا هاما في زيادة التلوث الهوائي وخطورته بالحي فالردم الناتج عن المباني المتهدمة وعن حالة الطرقات وتوجيهها وشدة الرياح مما يتسبب في تطاير الأتربة والغبار بالأزقة فتؤثر على الرؤية وعلى حركة الراجلين وتسبب أمراض تنفسية كالربو والحساسية.

2-5 مظاهر التلوث المائي:

يأخذ التلوث المائي مظهرين أساسيين هما:

الأول: قدم الشبكات وصعوبة التدخل لإصلاحها لمميزات المدينة ونسيجها العمراني مما أثر سلبا على تدني مستوى بيئتها الحضرية.

الثاني: يتعلق بالمناطق الصناعية التي صارت داخل النسيج الحضري للمدينة وبات تأثيرها كبير على السكان بما تطرحه من ملوثات.

ونظرا لطبيعة النسيج العمراني المتضام والقديم لحي السوقية والكثافة السكانية العالية فإنه يعاني من مشكل التلوث بالمياه القذرة من جهة ومياه الأمطار والصالحة للشرب من جهة أخرى، ومن خلال زيارتنا المتكررة للحي وبعد المعاينة تبين لنا بأن ممرات الحي لا تكاد تخلوا من تسرب المياه القذرة التي تعيق السير وتسبب في أذية الساكنين والعابرين والتجار على السواء لاسيما في الربيع والصيف أين تنتشر الروائح الكريهة وتكثر الأمراض الناتجة عن الحشرات المسببة للأمراض.

صورة رقم (28)، (29): توضحان التلوث بالمياه القذرة بحي السوق



المصدر: تصوير الطالبة 2014

كما أنه في فصل الشتاء لما يتزل المطر تمتلئ البالوعات بسرعة كنتيجة لأرضيتها المنحدرة والتي تحمل معها الفضلات المختلفة لاسيما فضلات الجزارين والأتربة والغبار وكل ما تجده أمامها فتسبب انسداد المجاري وأن عملية تنظيف أحشاء الحيوانات التي تباع بشكل فوضوي أدت إلى انسداد قنوات تصريف العين بشارع ملاح سليمان بالسوقة فتتسرب إلى الممرات والمباني ، وتسبب أضرار للناس كالسقوط والروائح ، وأخطار على المباني وحجارة الممرات التي تآكلت وتدهورت حالتها.

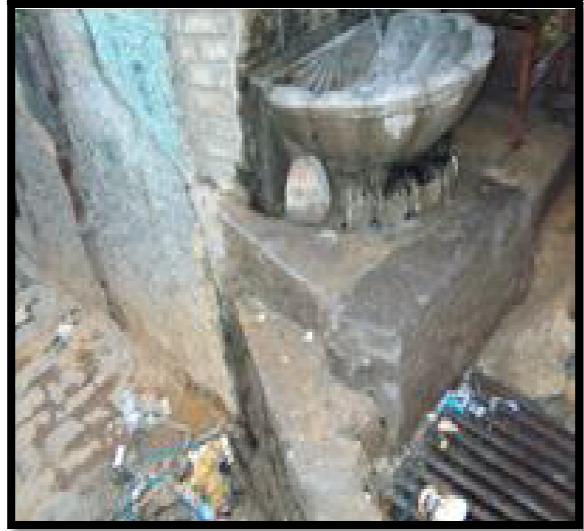
صورة رقم (30): انسداد المجاري المائية بحي السوق



المصدر: تصوير الطالبة 2014

ولأن مديرية الصيانة والوسائل العامة هي المؤسسة الوحيدة المسؤولة عن إصلاح الأعطاب وصيانة القنوات عبر كامل القطاعات الحضرية للبلدية وبوسائل تقليدية ، حيث "يتعدى طول قنوات الصرف الصحي لمدينة قسنطينة 50 كلم، منها 70% قديمة وغير صالحة، بما فيها من 5.000 بالوعة مركزية و 10.000 بالوعة ثانوية ، بالإضافة إلى صعوبة تضاريس المنطقة ، ولذلك لا يمكن للمؤسسة من الإصلاح الفوري للأعطاب مما يفتح المجال لمبادرات الشخصية لسكان الحي في إصلاح فوضوي للأعطاب المتكررة التي تطول مدتها فتضرر بالمباني و بترصيف حجارة الممرات وبالعابرين، و تعتبر المدينة العتيقة (الصخرة) بقسنطينة من المناطق ذات التدخل المتوسط لإصلاح العطب بنسبة 30% من التدخلات الإجمالية للمؤسسة.

صورة رقم (31) و (32): تبين احتمال انسداد البالوعات و بعض أسبابها بحي السوق



المصدر: تصوير الطالبة 2014

صورة رقم (33) و (34): تبين بعض الأخطار المتوقعة نتيجة تسرب المياه بالممرات بحي السوق



المصدر: تصوير الطالبة 2014



المصدر: تصوير الطالبة 2014

3-5-مظاهر التلوث بالنفايات الصلبة:

وفقا لنوع السكن عبأت الوسائل والإمكانات من طرف مديرية النظافة والبيئة بمدينة قسنطينة، و لا شك ب أن أكبر مشكلة تواجهها الأحياء العتيقة هي مشكلة جمع ونقل النفايات المترلية نظرا لطبيعة الممرات الضيقة والملتوية التي لا تسمح بمرور عربات جمع القمامة، لذلك تبقى الطرق التقليدية من بغال وعربات ذات ثلاث عجلات هي الحل الأنسب، وتشمل عملية التخلص من الفضلات عموما على:

أ- الجمع:

جمع الفضلات المترلية بقسنطينة يضمن الخدمة بيتا بيتا وتشمل التقاط القاذورات الموجودة في أوعية مخصصة لهذا الغرض :الأكياس، براميل القمامة، قوالب القمامة، العملية يومية وتشمل كافة إقليم البلدية.

ولتحسين العملية قسم الحي إلى قطاعات فرعية متجانسة للجمع، يبدأ وقت الجمع ليلا وبعد المغرب عادة، وقد أثرت عوامل عدة على حسن عملية الجمع أهمها : غياب الإنارة العمومية والحالة القديمة للممرات وعدم التفان من طرف عمال الجمع مما يخلق وفي كل مرة مستودعات للفضلات غير مراقبة.

ب- ما قبل الجمع:

تسبق الجمع وهدفها رفع الفضلات في موضع وحيد لتسهيل مهمة شاحنة التجميع غير أن هذه العملية اختفت في السنوات الأخيرة بالحي لأسباب عدة أهمها : العجز في الموارد البشرية والمادية على السواء من أعوان النظافة و العدة المخصصة لهم كعدد الصناديق والأوعية المعدنية الم سخرة وعدم احتوائها على مساحات احتياطية لذلك، مما يشجع على تكاثر مستودعات القمامة غير المراقبة عبر معظم القطاعات الفرعية التي نظفت.

ج-الكنس:

كنس الطرق العمومية تنفذ يوميا وفي حصتين : من السابعة صباحا حتى الحادية عشر، ومن الواحدة إلى الثالثة زوالا، مردود كل كناس تبقى خاضعة لمنطقة الكنس (منطقة تجارية، منطقة سكنية)، وعموما كل كناس يقوم بكنس من 2 إلى 3 كم/ يوم.

يتوفر كل كناس على نقالة وقميص خاص ووعاء أو كيس بلاستيكي ومجرفة ومكنسة، أحيانا الكناس ينهي كنسه ويجمعها داخل النقالة ويصبها داخل الحاويات والتي ستطرح مع الفضلات المترلية ، تقسم

هذه المجموعة إلى قطاعات، كل قطاع يقسم من جهته إلى 2 أو 3 قطاعات جزئية حسب التعداد، كل مجموعة تكنس مساحة من النسيج العمراني حسب خصائص الطريق (تجاري سكني).

ونلاحظ هنا أن عدم مراقبة العملية بحي السوق من مسؤولي القطاع لمختلف النظافة كان المردود ضعيف، فالكنس يقتصر على المحاور الكبرى ولا يمس الدروب الفرعية.

د- غسل (تنظيف الطرقات):

هي إحدى عمليات التنظيف تخصص لها فرقة مكونة من شاحنة ذات صهريج تمتلئ عند اقتراب الصيف وتباشر في غسل شرايين الطرق الأساسية، الأماكن العمومية، مواقف الحافلات، المدرجات، المبولات الفوضوية حسب برنامج ينطلق من 1 جويلية من كل عام وحتى 1 سبتمبر، عمليات الغسل تكون بصفة دورية باستعمال الماء ممزوج مع مواد معقمة.

هـ- الحراسة والتدخل:

مهمتها محاربة المفارغ غير المراقبة عبر البلدية والتي تبلغ من طرف المواطنين أو من طرف الوصاية، هذه الزمرة مقسمة إلى 10 أعوان مجهزة بالوسائل وشاحنتين. ويتطلب اقتلاع مستودعات الفضلات أسطول كبير من الوسائل المادية والبشرية الذي غالبا ما يكون غير متوفر، وبالمدينة العتيقة تنتشر العديد من مستودعات المفارغ غير المراقبة ناهيك عن ركاب المباني المتهدم، ويأمل السكان في حلول ملموسة قصد تحاشي أخطارها.

وتتبع عملية التنظيف عملية أخرى وهي المراقبة التي تقوم بها مصالح النظافة بالبلدية، و تكون بصفة منتظمة ودائمة بالخرجات التفقيشية الفجائية تكون مصحوبة بجزاء، غير أنه وعند وقوفنا عن سير عملية جمع القمامة ليلا بحي السوق تبين لنا الآتي:

-تقتصر عملية التخلص من القمامة بحي السوق على عمليتين فقط من بين العمليات المشار إليها أعلاه هما : الجمع والكنس، ثم تنقل إلى مفرغة عين السمارة عبر شاحنة مخصصة لذلك -لا أثر للبالغ أو العربات ذو ثلاث عجلات عند الجمع رغم وجود 5 بغال بالمحشر البلدي وما تستهلكه من علف يوميا وعن عمليات التنظيف والحراسة والعلف لها، وهذا منذ إدخال صناديق القمامة منذ 6 سنوات .

ورغم ما يبذل من جهود تبقى الفضلات الصلبة من أهم انشغالات سكان حي السوق، نظرا للقمامة المنتشرة بممرات الحي وأمام المباني وقرب الحاويات.

وبحي السوقية العتيق تأخذ الروائح عدة مظاهر أهمها:

- رائحة الفضلات الصلبة المنتشرة بالحي.

- رائحة المياه القذرة المتسربة.

- رائحة المذبغة.

- رائحة الوادي في فصلي الربيع والصيف.

- رائحة فضلات الجزارين.

- روائح المذبغة التقليدية.

4-5 مظاهر التلوث بالضوضاء:

من المعروف أن مصادر الضوضاء بالمدن العتيقة تتشابه مع غيرها من المدن أو الأحياء العصرية باستثناء وسائل النقل التي من المفترض أن لا تتوغل داخلها لطبيعة طرقها الضيقة، لذلك تعتبر مصادر الضوضاء الأساسية بالأحياء العتيقة ناتجة من البيئة التي يعيشها السكان أو من الأعمال اليومية التي يقومون بها إلا التصميم الانطوائي للمسكن التقليدي قد تفوق على ظاهرة الضوضاء داخله وأبطل شدتها بمعالجته المعمارية من تصميمت الواجهات والفناء الداخلي و طبيعة مواد البناء كاستعمال الخشب في الأسقف والأبواب وزيادة سمك الجدران، يضاف إلى ذلك أن الارتفاع الثابت لخط السماء تقريبا يساعد على عدم انتشار الأصوات وتموجها، وأيضا وجود الحديقة والنافورة تقلل الضوضاء بالأولى وتجعله غذبا عذوبة مائها بالثانية، فيجعل صاحب المسكن مرتاحا هادئا.

ويعتبر حي السوقية من الأحياء التي يعاني بعض سكانها ضوضاء شديدة رغم طبيعة نسيجها المتراس ومواد بنائها التقليدية ويرجع السبب أساسا إلى كونها أحياء شعبية ذات كثافة سكانية عالية وأيضا حالة بعض البنايات المهدمة كليا أو التي فقدت طباقا أو أكثر، حيث تترك فراغات كبيرة أفقيا وعموديا فتنتشر الأصوات وتتسلل إلى المساكن والممرات بصفة عادية لأنها مهيأة لذلك من خلال التعدي على تصاميم المباني لاسيما واجهاتها الخارجية وأفنياتها وتفصيلاتها الداخلية.

ويتعرض سكان حي السوقية لضجيج وسائل النقل المختلفة الصادرة من خارج حيهم كونه يقع بمركز المدينة الجاذب للحركة، ومن داخل الحي لا نستثني من ذلك إزعاج بعض أصحاب السيارات الخفيفة وهم يركنونها بالممرات رغم أن حركة المركبات داخل الحي لا تتم إلا نادرا وفي مناطق محددة منه كونها غير مؤهلة لضيقها، هذا ويشتد إزعاج صوت وسائل النقل أكثر بالبنايات الواقعة على حواف

الوادي والطريق الوطني رقم 3 الرابط بين قسنطينة وسكيكدة، وكذا الطريق الولائي الرابط بين مركز المدينة والطريق الوطني رقم 3 ، وكلاهما يشهدان اكتظاظا كبيرا فتنتقل صدى أصوات وسائل النقل (القطار، والمركبات) كما لو كانت بمصدرها أو أشد منها.

ومما زاد من شدة الأصوات غياب المساحات الخضراء التام بالحي التي تم تص الأصوات بكفاءة عالية أضف إلى ذلك غياب مساحات اللعب للأطفال من جهة وعدم الاحترام بين الجيران من جهة أخرى لكونهم يتركون تنفيذ الأعمال المزعجة ليلا أو في أوقات القيلولة.

وقد كانت السوق فيما مضى لا تسمع ونها غير أصوات الحرفيين وهم يداعبون أدواتهم البسيطة ليشكلوا منتجات تقليدية التي تعبر عن أصالة وتراث قسنطينة العريق، وقد اختفت الأنشطة التقليدية تماما بالمنطقة لاكتساح الانتهازيين المجالا فضاعت الصناعة التقليدية وضاع معها حرفيو قسنطينة ولم تبق سوى بعض الأنشطة التقليدية.

5-5-مظاهر التلوث البصري:

تتوفر المدينة العتيقة على العديد من المناظر الطبيعية والاصطناعية التي قلما تجد لها مثل كالصخرة وتجويقاتها مع اتصالها بوادي الرمال المزين بالجسر المعلق والجسور الأخرى التي تترك في نفسية الزائر انطباعا حسنا وكأنها لوحة فنية معبرة يقرأها فنان محترف.

تمثل الأحياء العتيقة بمساكنها ومساجدها وممراتها وأسواقها وبقايا أسوارها شواهد حضارية لفترات متعاقبة من تاريخ قسنطينة، غير أن هذا المنتج المادي قد عرف تشوها كبيرا نتيجة الطبيعة (العوامل المناخية) من جهة، و تعدي البشر من جهة أخرى، ومن مظاهر التلوث البصري بحي السوق بقسنطينة نذكر:

-نمط المساكن التقليدية التي بنيت بمواد رديئة سهلة التلف فتهدمت المباني وصارت جيوبا عمرانية ومزابل فوضوية لركام المباني والفضلات المتخلية ومناخا مريحا لتكاثر القوارض والهوام فتؤذي الإنسان وقد تسبب له الوفاة.

-منظر لتسربات المياه الصالحة للشرب والقذرة بالممرات ، وكذا منظر القمامة التي تغزو السوق من جهاته الأربعة وتغزو كل شبر من الحي، بالإضافة إلى التلوث البصري نتيجة الأشغال المستمرة للطرق والأرصفة نتيجة التسربات وتعدي السيارة عليها.

صورة رقم (35) و (36): تبين تسرب فضلات الصرف الصحي بممرات السوق.



المصدر: تصوير الطالبة 2014

-البناء العشوائي على شكل أكواخ بالمباني المهدمة، والتي تفتقر إلى التهوية الضرورية والإنارة الطبيعية الكافية وإلى كل شروط السكن الصحي، مما يعرض حياة سكانها لآفات جد خطيرة، وتزيد في اختلال التوازن داخل البيئة الحضرية ، وأيضا والجيوب العمرانية الناتجة عن التهدم الكلي للمباني تنبت فيها الحشائش فيتعرض الصغار لأخطار الزواحف، وقد تتسبب في اشتعال حرائق.

الصور رقم (37)،(38)،(39) : تبين البيوت القصديرية تغزو حي السوق العتيق كما تبين انكماش البصمات الجمالية بسبب البيوت القصديرية وأكوام القمامة والمزابل الفوضوية.



المصدر: تصوير الطالبة 2014

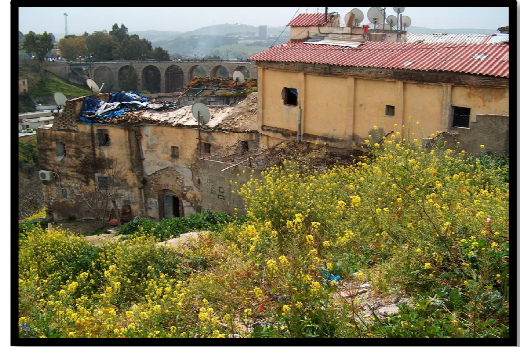
-زوال الأشجار والمساحات الخضراء بالمساكن وغياب الورود والنباتات التزيينية المتسلقة بالمساكن ولون الواجهات القاحلة التي تآكلت بفعل الرطوبة العالية وبشاعة تلبيسها القديم الذي يظهر مواد بنائها.

صورة رقم (40) (41): تبين تآكل تلبيس السقف بحي السوقية ومواد بنائه يترك صورة غير حسنة للناظر.



المصدر: تصوير الطالبة 2014

صورة رقم (42)،(43)،(44) : غياب الحدائق المترلية وبروز مكانها نباتات وأشواك بحي السوقية عشوائية تشكل خطرا على السكان.



المصدر: تصوير الطالبة 2014

بالإضافة إلى منظر التشققات الكبيرة بالجدران والتي يتأسف لحالها كل من يراها.

صورة رقم(45): تبين التشققات الكبيرة بالمباني بحي السوقية وخطرها على الساكنين ومنظرها القبيح للعين.



المصدر: تصوير الطالبة 2014

-منظر ورشات ترميم البناء بالمداخل الرئيسية للحي فهي تعيق الحركة بالممرات وما تسببه من إعاقة لحركة المشاة.

-الاعتداء على واجهات المباني بفتح نوافذ وأبواب جديدة أو تغيير أماكنها أو زيادة مساحاتها أو بنائها وتعديل تصاميم المسكن ومكوناته بطريقة لا تتلاءم مع البيئة المناخية وكذا الألوان غير المتناسقة .

5-6 مظاهر التلوث الغذائي:

يعتبر الغذاء من أهم عنصري الحياة الأساسية، لذلك يسعى لأن يحصل عليه وبالقدر الكافي من الكم والنوع لضمان الأمن منه وعدم الخضوع والذل للشعوب ، وقد كانت المدن العتيقة تحقق هذا المطلب اعتماداً على نفسها بالزراعة أو بالتبادل التجاري.

وبالمدن العتيقة العربية كان الغذاء يباع في الأسواق وفق شروط معينة يضعها المحتسب والقاضي فيراقب نوعية الخبز ووزنه وأسعاره مع التشديد على نظافة العمال الشخصية، كما يراقب نوعية السلع المعروضة، وقد عرفت اليوم ظاهرة التلوث الغذائي كغيرها من الظواهر الحديثة التي انتشرت في المجتمعات وهي خطيرة جداً على الصحة العامة تصل أحياناً إلى الموت والإصابة بالأمراض الخطيرة كالتهنم الغذائي وغيره من الأمراض العضوية التي تصيب الجسم.

ومن أهم مظاهرها طرق عرض اللحوم والمواد الغذائية في الممرات والأرصعة تحت أشعة الشمس الحارة وتحت تأثير الغبار والأتربة والأدخنة وكذا دون تغطيتها بل تترك للحشرات الحاملة للجراثيم فيصيب الجسم بالمرض.

وبحي السوق بقسنطينة يظهر التلوث الغذائي من خلال:

-طرق عرض اللحوم وأحشائها والخبز والمأكولات السريعة كالبيتزا على الطاولات وبالأرصعة.

-نقص النظافة الشخصية للبائعين.

صورة رقم(46): تبين أهم مظاهر التلوث الغذائي كطرق عرض اللحوم والمأكولات السريعة بحي السوق والتي تشكل خطرا على متناولها وتترك انطبعا سيئا على العين.



المصدر: تصوير الطالبة أفريل 2014

5-7-مظاهر التلوث الأخلاقي:

تتميز الأحياء التقليدية بافتقارها للتجهيزات الضرورية من راحة وترفيه وفضاءات لممارسة الرياضة مما يتسبب في ملل الأشخاص وبحثهم عن المتعة والراحة في مناطق أخرى، ومن هنا تبدأ المشاكل من خلال المضايقات وعلى الطريقة الغربية مثلما شاهده في الأفلام وصاروا يمثلون خطرا على الحي وعلى العابرين.

ولعل من الأسباب الرئيسة لهذه السلوكيات الغربية نذكر أن العائلات جاءت من مناطق مختلفة وذات عادات ومبادئ مختلفة كذلك غير أنها تتقاسم المشاكل والمعاناة، وهي تقيم في مساكن ذات مراحيض

جماعية ناهيك عن الاكتظاظ الذي يجعل بعض الأفراد يتناوبون على النوم، ولا ينعمون بالراحة ليلاً ولا نهاراً نتيجة إزعاج جيرانهم ووسائل النقل.

ومن الأسباب الأخرى للظاهرة نذكر البطالة والفقر للعائلات الأمر الذي يؤثر في سلوك وتربية أبنائهم، لعدم الاهتمام بهم أطفالاً وشباباً، فيتذمرون من واقعهم ويلجؤون عالم الإدمان للمخدرات والخمر وتحت تأثيرها يتجاوزون الخطوط الحمراء ويقعون في المحذور من سرقة واعتداء بالضرب واغتصاب وقتل، ويتردد هؤلاء المنحرفون على المباني المهجورة نهاراً، أما ليلاً فيتربصون بالعابرين بالمرات والأزقة المظلمة ويتفنون في الاعتداء عليهم.

وقد عم الخوف لدرجة أن لا أحد من سكان الحي أو العابرين أو التجار يأمن على نفسه أو عرضه أو ممتلكاته من أولئك الذين فشلوا في دراستهم وحياتهم، وقد صاروا يشكلون خطراً حقيقياً على السكان رغم أن الأمن الحضري لا يفصله عن حي السويقة إلا الطريق الجنوبي.

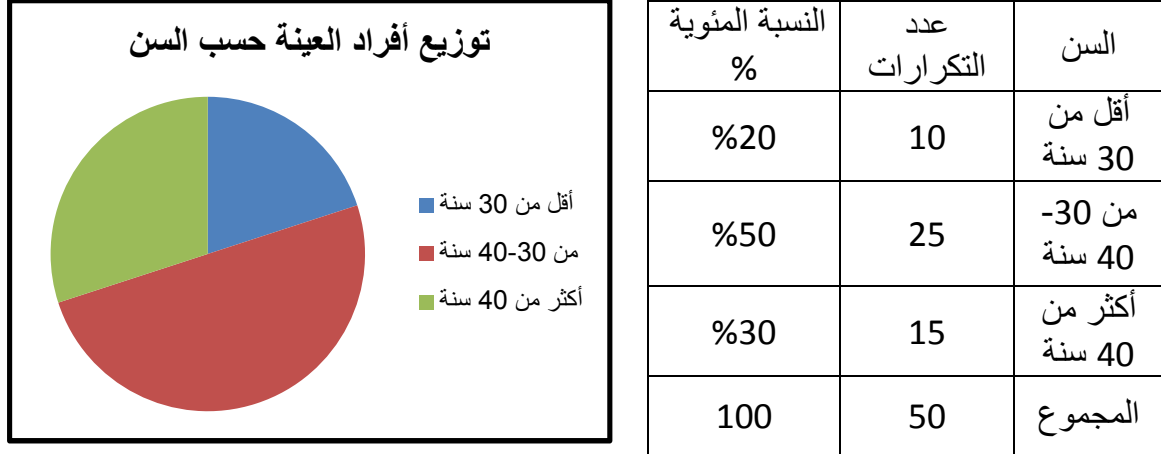
ولعل رد الاعتبار لتلك الفئة المهمشة من خلال توفير العمل والسكن وفضاءات الراحة وتشجيع الحوار والتشاور واستثمار الطاقات البشرية لاسيما تعليم المرأة والاهتمام بالأبناء وحثهم على مرافقة الأخيار مع تشجيعهم في دراستهم، وتنظيف الحي من ركام المباني والتعجيل بإيجاد حلول للمباني المهجورة وتوفير الأمن بالحي مع الوعي والتحسيس المستمر، كلها عوامل من شأنها أن تقلل من الظاهرة الغريبة على المجتمع القسنطيني وترفع شأن سكان الحي ويستعيد الحي مكانته من جديد اقتصادياً واجتماعياً وعمرانياً ومعمارياً.

1- دراسة التغيرات حسب نتائج الاستمارة الاستبيانينة :

أولا : - تحليل البيانات المتعلقة بمؤشرات الجانب الاجتماعي :

1- جدول رقم (08) : يبين توزيع أفراد العينة حسب السن.

الشكل رقم (02):

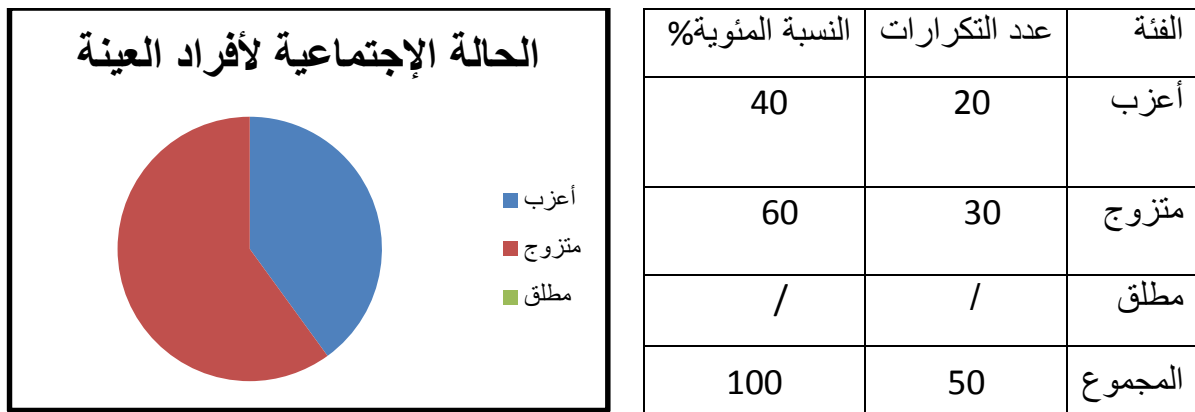


المصدر :تحقيق ميداني أفريل 2014

من خلال الجدول (08) نرى التنوع في الفئات العمرية لأفراد الحي و بالتالي تنوع الأجيال إذ نجد النسبة العالية ما بين 40-30 سنة بنسبة تقدر 50 % و هذا ما يدل على أن المنطقة يسودها الكهول ثم تليها فئة أكثر من 40 سنة بنسبة 30% و في المدينة و في الأخير فئة الأقل من 30 سنة بنسبة 20 % مما يدل على أن المنطقة لا يوجد بها الكثير من الشباب.

2- جدول رقم (09) : يبين الحالة الاجتماعية لأفراد العينة.

الشكل رقم(03):

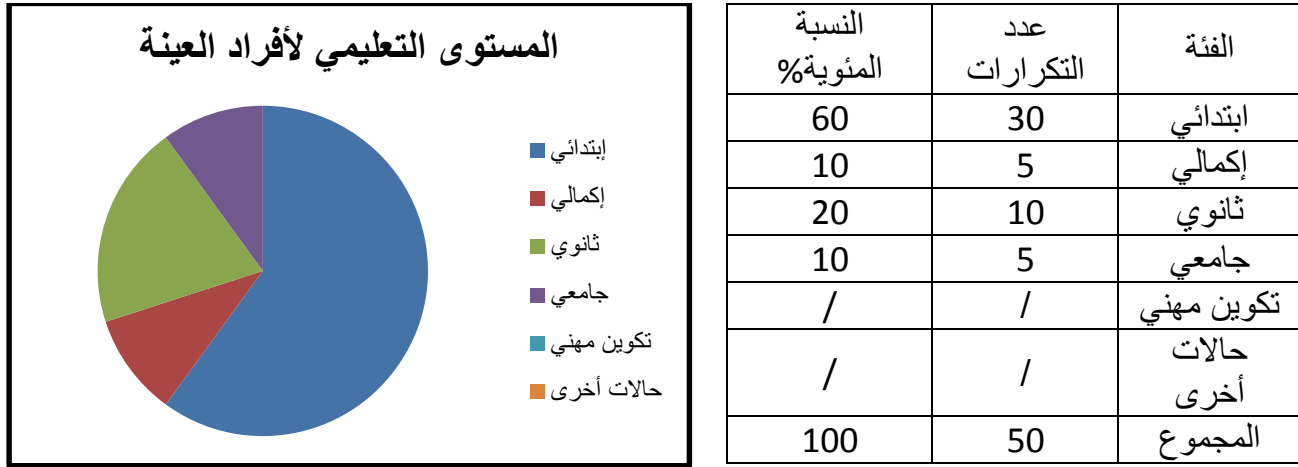


المصدر :تحقيق ميداني أفريل 2014

من خلال الجدول نلاحظ أن نسبة المتزوجين كانت معتبرة حوالي 60%، ثم فئة العازبين من الشباب و الكهول ب 40 %.

3- جدول رقم (10): يبين المستوى التعليمي لأفراد العينة.

الشكل رقم (04) :

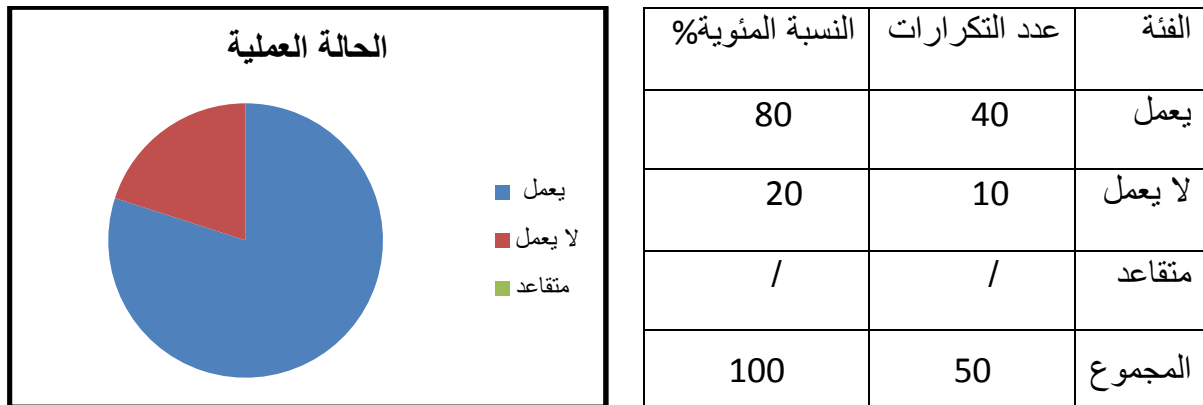


المصدر: تحقيق ميداني أبريل 2014

من خلال الجدول نلاحظ أن التعليم الابتدائي حصل على أعلى نسبة قدرت ب 60%، ثم يليها التعليم الثانوي بنسبة 20% أما التعليم الإكمالي و الجامعي فقد ب 10 % و يعتبر التعليم العالي ذو دور مهم حيث يتميز بالوعي ، فكلما كان المستوى التعليمي أعلى بالمنطقة كان الوعي أكبر.

4- جدول رقم(11): يبين الحالة العملية.

الشكل رقم (05) :

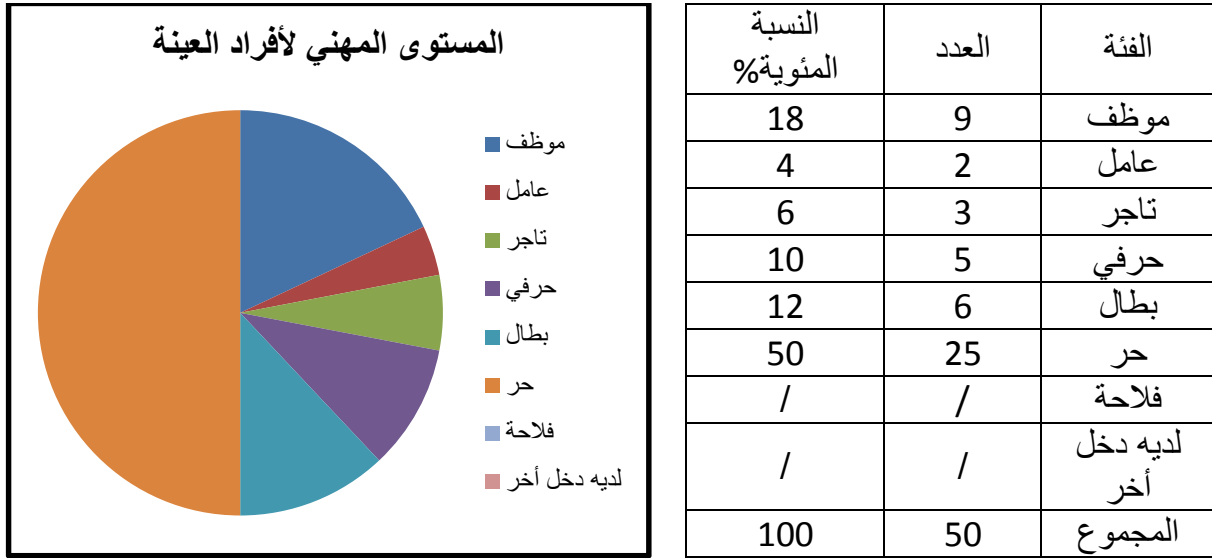


المصدر: تحقيق ميداني أبريل 2014

من خلال الجدول نلاحظ أن نسبة العاملين في المرتبة الأولى بنسبة 80 % أما نسبة الغير مشغلين قدرت ب 20 % دلالة على أن معظم أفراد العينة يشتغلون.

3- جدول رقم(12): يبين المستوى المهني لأفراد العينة.

الشكل رقم(06):

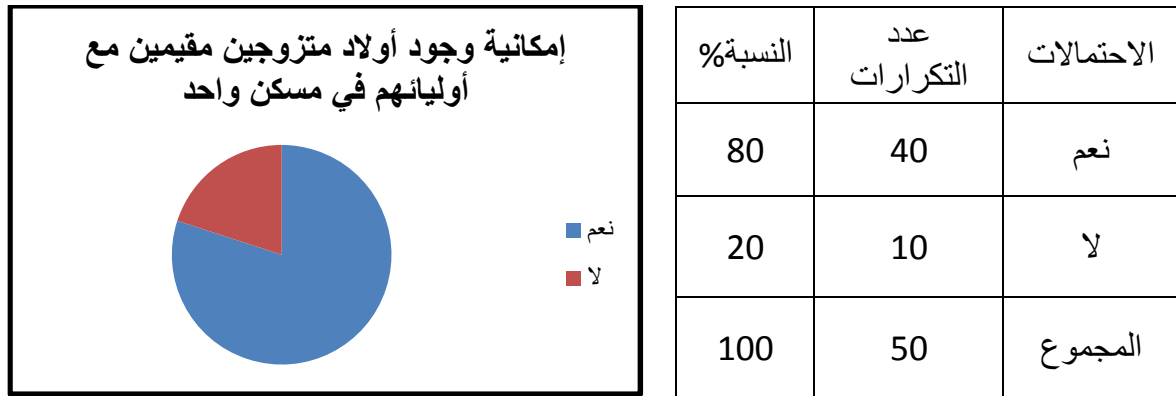


المصدر: تحقيق ميداني أفريل 2014

تتعدى نسبة المهن الحرة 50% من مجموع مهن أفراد العينة تسودها التجارة و هذا راجع لطبيعة النشاط التجاري للمنطقة. بينما تبلغ نسبة العاملين بالوظائف العمومي 18%. و بلغت نسبة البطالة 12% أي بدون دخل و هي مرتفعة مما يؤثر سلبا على الحالة الاجتماعية للأفراد.

6- جدول رقم(13): يبين إمكانية وجود أولاد متزوجين مقيمين مع أوليائهم في مسكن واحد.

الشكل رقم (07) :

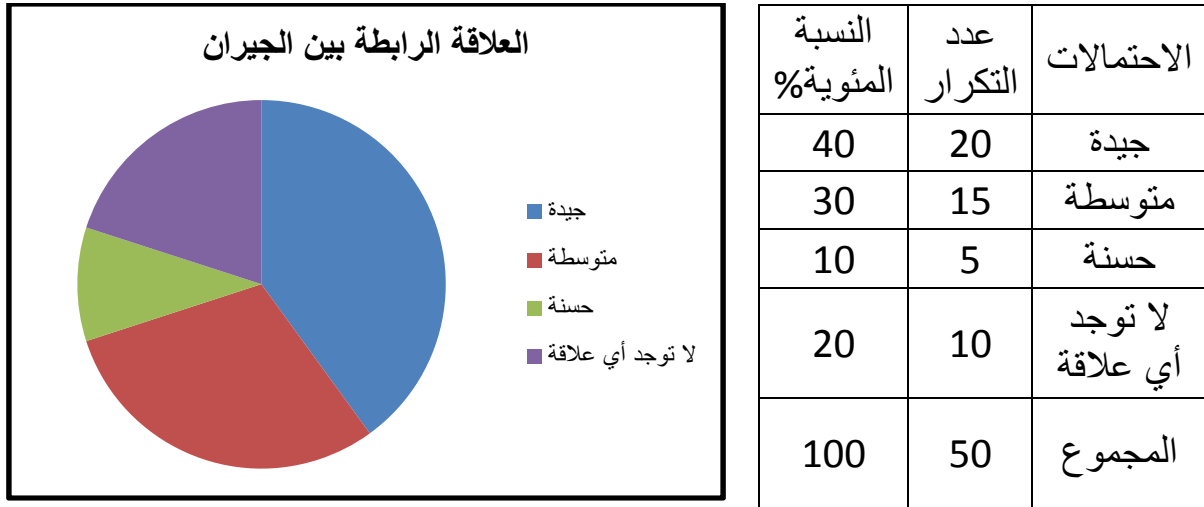


المصدر: تحقيق ميداني أفريل 2014

من خلال الجدول نجد أن نسبة 80 % يعيشون في مسكن مستقل كما يوضح وجود أسرتين تعيش في مسكن واحد بنسبة 20% و ذلك لعدم توفر الإمكانيات المادية.

6- جدول رقم (14): يبين العلاقة الرابطة بين الجيران.

الشكل رقم (08) :

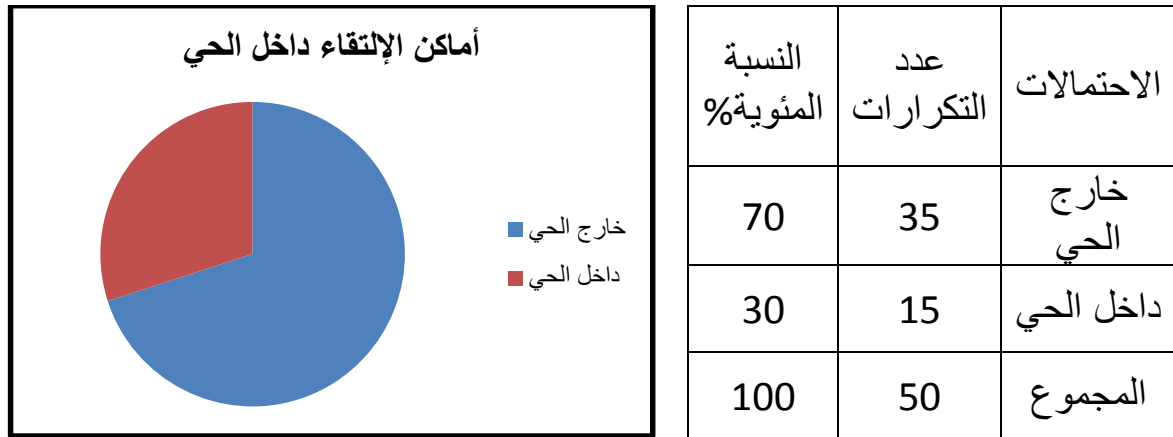


المصدر: تحقيق ميداني أفريل 2014

من خلال الجدول نلاحظ أن معظم الجيران تربطهم علاقة جيدة بنسبة قدرت ب 40 % و تليها العلاقة المتوسطة بنسبة 30% و 10% علاقة حسنة و نسبة 20% لا توجد أي علاقة.

7- جدول رقم (15): يبين أماكن الالتقاء داخل الحي.

الشكل رقم (09) :



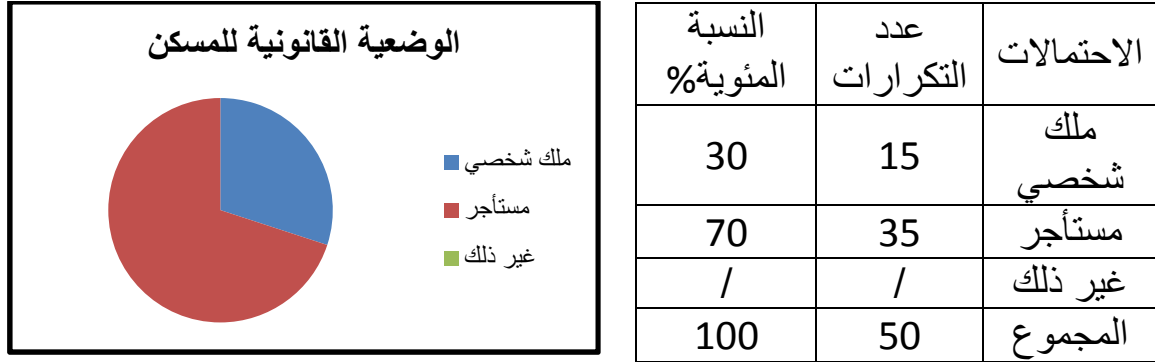
المصدر: تحقيق ميداني أفريل 2014

من خلال الجدول نلاحظ أن أغلب سكان المنطقة يلتقون خارج الحي بنسبة تقدر ب 70% و هذا نظرا لعدم توفر أماكن للالتقاء و البحث عن الراحة و نسبة 30% من سكان العينة يحبون الالتقاء داخل الحي.

ثانيا : تحليل البيانات المتعلقة بمؤشرات الجانب العمراني.

6- جدول رقم(16): يبين الوضعية القانونية للمسكن.

الشكل رقم (10) :

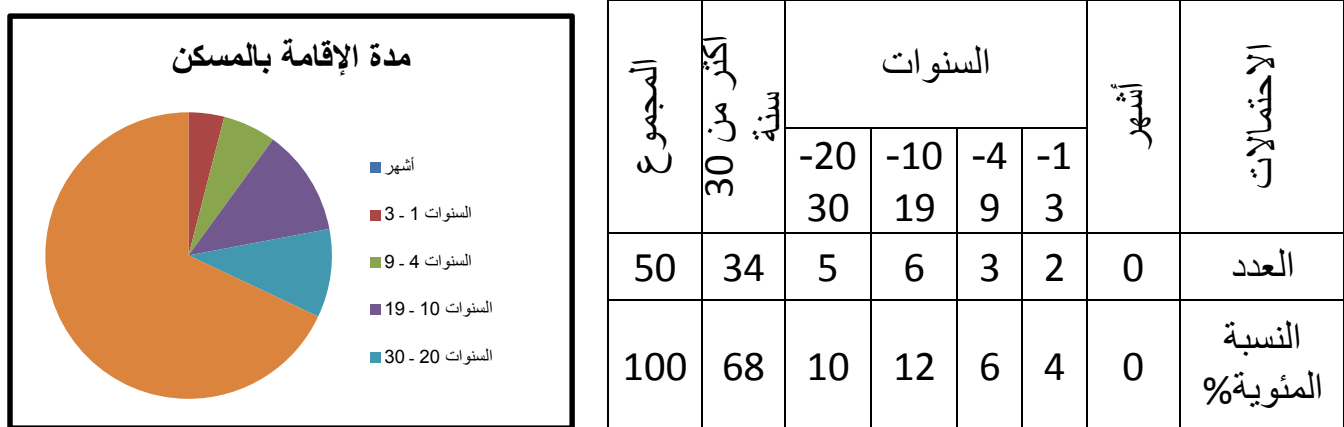


المصدر: تحقيق ميداني أبريل 2014

تسيطر فئة السكان المستأجرين للمساكن نسبة 70% بينما لا تتعدى فئة مالكي السكن 30% من العينة، مما يزيد صعوبة عملية الترميم و مختلف التدخلات العمرانية.

7- جدول رقم(17): يبين مدة الإقامة بالمسكن.

الشكل رقم (11) :

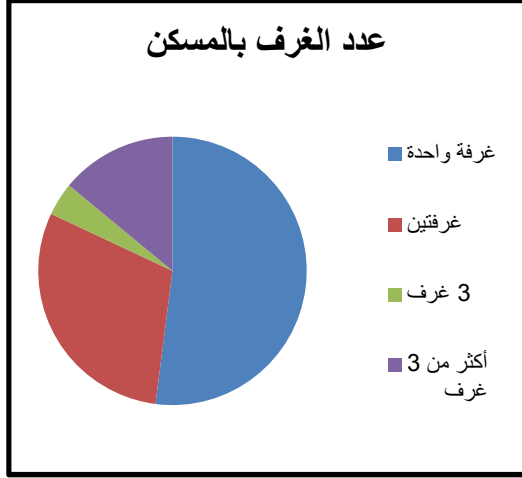


المصدر: تحقيق ميداني أبريل 2014

تطغى فئة السكان الذين يقطنون الحي أكثر من 30 سنة نسبة 68% من العينة و تشمل المالكين و بعض السكان الذين فضلوا البقاء لممارسة التجارة، تليها فئة الذين يقطنون الحي من 19-10 سنة نسبة 12% و أغلبهم يمثلون النازحين من الأرياف ثم فئة من 20-30 سنة نسبة 10% يمثلون الموظفون ثم فئة من 4-9 سنوات و 1-3 سنوات نسبة 6% و 4% على الترتيب و أغلبهم البطالين الذين لا يملكون تكوين أو شهادة يحاولون الاشتغال بها.

10- جدول رقم(18): يبين عدد الغرف بالمسكن.

الشكل رقم (12) :



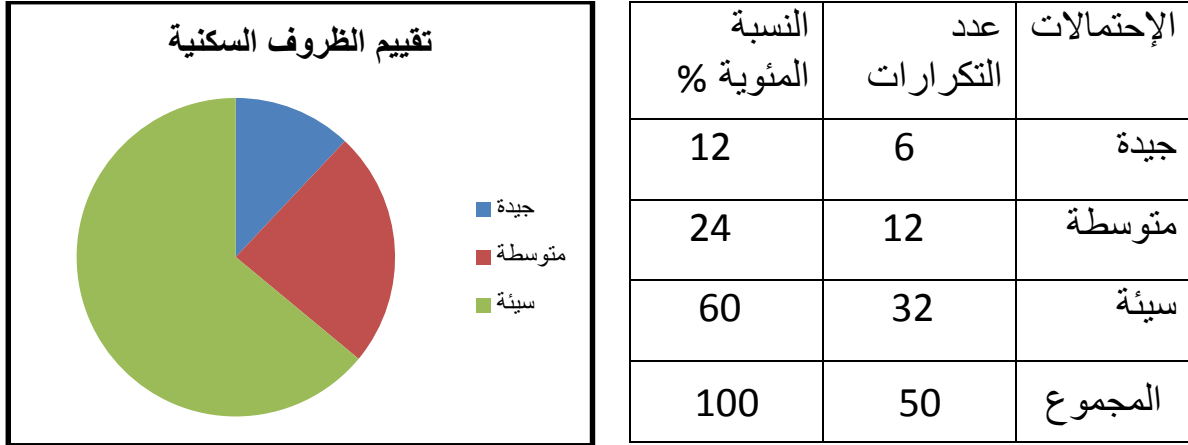
الاحتمالات	غرفة واحدة	غرفتين	3 غرف	أكثر من 3 غرف	المجموع
العدد	26	15	2	7	50
النسبة المئوية %	52	30	4	14	100

المصدر: تحقيق ميداني أفريل 2014

تتقدم فئة الأفراد الذين يملكون غرفة واحدة نسبة 52% ثم فئة ذات غرفتين نسبة 30% من المساكن، ثم فئة الأكثر من 3 غرف نسبة 14% و أخيرا مساكن ذات 3 غرف نسبة 4%.

11- جدول رقم(19): يبين تقييم الظروف السكنية.

الشكل رقم (13) :

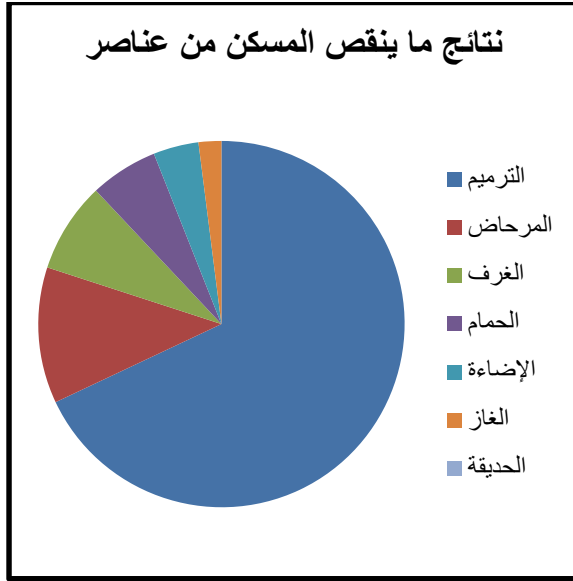


المصدر: تحقيق ميداني أفريل 2014

من خلال الجدول يتضح أن نسبة 60% من سكان العينة مساكنهم سيئة و غير راضين عن السكن في هذه الظروف التي يعيشونها و هذا نظرا لاكتظاظ و ضيق لا سيما المراحيل الجماعية.و أن 24% من سكان العينة يصفون ظروفهم بالمتوسطة كونهم يتمتعون ببعض الامتيازات عن الفئة الدنيا.كالاتساع، و تبقى نسبة 12% من سكان العينة عبروا عن رضاهم التام كونهم يتمتعون بكافة الشروط الصحية.

12- جدول رقم(20): يبين نتائج ما ينقص المسكن من عناصر.

الشكل رقم (14) :



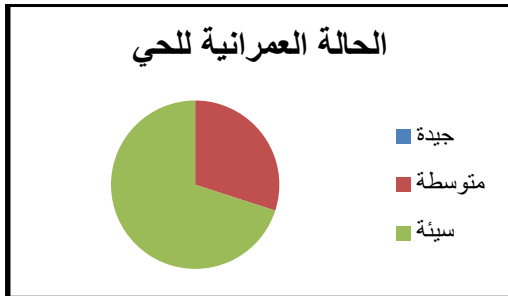
المراتب	العناصر	عدد التكرار	النسبة المئوية %
1	الترميم	34	68
2	المرحاض	6	12
3	الغرف	4	8
4	الحمام	3	6
5	الإضاءة	2	4
6	الغاز	1	2
7	الحديقة	0	0
المجموع		50	100

المصدر: تحقيق ميداني أبريل 2014

نظرا للوضعية المتدهورة لمساكن حي السويقة بسبب قدمه و هشاشته و مواد بنائه فإن سكان العينة وضعوا أولوياتهم بالترميم بنسبة 68% و يأتي المرحاض بنسبة 12% نظرا للحرص الكبير في استعمال المرحاض الجماعي ثم نسبة 8% للغرف للاكتظاظ في المساكن و بعدها الحمام بنسبة 6% لأجل النظافة ثم 4% و 2% من الإضاءة و الغاز على الترتيب أما الحديقة فهي آخر اهتماماتهم في هذه الحالة.

13- جدول رقم(21): يبين الحالة العمرانية للحي.

الشكل رقم (15) :



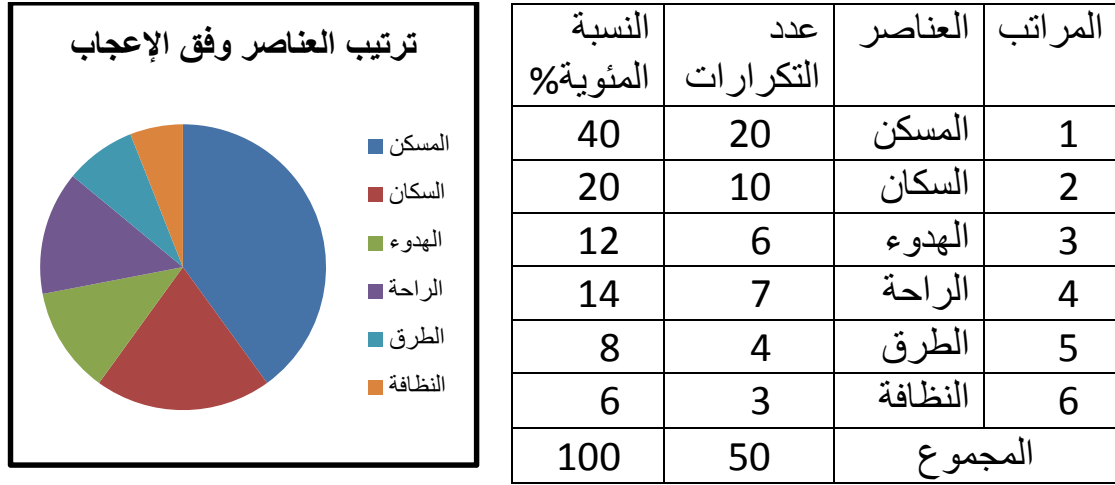
الاحتمالات	عدد التكرارات	النسبة المئوية %
جيدة	/	/
متوسطة	15	30
سيئة	35	70
المجموع	50	100

المصدر: تحقيق ميداني أبريل 2014

من خلال الجدول نلاحظ أن أغلبية السكان غير راضين عن الحالة العمرانية للحي بنسبة 70% و 30% من السكان يرون أنه في حالة عمرانية متوسطة.

14- جدول رقم (22): يبين ترتيب العناصر وفق الإعجاب.

الشكل رقم (16) :

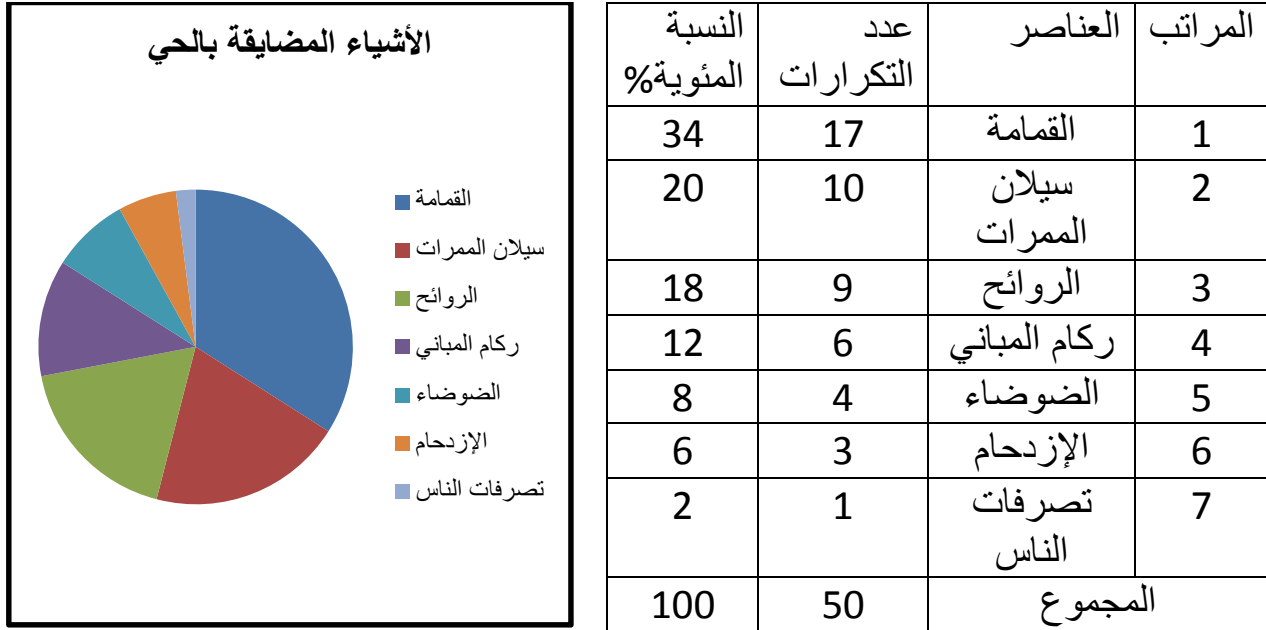


المصدر: تحقيق ميداني أبريل 2014

يرى 40% من سكان العينة أن المسكن هو الأكثر إعجابا بالحي لمكوناته و ما يوفره من راحة و أمن على الحرمات. بينما يرى 20% أن السكان هم العنصر المفضل لديهم في الحي. بينما أن النظافة فهي 6% تحتل المرتبة الأخيرة لانتشارها الكبير.

15- جدول رقم (23): يبين الأشياء المضايقة بالحي.

الشكل رقم (17) :

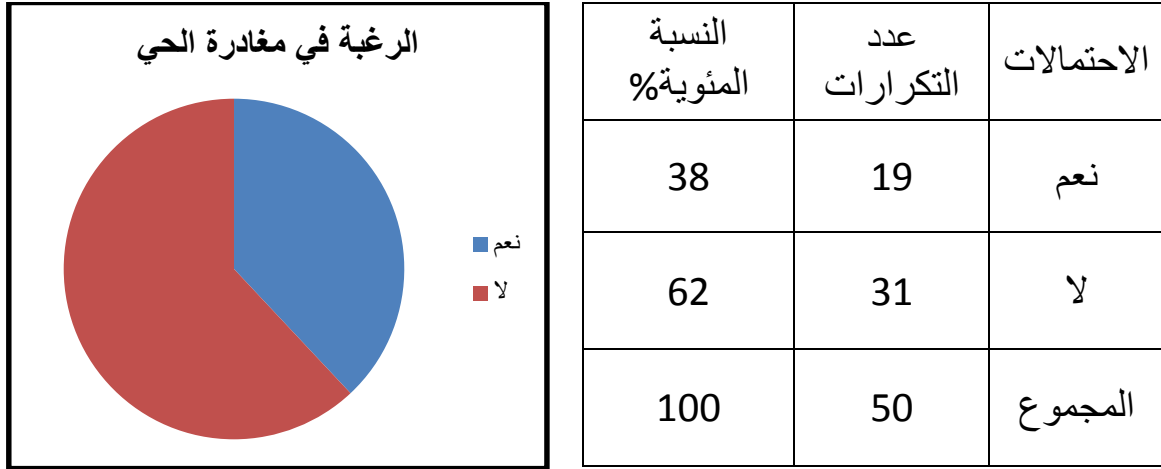


المصدر: تحقيق ميداني أبريل 2014

من خلال نلاحظ أن 34% من أفراد العينة يشتكون من القمامة لكثرة انتشارها بالحي كون أعوان النظافة لا ينظفون في حين 20% يتكون من سيلان الماء بالممرات و ما تسببه من أخطار على أرضية الممرات و المساكن، و أن 18% يتضايقون من الروائح لا سيما في الصيف، بينما يتحسر 12% من ركام المباني الذي يشكل خطر عليهم و نسبة 8% يعانون من الضوضاء و 6% من الازدحام و يبقى 2% يتضايقون من تصرفات الناس.

16- جدول رقم(24): يبين الرغبة في مغادرة الحي.

الشكل رقم (18) :



المصدر: تحقيق ميداني أبريل 2014

يتمسك 62% من أفراد العينة بالحي بسبب موقعه بمركز المدينة و مبلغ الكراء الرمزي و إمكانية ممارسة تجارة الأرصفة بينما يحترم 38% منهم مغادرة الحي متى سمحت ظروفهم.

17- جدول رقم(25): يبين أسباب مغادرة الحي.

الشكل رقم (19) :

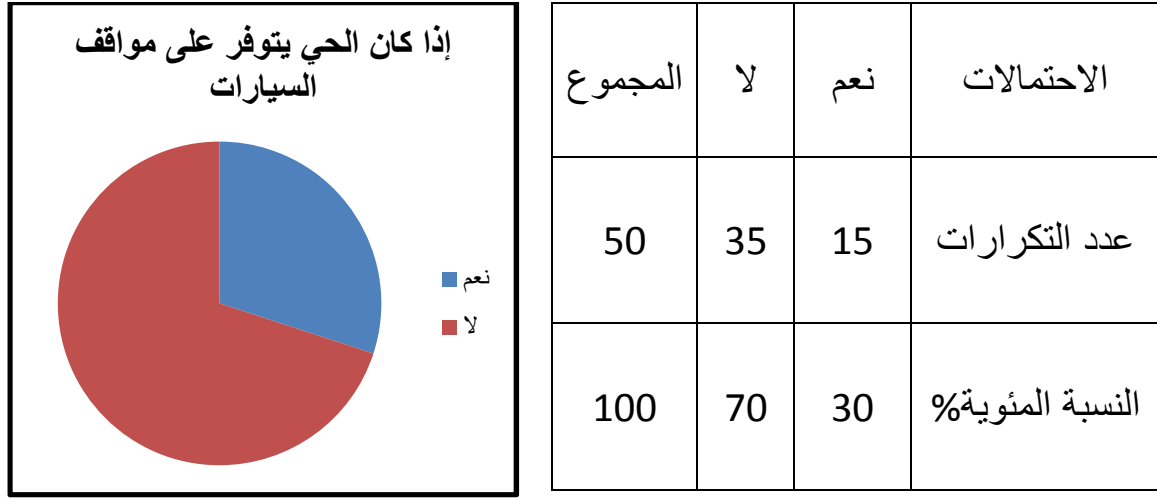


المصدر: تحقيق ميداني أبريل 2014

و مهما تكن أسباب الارتباط بالحي تبقى تخضع للمصلحة الفردية للشخص حيث نلاحظ من خلال الجدول أن نسبة 70% من سكان العينة سبب مغادرة الحي هي المسكن.

18- جدول رقم(26): يبين إذا ما كان الحي يتوفر على مواقف السيارات.

الشكل رقم (20) :

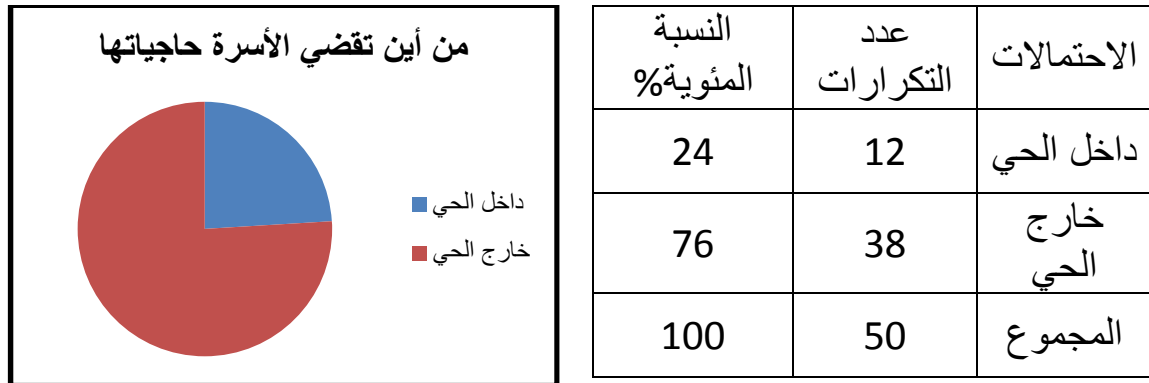


المصدر: تحقيق ميداني أبريل 2014

من خلال الجدول نلاحظ أن أغلبية السكان يعانون من عدم وجود أماكن لركن السيارات و 30% حيهم يتوفر على ذلك.

19- جدول رقم (27): يبين من أين تقضي الأسرة حاجياتها.

الشكل رقم (21) :

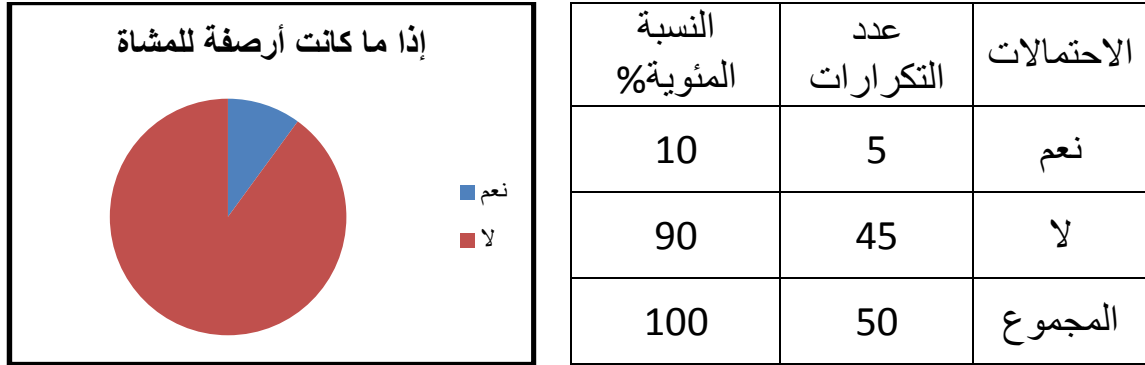


المصدر: تحقيق ميداني أبريل 2014

من خلال الجدول نلاحظ أن أغلبية سكان الحي تقضي حاجياتها من أماكن أخرى في المدينة مثل الأحياء المجاورة أو وسط المدينة و ذلك بنسبة 76% أما نسبة 24% فهم يقضونها داخل الحي.

20- جدول رقم (28): يبين إذا ما كانت أرصفة للمشاة.

الشكل رقم (22) :

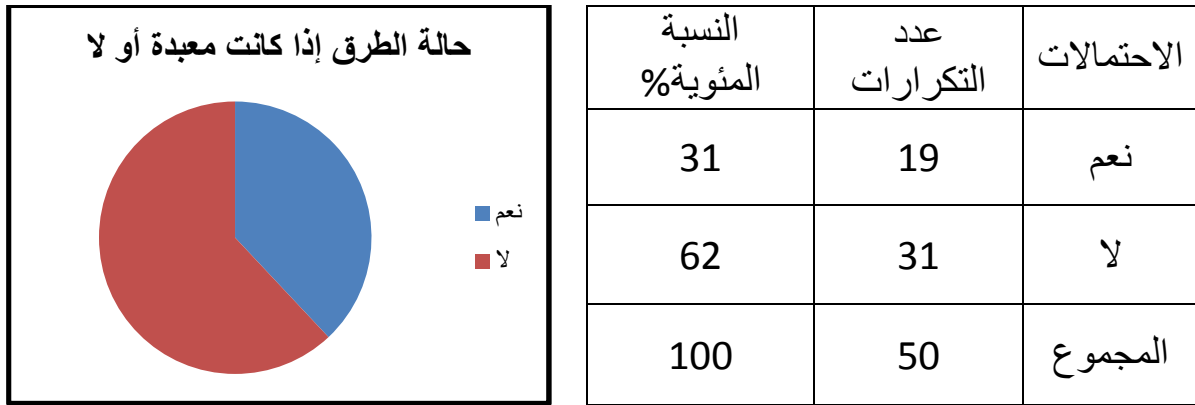


المصدر: تحقيق ميداني أبريل 2014

من خلال الجدول يتبين لنا أن ممرات الراجلين غير موجودة في نظر 90% من سكان العينة.

21- جدول رقم (29): يبين حالة الطرق إذا كانت معبدة أو لا.

الشكل رقم (23) :



المصدر: تحقيق ميداني أبريل 2014

من خلال الجدول نلاحظ ان نسبة 62 % من سكان العينة يرون أن الطرق غير معبدة و 38% يرونها أنها مجهزة.

ثالثا : تحليل معطيات المتعلقة بمؤشرات الجانب البيئي.

22- جدول رقم(30): يبين ترتيب مضايقات السيارة للراجلين.

الشكل رقم (24) :

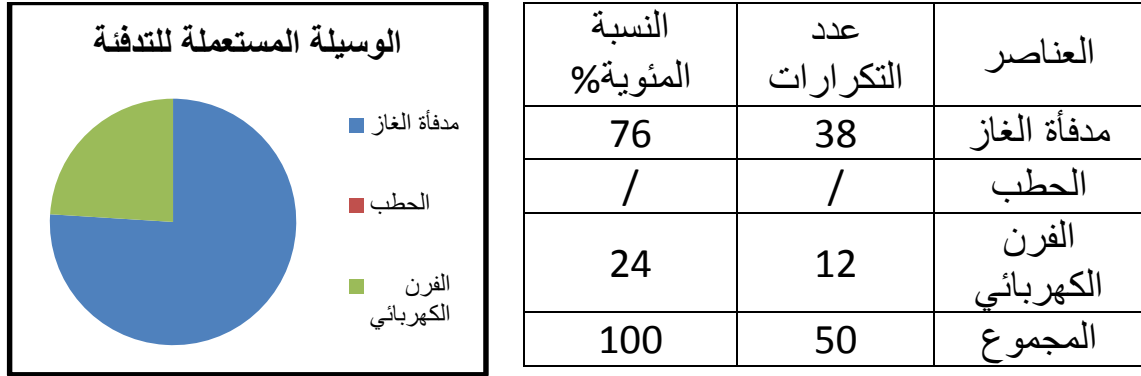


المصدر: تحقيق ميداني أفريل 2014

يرى 40% من أفراد العينة أن الدخان و روائح السيارة هي الأكثر إيذاء بحي السويقة بالنظر إلى طبيعة النسيج المتراص و بعدها يليها التعدي على الممرات بنسبة 28% حيث يتضايقون من دخول السيارة و امتدادها على المجال ثم 20% من أفراد العينة يعانون من الاكتظاظ و أخيرا 12% يعانون من الضوضاء.

23-جدول رقم(31): يبين الوسيلة المستعملة للتدفئة.

الشكل رقم (25) :

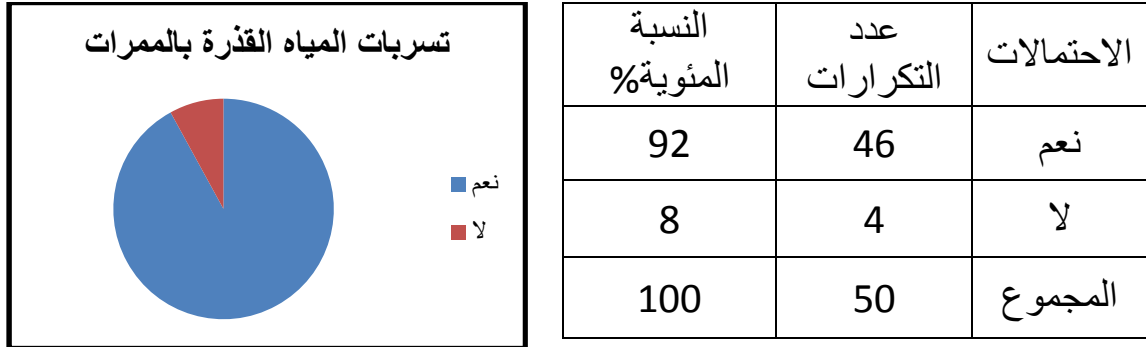


المصدر: تحقيق ميداني أفريل 2014

يستعمل 76% من أفراد العينة الغاز في التدفئة المنزلية و يعتبر الغاز من المواد الأقل تلوثا مقارنة بالفحم و البترول، بينما يستعمل 24% الفرن الكهربائي و هو الأقل تلوثا من الغاز غير أنه قد يؤدي كسابقه إلى الاختناق نتيجة نقص التهوية.

24- جدول رقم (32): يبين تسربات المياه القذرة بالممرات.

الشكل رقم (26) :



المصدر: تحقيق ميداني أفريل 2014

يؤكد 92% أن الحي يشهد تسربات المياه القذرة و حتى الصالحة للشرب بالممرات بينما يرى 8% أنهم لا يلاحظوا أي تسربات و الحقيقة أن حي السويقة معرض دوما لتسربات المياه القذرة.

25- جدول رقم(33): يبين سبب تسرب المياه القذرة بالممرات.

الشكل رقم (27) :

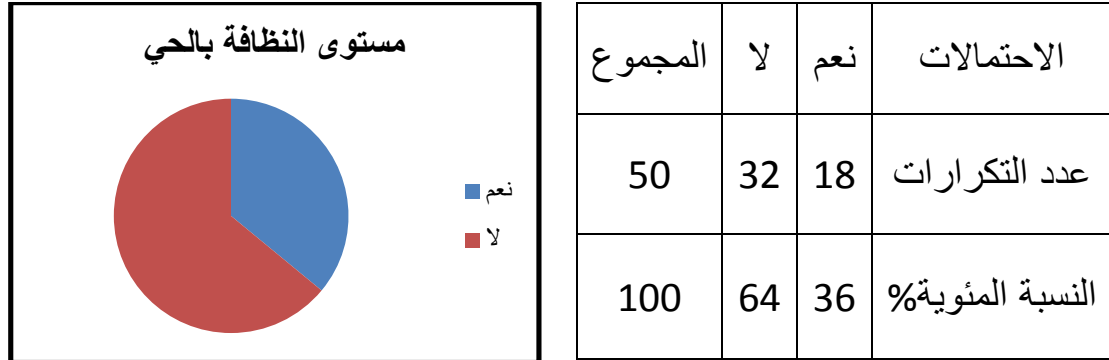


المصدر: تحقيق ميداني أفريل 2014

يشتكى 76% من افراد العينة من تسربات المياه و يؤولون السبب إلى قدم القنوات أما 24% فإنهم يقولون أن السبب الرئيسي هو عدم استيعابها للتدفق الكبير.

26- جدول رقم(34): يبين مستوى النظافة بالحي.

الشكل رقم (28) :

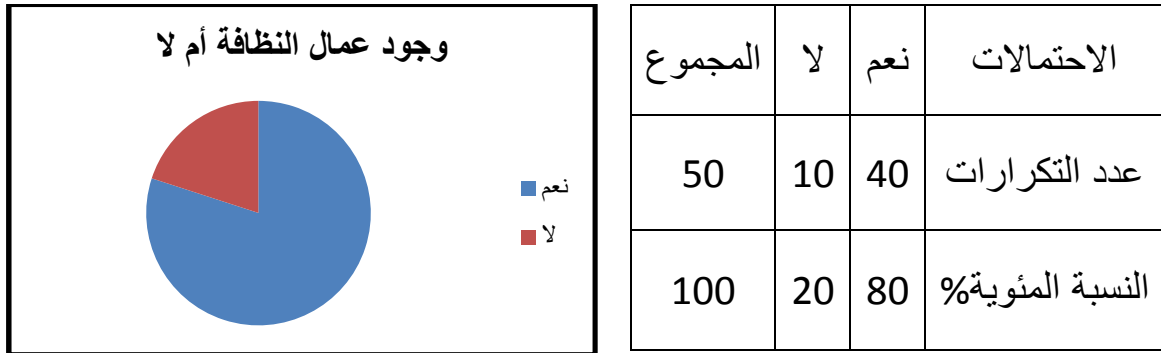


المصدر: تحقيق ميداني أبريل 2014

يؤكد 64% من أفراد العينة أن الحي ليس نظيف تماما و ذلك لانتشار القمامة و ظهور المزابل الفوضوية بها، بينما يرى 36% العكس تماما.

27- جدول رقم(35): يبين وجود عمال النظافة أم لا.

الشكل رقم (29) :



المصدر: تحقيق ميداني أبريل 2014

يؤكد 80% من أفراد على وجود أعوان النظافة بالحي، أما 20% فإنهم ينكرون وجود أي عامل نظافة.

28- جدول رقم(36): يبين أوقات تكاثر الفضلات بالحي.

الشكل رقم (30) :

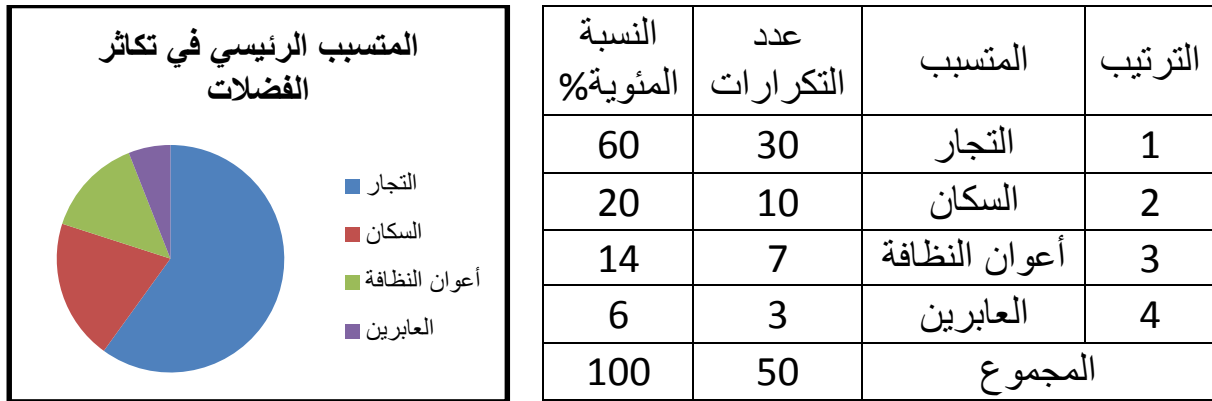


المصدر: تحقيق ميداني أفريل 2014

يتفق معظم المستجوبين بنسبة 72% أن تكاثر الفضلات يكون في المناسبات و خصوصا المناسبات الدينية (رمضان، المولد النبوي الشريف، العيدين) أين يزداد عدد المترددين على الحي لاقتناء لوازم الحلويات و اللحم، في حين يرى البعض أن الفضلات تتكاثر في أيام العطل بنسبة 20% و نسبة 8% يرون تكاثرها في نهاية الأسبوع.

29- جدول رقم(37): يبين المتسبب الرئيسي في تكاثر الفضلات.

الشكل رقم (31) :

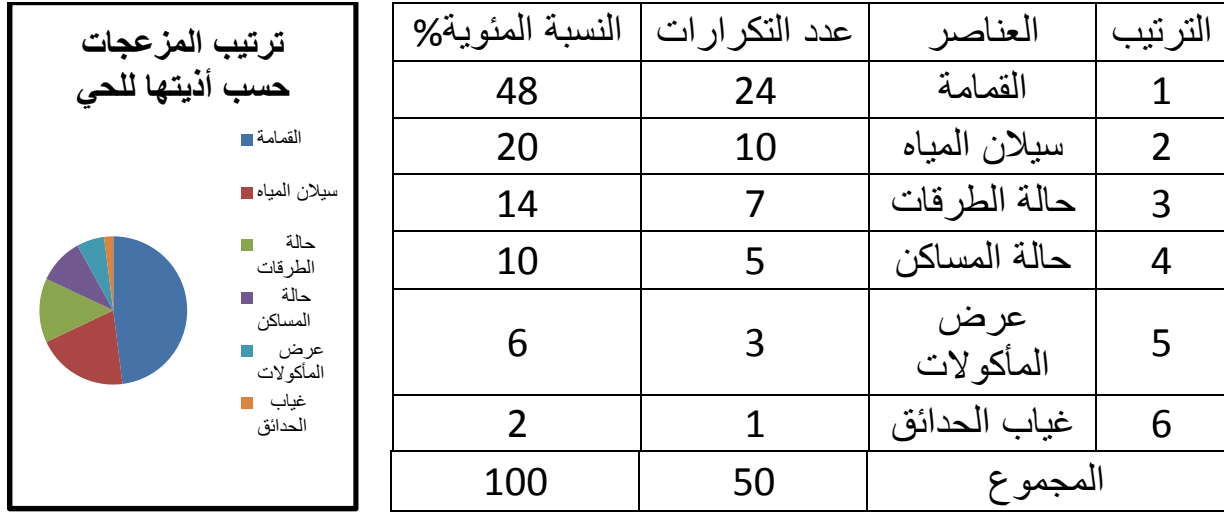


المصدر: تحقيق ميداني أفريل 2014

من خلال الجدول يتضح لنا أن التجار أول المتسببين في تلوث الحي بالسويقة بنسبة 60% بالنظر إلى النشاط التجاري، أما المرتبة الثانية فتعود للسكان بنسبة 20% الذين لا يحترمون زمن إخراج القمامة و لا يوصلونها إلى الحاويات و نسبة 14% يرون أن المتسبب الرئيسي هم أعوان النظافة لعدم قيامهم بواجبهم كاملا و في الأخير نسبة 6% تعود إلى العابرين حيث يرمون الأوراق و الأكياس في الممرات و الأسواق.

30- جدول رقم(38): يبين ترتيب المزعجات حسب أذيتها للحي.

الشكل رقم (32) :

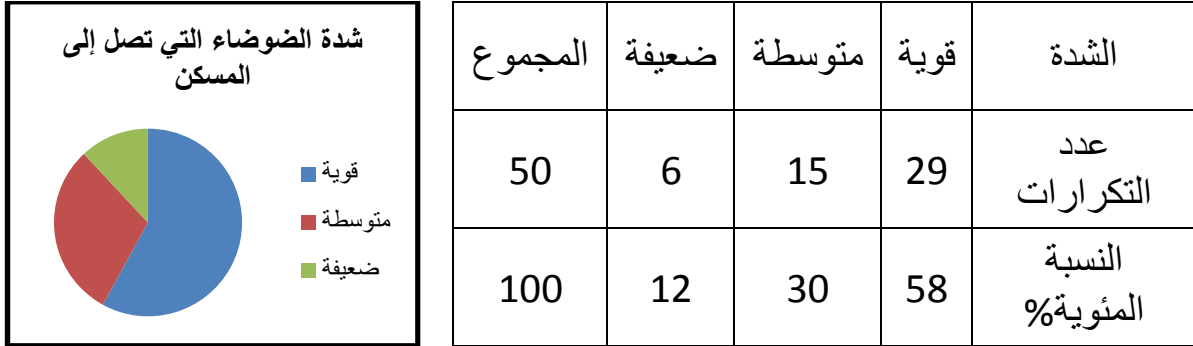


المصدر: تحقيق ميداني أفريل 2014

من خلال الجدول يتضح لنا أن القمامة هي أول المزعجات و أكثرها أذية للسكان بنسبة 48% من أفراد العينة كونها تشوه المنظر و تزيد في تكاثر الحشرات و القوارض والكلاب، و بالمرتبة الثانية سيلان المياه كونه يجري بالممرات فيبيللها مما يعيق حركتهم، وبالمرتبة الثالثة حالة الطرقات بنسبة 14% المتدهورة من جهة و ما يسببه من أخطار من جهة أخرى، ثم حالة المساكن في المرتبة الرابعة بنسبة 10% أما في المرتبة الخامسة نسبة 6% هي عرض المأكولات على طول الطرقات و في المرتبة السادسة نسبة 2% هي غياب الحدائق.

31- جدول رقم(39): يبين شدة الضوضاء التي تصل إلى المسكن.

الشكل رقم (33) :

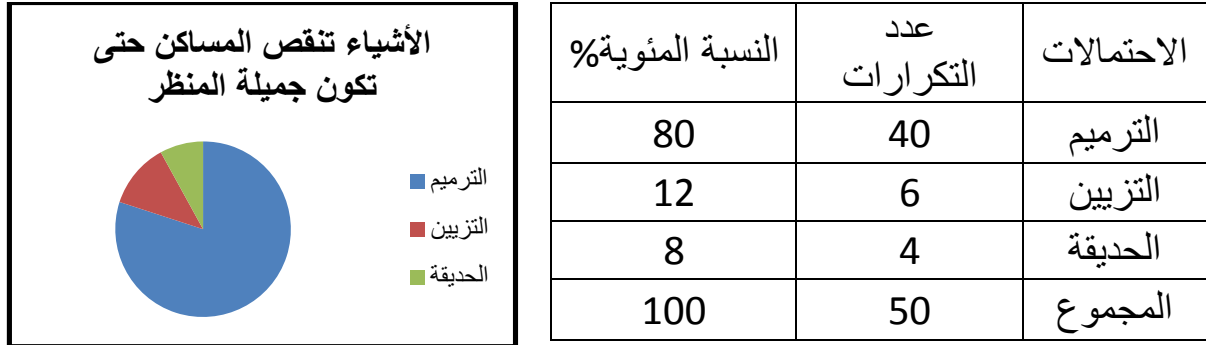


المصدر: تحقيق ميداني أفريل 2014

يشتكي 58% من أفراد العينة من الضوضاء الشديدة التي تصل إلى المسكن و يتعلق الامر بالسكان الذين يقطنون على جانبي الوادي مما يساهم في زيادة صدى الأصوات لا سيما بمحاذاة الطريق الوطني رقم (3) و أن 30% يتعرضون لضوضاء متوسطة تشتد أحيانا و تخدم أحيانا، بينما 12% تصلهم الشدة بنسبة قليلة و يتعلق الأمر بسكان المباني البعيدة عن الممرات الرئيسية و البعيدة أيضا عن حركة السيارات.

32- جدول رقم (40): يبين الأشياء تنقص المساكن حتى تكون جميلة المنظر.

الشكل رقم (34) :

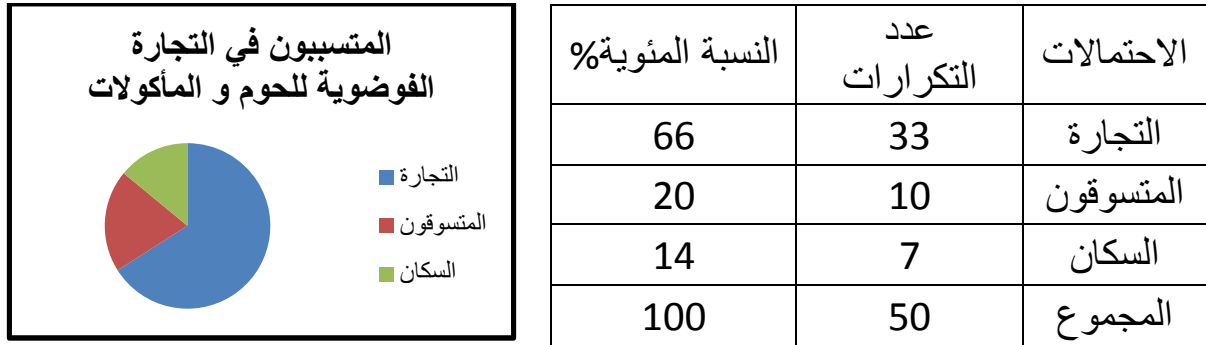


المصدر: تحقيق ميداني أبريل 2014

من خلال الجدول يؤكد 80% أن ترميم المساكن المتهدمة أو التي تكاد تتهدم هو الحل الأمثل لإعادة جمال المساكن، فيما يختار 12% من أفراد العينة تزيين المساكن خارجيا فقط (طلاء، النباتات المتسلقة) دون الاهتمام بالتفاصيل الداخلية، بينما يرى 8% أن إعادة جمال المساكن يبدأ من الحديقة التابعة له.

33- جدول رقم (41): يبين المتسببون في التجارة الفوضوية للحوم و المأكولات.

الشكل رقم (35) :

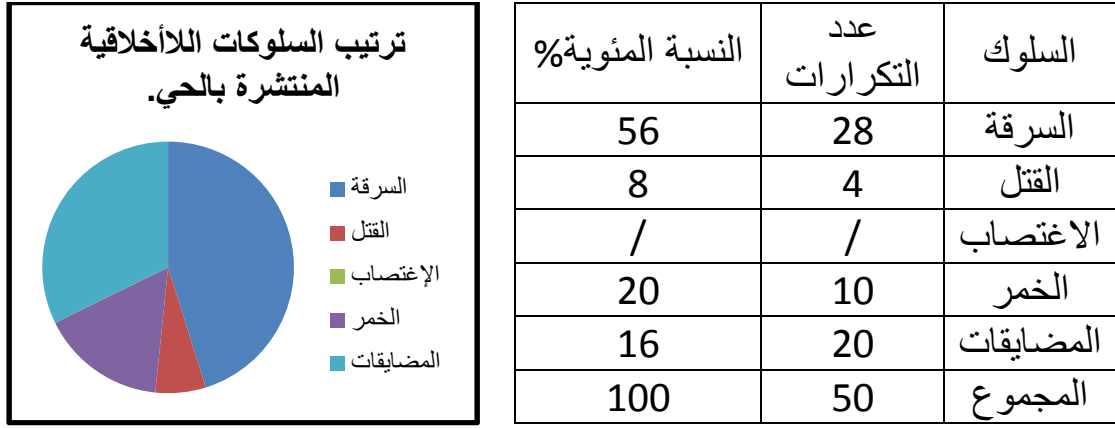


المصدر: تحقيق ميداني أبريل 2014

يعتقد 66% أن التجار و البائعين غير الرسميين هم المتسببون في عرض اللحوم والمأكولات على الأرصفة، في حين 20% من أفراد العينة يرون أن المتسوقون هم المتسببون في انتشار الظاهرة بالحي كونهم يقدمون على السلع مما يجعل البائعين يزدادوا عدداً، أما 14% فهم سكان الحي كونهم يمثلون العدد الأكبر من البائعين و ربما العدد الأكبر كذلك من المشترين.

34- جدول رقم(42): يبين ترتيب السلوكات اللاأخلاقية المنتشرة بالحي.

الشكل رقم (36) :

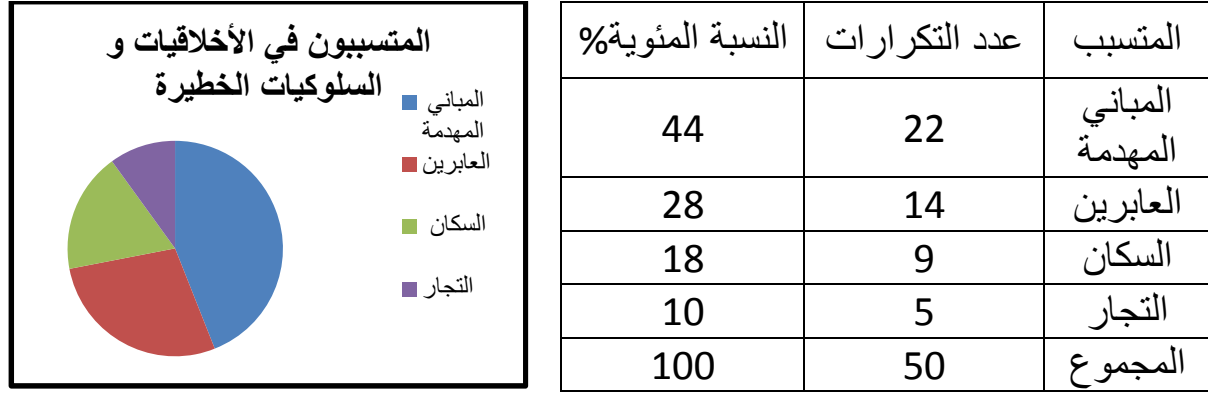


المصدر: تحقيق ميداني أبريل 2014

من خلال الجدول يتبين لنا أن 56% من أفراد العينة متفقون على أن السرقة تشكل أكبر المشاكل الاجتماعية و الأخلاقية بالحي كون الشوارع الملتوية تسهل عملية الفرار و 20% من أفراد العينة يعتقدون أن الخمر و المخدرات هما السلوكان الخطيران على سكان الحي في حين 16% يرون أن المضايقات و المعاكسات للفتيات من الشباب تعدان أكبر المشاكل و أكثرها انتشارا كونها تؤثر على خلق الحياء و الحرمات، و يبقى 18% يرون أن حوادث القتل تعد الأكثر خطرا.

35- جدول رقم(43): يبين المتسببون في الأخلاقيات و السلوكيات الخطيرة.

الشكل رقم (37) :



المصدر: تحقيق ميداني أفريل 2014

يرجع 44% من الجرائم اللاأخلاقية إلى المباني المهدمة التي يتخذها الشواذ قواعد خلفية لهم بينما 28% يحملون العابرين مسؤولية الحوادث، في حين 18% يوجهون اللوم للسكان الجدد الذين لا يهتمون بالمبادئ.

36- الاقتراحات للحد من هذه السلوكيات:

ويقترح أفراد العينة لمواجهة تلك الظواهر أن يعرفوا أسبابه ومن تم معالجتها، ومن أهمها توفير الأمن وترميم المساكن المهدمة وتوعية الشباب والاهتمام بهم وتوفير العمل لهم ومساعدتهم في التخلص من عاداتهم السيئة.

37- تمنى الحي مستقبلا:

معظم الأفراد المستجوبين يتمنوا بأن يكون في مستوى الأحياء الأخرى أو أحسن منها، ويمكن اختصارها في:

- ترميم مساكن الحي وإعادة رصف الطرقات.

- تحسين النظافة بالحي عن طريق القضاء على المزابل الفوضوية والتخلص من ركام المباني المتهمة، وزيادة عمال النظافة مع القيام بخرجات تفتيشية فجائية لمراقبة أعوان النظافة.

- إعادة الحي إلى عهده القديم ليكون نموذجا حيا للأحياء العتيقة والعصرية في النظافة والتماسك والتعاون والجمال والأخلاق.

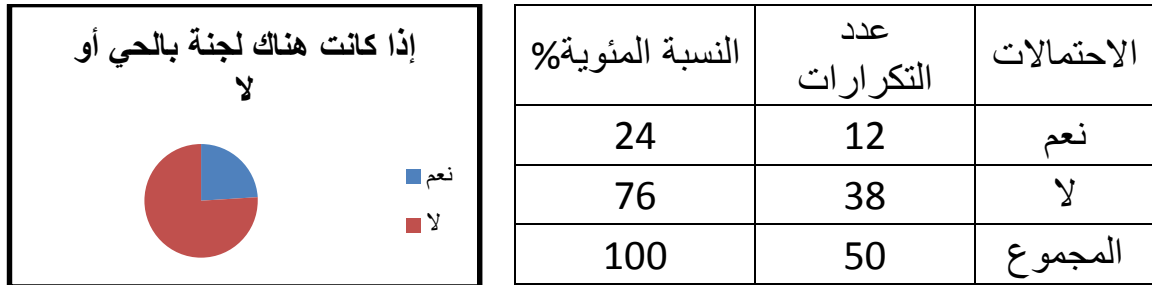
- منطقة سياحية . - توفير الأمن . - توفير المرافق العمومية.

- أن يكون الحي جميل وزاهر ومزهر.

- القضاء أو التقليل من الأخلاق والمظاهر السيئة المنتشرة بالحي.

38- جدول رقم(44): يبين إذا كانت هناك لجنة بالحي أو لا.

الشكل رقم (38) :



المصدر: تحقيق ميداني أبريل 2014

من خلال الجدول نلاحظ أن نسبة 76% من أفراد العينة أجابوا بأنه لا توجد لجنة خاصة بالحي و نسبة 24% أجابوا بنعم.

خلاصة:

من خلال الدراسة التحليلية لحي السوقة لاحظنا مختلف التغيرات و التدخلات من قبل السكان على مساكنهم و من خلال نتائج الإستمارة الإستبيانينة قد تم استخلاص مختلف المشاكل و كذا النقائص الموجودة على مستوى الحي و هذا مع تحديد المؤهلات الذي يركز عليها الحي كعناصر أساسية للإرتقاء بالبيئة الحضرية و جودة الحياة السكنية مستقبلا.

قد أثبتت الدراسة التحليلية انطلاقا من العناصر العمرانية المهيكله للحي أنه يعاني الكثير من المشاكل و النقائص الحضرية نظرا لغياب عمليات التدخل، إضافة إلى ظهور العجز في تلبية حاجيات السكان.

الفصل السادس

تمهيد الفصل

المبحث الأول : توصيات واقتراحات

خلاصة الفصل

تمهيد:

بعد الدراسة التحليلية للواقع الحضري للمنطقة السكنية و تشخيص مختلف مظاهر التدهور العمراني، و بالنظر إلى المشاكل و النقائص التي يعاني منها السكان كان من الضروري اقتراح مجموعة من الحلول تعمل على حماية و تحسين البيئة الحضرية داخل المنطقة و هي الوصول إلى ترقية جودة الحياة و تحسينها و الإرتقاء بالمنطقة السكنية إلى مستوى أفضل تتوفر فيها كل ظروف الحياة الحضرية التي تلبي مختلف متطلبات و احتياجات السكان.

أولا : على مستوى الأنسجة العمرانية العتيقة.

1- على مستوى تطبيق مؤشرات البيئة الحضرية من الجانب الإجتماعي:

- وضع لجان خاصة في المحافظة على المحيط العمراني و هذا من خلال تقاريرها التي تشخص فيها حالة الحي، و أن تكون التقارير كل شهر و هذا من أجل دوام اللجنة نشطة في مهامها و خدماتها.

- إدماج أكبر عدد ممكن من المواطنين في برامج التنمية بشتى أنواعها و التي ترمي إلى السمو بمستوى معيشي محترم.

- العمل على إيجاد وعي عام لدى الجماهير، عن طريق فتح نقاشات حول كيفية المحافظة على البيئة الحضرية، و التعريف بمختلف التجارب الرائدة في التسيير بأسلوب علمي، إعلامي موضوعي.

- العمل على تقوية الترابط الإجتماعي عن طريق إحداث وعي بالموقع و الجيرة مما يسهل التفاعل بين سكان المنطقة و المدينة.

- البحث عن الميكانيزمات الجديدة الخاصة بالمراقبة و المتابعة الجيدة للعمليات، من أجل رفع مستوى نوعية المسكن و تحسين البيئة الحضرية و تحقيق الرفاهية السكنية.

- مراعاة السياسة العمرانية للمكونات الثقافية للأسرة الجزائرية مع الأخذ بعين الاعتبار معظم عادات و تقاليد السكان خلال عملية التفكير في وضع الأسس النظرية في مختلف السياسات الحضرية.

- تفعيل دور خلية الحفاظ على المدينة العتيقة بقسنطينة مع استقلاليتها التامة وتوسيع أعضائها لمختلف القطاعات التقنية والإدارية وممثلي السكان ومؤسسات الدراسات والإنجاز ومحاسبته م مع المراقبة الدورية لجميع أنشطتها.

2- على مستوى تطبيق مؤشرات البيئة الحضرية من الجانب العمراني:

- عمل خطة إستراتيجية شاملة للمدينة العتيقة لكل مكوناتها العمرانية والمعمارية وعدم تفتيت المشروع قبل رسم ملامحه الأساسية، مع تسجيله على المخططات البلدية والولائية والوطنية من أجل المساهمة المادية وفتح المجال للمساهمين المحليين والوطنيين والسكان للمشاركة.

- الإسراع في ترتيب أولويات التدخل بمسح جديد لمنطقة الصخرة على أساسه ترتب أشغال التدخل حسب ضررها وليس حسب تقبل أصحابها ومشاركتهم المادية الإيجابية فيها، مع تسليط عقوبة القصوى لكل من يتعدى على المباني.

- لا بد ان تكون الخطة العمرانية قائمة على منهج علمي، سليم و محكم.
- محاولة تجسيد كل ما هو نظري في مجال التخطيط العمراني على أرض الواقع و هذا عن طريق التقيد بمختلف مقاييس التخطيط و كذا المقاييس المنصوص عليها في قانون التهيئة و التعمير.
- تطوير نمط بعض الاستخدامات الأحياء السكنية من مواقف السيارات و العناية بالاحتياجات الحالية و المستقبلية لجميع فئات السكان في تخطيط و توزيع الاستخدامات فيها خاصة توفير المساحات الخضراء و الترفيهية للأسرة و الأطفال و كبار السن، و رفع مستوى الأمن و السلامة للسكان.
- الاهتمام بالأحياء العتيقة المتدهورة ووضع حد لمختلف أنواع التعدي على خصوصياتها والإسراع بتصنيفها وطنيا ودوليا مع تحسين ظروف الإقامة وتشجيع الحرف والنشاطات التقليدية بها.

3-على مستوى تطبيق مؤشرات البيئة الحضرية من الجانب البيئي:

- ضرورة القيام بدراسات خاصة بالبيئة إلى جانب الدراسات الاقتصادية لأي مشروع مراد تنفيذه.
- لا بد أن تتضمن الإستراتيجية العمرانية الاهتمام بمعالجة القضايا البيئية للمدينة و ما حولها، مما يساعد ذلك على تبني التخطيط الشامل للخدمات و المرافق و ابتكار وسائل للتنسيق بين الجهات المهمة بهذه القطاعات.
- تأسيس مراكز علمية للبحث و المعايرة و المراقبة.
- تعيين لجنة داخل كل حي للمحافظة على نظافته.
- خلق مساحات خضراء داخل المجال العمراني برفع مستوى الوعي بين السكان و المسؤولين.
- الاهتمام بالوعي البيئي و الصحي و الثقافي لترسيخ القيم و المبادئ البيئية.
- وضع مخطط شامل لتنظيف المدينة و المحافظة على بيئتها، تحدد من خلاله أماكن حاويات تجمع القمامة.
- تحديد أوقات إخراج القمامة من المنازل و أوقات جمعها.
- فرض عقوبة مالية على السكان و التجار عند عدم احترامهم لوقت إخراج القمامة أو رميها في غير المكان المخصص لها.

4- على مستوى تطبيق مؤشرات البيئة الحضرية من الجانب الإقتصادي:

-الحرص على تطوير الوظيفة الإقتصادية للمدينة لخلق نوع من التوازن بين النشاطات الإقتصادية و البيئية و الإجتماعية منعا لظهور مشاكل إجتماعية تؤثر سلبا على السكان في المدينة و إقليمها.

-تشجيع الباحثين المحليين وتحسين ظروفهم وحثهم على التنسيق مع نظرائهم بالداخل والخارج ومع المصالح التقنية والإدارية للاستفادة من خبراتهم واستثمار مجهوداتهم . وتطبيق الأساليب التي يمارسها الآخرون قصد التقليل من احتمالات الفشل مع تكييفها والخصوصيات المحلية.

-إقامة عقد بين الجامعة والمصالح الإدارية المختلفة قصد المشاركة في الملتقيات الوطنية والدولية والحرص على الدورات التدريبية للاستفادة من آخر الابتكارات والمعلومات، بالمقابل تسهيل مهمة الباحثين وتزويدهم بالمعلومات والوسائل المتوفرة التي يحتاجونها وجعل بنك جمع المعلومات لتتكامل المصلحة وتتبادل.

-البحث عن الميكانيزمات مالية تشجيعية كتقديم الدعم بدلا من فرض ضرائب على التلوث واستخلاص الموارد، و القرض بدون فائدة وإلغاء الرسوم الجبائية لأصحاب المؤسسات التي تعمل في مجال البيئة وحمايتها وأيضا للمحلات التجارية والحرفية والمقاولات المتخصصة وأخرى للمالكين لتشجيعهم بالبقاء فيها . وأيضا لأصحاب مكاتب الدراسات المتخصصة.

ثانيا : على مستوى المنطقة السكنية(السوقية)**1- على مستوى تطبيق مؤشرات البيئة الحضرية من الجانب الإجتماعي.**

-إقناع المالكين والساكنين والتجار والمتردد ين على الحي بأهمية هذا التراث وأنه ليس ملك لهم وحدهم بل هو ملك للجميع سواء المسلمون العرب أو الأجانب لذلك فلا يحل لهم تعديله أو التعدي عليه.

-ترحيل فوري للمقيمين الجدد بالمباني واستحداث فرع مكتب مكلف بإحصاء دوري للسكان ومراقبة الوافدين الجدد ومنعهم من الإقامة بالحي بالتنسيق مع لجنة الحي وخلية المحافظة على المدينة العتيقة.

-توفير خلية أمن في الأحياء السكنية و ذلك للقضاء على أفة السرقة و تردد المنحرفين.

-إقامة لجنة جمعية لكل الحي مكونة من أفراد ذو خبرة و سيرة حسنة لتسيير شؤون الحي.

-توعية السكان بضرورة تنظيم النسل للحفاظ على معدل شغل المسكن و الحد من أزمة السكن.

صورة رقم (47)، (48): تبين عملية التدخل على البناية.



المصدر: إنجاز الطالبة 2014

2- على مستوى تطبيق مؤشرات البيئة الحضرية من الجانب العمراني.

-عمل خطة إستراتيجية شاملة للمدينة العتيقة لكل مكوناتها العمرانية والمعمارية وعدم تفتيت المشروع قبل رسم ملامحه الأساسية، مع تسجيله على المخططات البلدية والولائية والوطنية من أجل المساهمة المادية وفتح المجال للمساهمين المحليين والوطنيين والسكان للمشاركة.

-بناء تجهيزات ذات أولوية على أنقاض المباني المتهمة كالأمن الوطني والدرك والوطني وعبادة نفسية عمومية كخلية استماع ومتابعة بالطوابق الأرضية مع استكمال المباني وفق طابعها المعماري التقليدي في باقي الأدوار الأخرى.

-الإسراع في ترتيب أولويات التدخل بمسح جديد لمنطقة السويقة على أساسه ترتب أشغال التدخل حسب ضررها وليس حسب تقبل أصحابها ومشاركتهم المادية الإيجابية فيها، مع تسليط عقوبة القصوى لكل من يتعدى على المباني.

-استغلال مختلف المساحات الشاغرة بالمنطقة بإنشاء فضاءات للعب و مساحات خضراء.

-ترميم و صيانة المساكن التي تعاني من المشاكل.

-الإهتمام بمختلف المرافق الخدماتية في عملية التهيئة.

-تسريح قنوات الصرف الصحي وتجديد بعضها ممن تقع بجوار الجيوب والمناطق المهمة وتنفيذها قبل البدء في مختلف العمليات العمرانية بالحي.

- مشاركة جميع القطاعات المعنية بالتنمية الشاملة وعدم إقصاء أو تهيمش لبعضها، وكذا إتاحة لمجال للقطاع الخاص للمشاركة في أعمال التنمية العمرانية المستدامة من خلال المحافظة على التراث والثقافة والموارد الطبيعية.

-تكليف مكاتب دراسات ذات خبرة وتخصص ومؤسسات إنجاز مختصة في التراث القديم بتنفيذ عمليات التدخل مع التنسيق بين مؤسسات الإنجاز تجنباً للأخطاء والهفوات.

صورة رقم(49):توضيح بناية قبل و بعد التدخل.

قبل التدخل



المصدر:إنجاز الطالبة

3-على مستوى تطبيق مؤشرات البيئة الحضرية من الجانب البيئي.

-تكثيف الزيارات التفتيشية الفجائية لمصالح الصحة والنظافة بالبلدية ومصالح التجارة وحماية المستهلك ومديرية البيئة والسياحة مديرية الثقافة وخلية المحافظة على المدينة العتيقة للوقوف على المخالفات ومعالجتها مباشرة، وهذا بعد فترة توعية وتحسيس للسكان والأعوان، مع إرسال لجان وزارية للإطمئنان على حسن سير العملية ومحاسبة المخالفين.

-فتح فرع لمديرية النظافة والبيئة بالسوقية قصد متابعة المخالفات عن قرب وتشغيل خريجي الجامعات من سكان منطقة الصخرة بتلك الوظائف، مع زيادة أعوان النظافة بحي السوقية.

-تطهير المدينة العتيقة من ركام المباني ومن مستودعات القمامة الفوضوية مع البدء بتشغيل سكان الحي مع ترك المجال لمبادرات والتطوع المختلفة للسكان.

-جعل مسابقات دورية في مجال التزيين والنظافة بين أحياء المدينة القديمة لاختيار أنظف وأجمل حي و
بناية مع جوائز تشجيعية، وعرض مختلف مراحل المسابقة على التلفاز والإذاعة المحلية و الجرائد
وبحضور المسؤولين المحليين للدعم والمساندة.

-القضاء على مستودعات المزابل الفوضوية والتخلص من الردم والإسراع في تسريح قنوات الصرف
الصحي ومنع السائقين من اختراق حي السويقة العتيق أو استعمال الأبواق.

-إضفاء البعد الإيكولوجي على المشاريع والتدخلات العمرانية على السويقة ومحيطها، باعتبار البيئة
إحدى مبادئ التنمية المستدامة، وكذا تطبيق أدوات التسيير المستدام العمرانية والاقتصادية والاجتماعية
والبيئية والبحث عن طرق وميكانيزمات تطبيقها وفق خصوصياتنا ومبادئنا المتميزة.

-توسيع و تفعيل دور المرصد الجهوي للبيئة والتنمية المستدامة وعدم تركه مجرد مخبر لمراقبة المياه ،
وتبادل المعلومات محليا وكذا مع المراصد العربية و الاستفادة من منظمة المدن العربية ولاسيما معهد
إنماء المدن بإجراء البحوث وتبادل الخبرات وإيجاد حلول لمشاكل المدن وخاصة ما يتعلق الأمر بمشاكل
البيئة والتلوث وحماية الرصيد الحضاري.

-الدعوة إلى سلوك الطرق الوقائية للتحكم في التلوث والتوحد لمواجهة هذا الخطر الذي يتهدد الكون
ومن فيه والتهيو له بالفكر والبحث والتخطيط والتوعية والتنفيذ.

صورة رقم(50): تبين القيام بعملية النظافة بحي السوق.



المصدر: إنجاز الطالبة 2014

4- على مستوى تطبيق مؤشرات البيئة الحضرية من الجانب الاقتصادي:

-التفاته من المسؤولين للحي ولساكنه من خلال تشجيع الحرف والصناعة التقليدية والمشاريع الجوارية التي تتلاءم مع خصوصيات الحي تستقطب السكان وتمتص فراغهم وتستثمر قدراتهم وتجذبهم المظاهر السلبية.

-منح مكافآت مالية لمؤسسات الإنجاز وللساكن الذين التزموا بإكمال الأشغال حسب الشروط المتفق عليها وحسب الجدول الزمني المعد لذلك، بالمقابل فرض ضرائب على المالكين نتيجة كراء مساكنهم لأكثر من عائلتين أو عدم التصريح بالكراء حفاظا على الحالة الفيزيائية للمبنى.

-التركيز على الآليات التمويلية الإقليمية والمحلية أولا ثم البحث عن مصادر دولية مع إعطاء فرصة متكافئة وعادلة لجميع المناطق والقطاعات للاستفادة منها، وتبسيط الإجراءات لتمويل المشاريع الخاصة بالتنمية المستدامة بحي السوق ، وكذا تشجيع القطاع الخاص والاستثمار الأجنبي المباشر في مجال حماية البيئة بالحي العتيقة بقسنطينة.

-البحث عن الميكانيزمات مالية تشجيعية كتقديم الدعم بدلا من فرض ضرائب على التلوث واستخلاص الموارد، و القرض بدون فائدة وإلغاء الرسوم الجبائية لأصحاب المؤسسات التي تعمل في مجال البيئة وحمايتها وأيضا للمحلات التجارية والحرفية والمقاولات المتخصصة وأخرى للمالكين لتشجيعهم بالبقاء فيها .وأيضا لأصحاب مكاتب الدراسات المتخصصة.

ثالثا: دراسات الحفاظ على المدينة العتيقة قسنطينة:

1-الدراسات المجمدة:

سواء كانت من مكاتب دراسات محلية أو أجنبية، مرتبة زمنيا كما يلي:

- سنة 1960: وتم خلالها إنجاز دراستين غير متوفرتين، الأولى من طرف المهندس العمراني الفرنسي CALSATE G.H وصارت مرجعا لباقي الدراسات اللاحقة، والثانية أنجزت من طرف BERU (مكتب الدراسات العمرانية)، وكلاهما جاء ضمن الإطار العام لتهيئة التجمع القسنطيني، و كان من بين إقتراحهما إخراج المركز الأوروبي من الصخرة . هذا الاقتراح لم يأخذ بعين الإعتبار حساسية المجال الذي يجمع عناصر الإدارة و مختلف المنشآت المالية والتجارية.

- سنة 1975: وتم خلالها إعداد مخطط التعمير الرئيسي P.U.D نتيجة ظهور التوسعات العمرانية الجديدة خلال هذه الفترة أغفل عملية تجديد الصخرة باستثناء المنطقة المحددة من طرف مخطط التعمير الرئيسي غير أن مكتب الدراسات البلدي جمد منح رخص البناء كون هذه العملية ستتكلف بها الدولة.

- سنتي 1978-1979: طرحت إشكالية الصخرة من جديد ضمن 3 محاور:

-الإحتفاظ بالنشاطات.

-حفظ الإرث العمراني.

-هدم وإنشاء مباني أخرى.

إلا أن السلطات المحلية لم تولي الموضوع أهمية ، مفضلة مشاريع أخرى خاصة تلك المتعلقة بتعمير الضواحي والتوسعات العمرانية.

- سنة 1982: قامت المديرية الجهوية للمركز الوطني للإنجاز العمراني C.N.E.R.U بإنجاز مخطط التعمير الرئيسي P.U.D الخاص بمدينة قسنطينة، حيث طرحت من خلاله إشكالية تجديد المدينة

القديمة، إذ أكدت على ضرورة الحفاظ على المعالم المصنفة و استغلال الخصائص المميزة للموضع خاصة وأنه خلال هذه الفترة تم تصنيف خوانق واد الرمال كتراث عالمي.

- سنة 1984: تم إنجاز دراسة معمقة خصت الصخرة نظرا لوعي السلطات بالوضعية التي آل إليها الإرث العقاري والثقافي ، وبأمر من وزارة التعمير والسكن تم الموافقة على مجال التدخل المتمثل في حدود الصخرة وأبرم اتفاق بين ولاية قسنطينة ومكتب الدراسات العمرانية بقسنطينة URBACO ليتولى عملية " إعادة هيكلة و تجديد الصخرة " والتي اعتمدت على المعاينة و التحقيق الميداني الشامل للوضعية الفيزيائية والديموقراطية أدت إلى الخروج بمخطط عمل لإعادة هيكلة و تجديد الصخرة وفق أولويات للتدخل، فكانت ثلاث مناطق ذات أولوية للتدخل والتي ستشهد عمليات تجديد وترميم:

-السويقة :حيث أن 4/1 من البنايات قد تهدم.

-الشارع:5/1 بناياته هدمت مخلفة مساحات كبيرة شاغرة يمكن استغلالها.

-ساحة سوق العصر.

أما باقي الصخرة تأتي أولوية التدخل بها في الدرجة الثانية مثل:

-قصر أحمد باي :خلال هذه الفترة القصر كان في مرحلة دراسة معمقة من أجل الترميم.

-المركز التجاري القديم :من أجل الحفاظ على مميزاته من خلال عملية الترميم.

-شارع العربي بن مهيدي :بنايات تستدعي التذهيب والتجديد.

-القصبة :تتطلب إعادة الهيكلة لإزالة الثكنة العسكرية و توضع مختلف التجهيزات الثقافية، فندق أو حظيرة سيارات.

بعد إنهاء الدراسة قدم الملف مصحوب بمحضر مداولة المجلس الشعبي البلدي والمجلس التنفيذي للولاية إلى وزارة العمران و البناء و السكن غير أن هذه الأخيرة لم تتمكن من إبداء رأيها بسبب غياب الدراسة التحقيقية من الأشغال المبرمجة، كما أن هذه الدراسة تطلبت اقتراحات تفصيلية لم يحترمها مكتب الدراسات العمرانية لأنها لم تكن منصوح عليها بالميزانية.

-سنة 1988: قسمت خلالها المدينة القديمة إلى 08 قطاعات ونصبت لجنتان:

1-لجنة ثقافية تمثلت مهامها في:

-اختيار المعالم ذات القيمة الفنية والتاريخية.

-تحديد وتوضيح الأحياء التي تتطلب التدخل السريع.

2-اللجنة التقنية : اعتمدت على اقتراحات اللجنة الأولى و كذا اقتراحات مكتب الدراسات العمرانية ، و في شهر جويلية من نفس السنة قامت البلدية بتنصيب خلية للمحافظة على الصخرة، تتمثل مهامها في:

-تحديث المعطيات المتعلقة بالسكن والسكان.

-إحصاء عدد العائلات التي أعيد إسكانها.

-منح رخص البناء داخل المدينة القديمة.

إلا أن الخلية واجهت مشاكل عديدة مثل :إعادة الإسكان، الملكية، التمويل...

-سنة 1996: خص المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير المصادق عليه سنة 1997 المدينة القديمة بمخطط إشغال الأرض والهادف إلى تجديدها، وقد أقرح فيما يخص التجديد ما يلي:

-تنمين التراث العمراني والمعماري.

-تخفيض الكثافة السكانية.

-تحويل بعض النشاطات الإدارية إلى الضواحي.

خلال نفس السنة فكرت الوكالة الوطنية لتحسين وترقية السكن في مشروع تجديد أحياء المدينة القديمة، إذ اقترحت عمليتين للتهيئة والاستثمار في مجال السكن والتجهيزات و ذلك في حين هما الشارح والسويقة كما اقترحت أن يكون التعامل من طرف وحيد و يتحمل كل الأعباء انطلاقا من الإنجاز وصولا إلى الإسكان.

بغض النظر عن فشل كل دراسة من الدراسات السابقة فإن هناك أسباب مشتركة:

-عمليات وجهود مبعثرة دون تنسيق و دون إستراتيجية محددة لحماية المدينة القديمة التي لا زال التدهور بها مستمرا.

- تداخل الصلاحيات بين مصالح المكاتب المخصصة لدراسة المدينة القديمة.
- عوائق مالية قانونية وتقنية وقفت حجر عثرة أمام تطبيق هذه الدراسات.
- عدم وجود دراسات مفصلة تسمح بالانتقال من مرحلة التشخيص إلى التطبيق، إذ أن معظم الدراسات لم تنجز كلية.

2-دراسات و مشاريع جاري العمل بها:

أ- مشروع ديوان الترقية و التسيير العقاري OPGI:

و قد تمت العملية على مرحلتين:

-أولا :تجميع المعلومات والتي يتم من خلالها تقييم البنايات لتحديد المناطق التي ستخضع لعملية التهذيب.

-ثانيا :وضع أولويات للعملية، أي اختيار المناطق التي تستدعي عملية التهذيب مستعجلة، و يعتمد في هذا على عدة عوامل :كالحالة الفيزيائية للمباني، الحالة الاجتماعية والثقافية لسكان البناية والمصادر المالية المجندة.

أما الأشغال فقد انطلقت سنة 2000 بكل من نهج زيغود يوسف و طاطاش بلقاسم ب 73 بناية، وأن اختيار هذين النهجين يرجع إلى:

-طريق أولي ورئيسي يمثلان الوجه الأوروبي للمدينة.

-أغلب المباني تابعة لديوان الترقية و التسيير العقاري.

-مواصفات هذين الطريقين تسمح بإقامة ورشات بناء.

-تجمع مباني إدارية ومالية مهمة بنهج زيغود يوسف (الولاية، البلدية، البنك).

و قد تم حصر المشاكل التي تعاني منها البنايات من خلال بطاقة فنية على أساسها حددت عمليات التهذيب المتمثلة في:

-إصلاح الشقوق الموجودة بجدران البناية.

-تصليح الطرق و تهيئة الأرصفة.

-تهيئة المجاري و تنظيفها وكذلك تصليح شبكة صرف المياه وشبكة مياه الشرب.

وبسبب عدم التزام السكان بدفع حصتهم لتمويل العملية توقفت الأشغال لتنتقل سنة 2002 بصيغة تمويل جديدة أين تكفلت الولاية بكل المصاريف (أي %100) لكن شريطة أن تكون البناية ملك للدولة مع تحسين الواجهة في حالة وجود بناية ذات ملكية خاصة، وهي لا تزال متواصلة في كل من:

-نهج العربي بن مهدي: 14 عمارة.

-بوهروم عبد الله: عمارة واحدة.

-نهج ديدوش مراد: 9 عمارات.

ب -المخطط العام لحماية الصخرة:

بعد زيارة العمل التي قام بهارئيس الجمهورية في نوفمبر 1999 إلى روما، تقرر إعطاء منحة مالية لحماية الصخرة ، وتولت جامعة روما 3 إنجاز دراسة المخطط العام ومتابعته.

والمخطط العام أداه تقنية إدارية تنظيمية تطبقية وضعت لتأهيل الإطار المبنى القديم لمدينة قسنطينة كما يعتبر إطارا عاما للتدخلات تجسد تدريجيا لتحسين الوضعية الاقتصادية والاجتماعية وهو قابل للتغيير وفقا للظروف والأوضاع الطارئة ، يهدف أساسا إلى تزويد الهيئات بطرق وآليات التدخل على المدينة القديمة والمتمثلة في التهذيب وإعادة الاعتبار وتنشيط وإحياء المجالين الإقتصادي والاجتماعي.

ج -مشروع خلية إعادة الاعتبار والمحافظة على المدينة القديمة:

بقرار رقم 24 : تم تنصيب خلية إعادة الاعتبار والمحافظة على المدينة القديمة برئاسة الوالي، تتكون من 34 عضوا، مقرها المدرسة الواقعة بشارع العربي بن مهدي. وتضم أربع ورشات:

-ورشة الإستراتيجية والبحث :من مهامها:

-إنجاز بحوث حول التراث المعماري والتاريخي للمدينة القديمة.

-إنشاء مخطط حماية ووضع إستراتيجية للتدخل.

-توجيه مكاتب الدراسات.

-ورشة الإعلام والاتصال :ومن مهامها:

-تحسيس المواطنين بضرورة حماية التراث.

-إعلام الملاك بعملية التدخل.

-تقديم نشاطات الخلية في مختلف التظاهرات الثقافية والاجتماعية.

-الورشة التقنية :من مهامها:

-مراقبة ومتابعة الأشغال الجارية في الميدان.

-معاينة البنايات وتصنيفها حسب حالتها الفيزيائية وتحديد نوع التدخل.

-دراسة طلبات رخص البناء.

-الورشة القانونية:مهامها:

-إنشاء ملف تصنيف المعالم الأثرية التاريخية والثقافية.

-إنشاء مختلف دفاتر الشروط.

الخاتمة العامة

الخاتمة العامة

إن نشأة المدينة العتيقة بقسنطينة كغيرها من المدن لم تكن ظاهرة فجائية بل سبقتها مرحلتان، تميزت الأولى بتركيز الإنسان القسنطيني آنذاك على تفاعله مع بيئته الطبيعية وذلك باستغلال موارد وإمكانيات البيئة المحلية والمحيط من تربة خصبة ومياه عذبة وهواء صحي وموضع دفاعي وأمن كل ذلك من أجل بقائه، أما المرحلة الثانية فكانت بتركيزه على تفاعله مع بيئته الاجتماعية أكثر من تفاعله مع بيئته الطبيعية من خلال التنظيمات والقواعد التي فرضتها السلطة المحلية والمستعمرين عبر تاريخها أو عن طريق اقتناعهم بالمبادئ والقيم الإسلامية التي طبقوها في أزمنة معينة.

وعلى الرغم من أن طبيعة النسيج العمراني العتيق بقسنطينة كان فيما مضى حاجزا منيعا يحفظ المدينة من أشكال التلوث البيئي ويقلل من انتشاره إن ظهر لسبب من الأسباب، فالحالة اليوم تسير على العكس تماما، فقد أدى تدهم المباني إلى انخفاض معامل شغل الأراضي ومعامل أخذ الأرض وغياب خاصية التضام في بعض الأماكن من الحي إلى تسهيل انتشار الملوثات على اختلافها وبلوغها المساكن وبدرجة مقلقة أحيانا مثلما هو الحال للتلوث الهوائي التي تسمح تلك الجيوب العمرانية الجديدة وانخفاض ارتفاع المباني بالسماح للملوثات بالانتقال والانتشار على مسافات أكبر وبحرية بالحي وتزيد أيضا من تطاير التربة والغبار، كما أدت الأسباب نفسها إلى خلق وسط ملائم لانتشار الضجيج وزيادة شدته، والحالة نفسها مع التلوث بالفضلات الصلبة عندما تحولت تلك الجيوب العمرانية إلى مستودعات للقمامة يصعب اقتلاعها أو أماكن مفضلة للشواذ ، وكذا مشكلتي الروائح الكريهة التي صارت لا تطاق ولا تحتمل ، وفوق هذا كله وأخطرها التلوث الخلقي نتيجة الإكتظاظ بالمساكن وفتور العلاقات الاجتماعية بين السكان وبين الأسرة الواحدة.

وكنتيجة حتمية للتردي تنامي الاهتمام وكثر من الباحثين ثم من المسؤولين وانكبوا عازمين عليهم يجدون حولا عملية يمكنها أن ترفع الغبن عن السكان والقطيعة عن الأنسجة العمرانية العتيقة، انتهت بتصنيف نسيج المدينة العتيقة سنة 2005 بعد فشلها سنة 1992 غير أنها تبقى مجرد دراسات والنتائج والجهود المبذولة وعلى كثرتها لم تتوحد أو تدمج كونها حلول وعلاج لأمراض ومشاكل جزئية أو قطاعية وفوق هذا كله لم تر النور أو يحقق الحد الأدنى منها بحي السوقية لعدم شمولية تلك الدراسات فاصطدم تنفيذا ميدانيا بمشاكل مالية أو تشريعية أو تقنية كان من الممكن تجاوزها وبقيت المشاكل وازدادت حد لها.

وحتى نضمن التنمية المستدامة للأنسجة العم رانية العتيقة وحي السوقة تحديدا، فلا بد من توحيد الجهود وتوسيع التشاور بين الفاعلين واستغلالها، ولا نكتفي فقط بإبراز المحاسن والتطرق للخصائص العمرانية والمعمارية وتعديدها في كل مرة أو مناسبة، ولكن التنمية المستدامة الحقيقية للمدن العتيقة هي إعادة بعث وظائف ومعاني وقيم أولئك الذين صنعوا تلك المفخرة ، وهي إشارة للمبادئ الإسلامية التي حافظت على الإنسان ومشاعره و خصوصيته ونظمت حياة السكان واجتماعهم بقواعد فقهية طبقها أهلها قبل أن تفرض عليهم بالقوة بعدما عرفوا مزاياها، لأن بإصلاح الفرد والمجتمع يصبح من السهل جدا إصلاح ذلك الجماد أو التدخل عليه ومعالجته عمرانيا وفق حالته وستزول تلك العادات السيئة تماما ولا يبقى من آثار التلوث بأنواعه إلا القدر اليسير.

المصادر والمراجع

المصادر و المراجع

1-المصادر و المراجع باللغة العربية:

*الكتب:

-أحمد إبراهيم عطية، حماية و صيانة التراث المعماري الأثري 155، دار الفجر للنشر و التوزيع 2003.

-أحمد الجلال، التخطيط السياحي و البيئي بين النظري و التعليق، دار عالم الكتاب 1، القاهرة، مصر 1998.

-لعروق محمد الهادي.مدينة قسنطينة.دراسة في جغرافية العمران.الديوان الوطني للمطبوعات الجماعية 1984.

-شاهين عبد المعز، ترميم و صيانة المباني الأثرية و التاريخية، وزارة الثقافة، المجلس الأعلى للآثار المصرية 1994.

-عبد الناصر عبد الرحمان الزهراني، إدارة التراث العمراني، جامعة الملك سعود، كلية السياحة و الآثار قسم إدارة موارد التراث و الإرشاد السياحي، الرياض 1433هـ-2012.

*الرسائل الجامعية:

-زيداني حليلة:مذكرة لنيل شهادة ماجستير، المدن العتيقة بالجزائر بين التدهور و محاولة الحفاظ، دراسة مدينة تقرت.

-صورية مروشي:مذكرة لنيل شهادة ماجستير، مبادئ العمران بين المدينة الإسلامية و تطبيقاتها في المدن القديمة بالجزائر.

-سعودي هجيرة:مذكرة لنيل شهادة ماجستير، التنمية المستدامة من خلال المبادئ العمرانية للمدن العتيقة.دراسة حالة مدينة بوسعادة.

-بدره فتيحة: مذكرة لنيل شهادة مهندس دولة، تسيير المواقع الأثرية من منظور التنمية المستدامة، حالة القصر في غرداية 2012.

-زيان رابح: مذكرة لنيل شهادة مهندس دولة، دور المساحات العمومية في إحياء التراث الحضري. حالة مدينة قسنطينة 2010.

-لعريبي صالح: مذكرة لنيل شهادة ماجستير، البيئة الحضرية داخل الأنسجة العمرانية العتيقة و التنمية المستدامة.حالة مدينة قسنطينة. 2010

-حمودي طارق: مذكرة لنيل شهادة ماستر، تقييم واقع البيئة الحضرية بالمناطق السكنية حالة مدينة أم البواقي. 2013.

مزيان سمية: التجديد الحضري لإعادة الاعتبار للمراكز القديمة (حالة المركز القديم لأم البواقي)
2013.

-دحدوح فطيمة: مذكرة لنيل شهادة ماجستير،النمو الحضري و أزمة السكن لولاية أم البواقي 2011.

-زرنوح ياسمين: مذكرة لنيل شهادة ماجستير، إشكالية التنمية المستدامة في الجزائر 2006.

-عماري عمار: مذكرة لنيل شهادة دكتوراء في العلوم الإقتصادية، التنمية المستدامة و أبعادها .جامعة سطيف. 2008.

-خالد محمد عمور: جامعة عمر المختار.السياحة التراثية المستدامة بمنطقة سوسة الواقع و الأفاق.

-سعد الله جبور: التجديد الحضري كأسلوب لمعالجة مشاكل مراكز المدن.حالة مدينة الكرك القديمة في الأردن.

-ريهام كامل الخضراوي، الحفاظ على التراث العمراني لتحقيق التنمية السياحية المستدامة من خلال مؤسسات المجتمع المدني.

***المديريات:**

-مديرية التخطيط و التهيئة العمرانية.

-مديرية التعمير و البناء.

***القوانين:**

-قانون 90-29 الصادر بتاريخ 1990/12/01 المتعلق بالتهيئة و التعمير.

-قانون 98-04 المؤرخ في 1998/06/15 المتعلق بحماية التراث الثقافي.

2-المصادر و المراجع باللغة العربية:

-ALBERTO ZUCHELLI:INTRODUCTION A L'URBANISME ET A LA COMPOSITION URBAIN 1984-VOLUME.

-NASSER EDDINE TOUAM:LE CENTRE HISTORIQUE DE CONSTANTINE.INTEGREE UNE NEECITE IMPERIEUSE VERS LA RECONSTRUCTION DU QUARTIER SOUIKA.

***المواقع الإلكترونية:**

WWW.WIKIPEDIA.COM.

الملاحق

استمارة رقم (1): موجهة للعينة الساكنة بحى السوق قسنطينة

المدينة:

الحي السكني:

أولا- بيانات متعلقة بمؤشرات الجانب الاجتماعي

1-السن: أقل من 30 سنة.....

من 30 الى 40 سنة.....

أكثر من 40 سنة.....

2-الحالة الاجتماعية: عازب.....

متزوج.....

مطلق.....

3-عدد أفراد الأسرة:.....

4-المستوى التعليمي:

أ-عدد المتدرسين:

ابتدائي	اكمالي	ثانوي	جامعي	تكوين مهني	حالات أخرى	عدد المتدرسين

ب-المستوى التعليمي للأبوين:

غير متعلم	ابتدائي	متوسط	ثانوي	جامعي	آخر اذكره	الأب
						الأم

5-المستوى المعيشي:

-عدد المشتغلين:.....

-عدد البطالين:.....

6- الحالة العملية: يعمل ☐ لا يعمل ☐ متقاعد ☐

-طبيعة العمل الحالي اذا كان يعمل:

موظف ☐ عامل ☐ تاجر ☐ حرفي ☐ بطال ☐ حر ☐

لديه دخل اخر ☐ فلاحة ☐

7-وظيفة الأم:.....

8-عدد العاملين في العائلة (تبيين عمل كل فرد):

1-..... 4-.....

2-..... 5-.....

3-..... 6-.....

9-هل لديك أولاد متزوجون و يسكنون معك؟ نعم ☐ لا ☐

10-هل يقيم بالمسكن أفراد آخرون من غير أفراد الأسرة؟ نعم ☐ لا ☐

-في حالة الاجابة بنعم من هم؟ أقارب ☐ أصدقاء ☐

11-كيف ترى العلاقة مع جيرانك؟

جيدة ☐ متوسطة ☐ حسنة ☐ ليس لك معهم علاقة ☐

12-ما هي أماكن الالتقاء داخل الحي؟

داخل الحي ☐ خارج الحي ☐

ثانيا: بيانات متعلقة بمؤشرات الجانب العمراني

1-معطيات خاصة بالمسكن

13-ملكية المسكن؟ ملك شخصي ☐ مستأجر ☐ غير ذلك ☐

14-مدة السكن؟ شهر سنة.

15-المساحة الاجمالية للمسكن:.....

16-كم هي عدد الغرف في المسكن؟.....

17-عدد الطوابق؟.....

18-معدل شغل الغرفة؟.....

19-حالة المسكن؟ جيدة ☐ متوسطة ☐ سيئة ☐

20-هل تقدر الظروف السكنية التي تعيش بها؟ نعم ☐ لا ☐

21-هل تحس بالراحة داخل المسكن؟ نعم ☐ لا ☐

22-ماذا ينقصك بالمسكن بالترتيب؟

الغرف ☐ المراحيض ☐ حديقة ☐ حمام ☐
الاضاءة ☐ الكهرباء ☐ الترميم ☐

23-هل مسكنك مجهز بالشبكات و المرافق المختلفة؟ نعم ☐ لا ☐

24-هل مسكنك متصل بشبكة المياه الصالحة للشرب؟ نعم ☐ لا ☐

25-هل مسكنك متصل بالمرافق التالية: كهرباء: نعم ☐ لا ☐

غاز: نعم ☐ لا ☐

صرف صحي: نعم ☐ لا ☐

26-ما نوع التغيرات المطبقة على السكن؟.....

.....

2-معطيات خاصة بالحي:

27-كيف ترى الحالة العمرانية للحي؟

جيدة ☐ متوسطة ☐ سيئة ☐

28-ما الذي يعجبك في الحي بالترتيب؟

الهدوء ☐ الطرق ☐ النظافة ☐ المسكن ☐
السكان ☐ الراحة ☐

29-ما هي الأشياء التي تضايقك بالحي بالترتيب؟

القمامة ☐ حالة الممرات ☐ الضوضاء ☐
الروائح الكريهة ☐ الازدحام ☐ ركام المباني ☐
تصرفات الناس ☐

30- أين تحب قضاء وقت راحتك؟

داخل الحي ☐ خارج الحي ☐

لماذا؟.....

31- هل ترغب في مغادرة الحي؟ نعم ☐ لا ☐

32- اذا كان نعم لماذا؟ الجيران ☐ حالة المسكن ☐ التلوث ☐

أسباب أخرى:.....

33- هل منطقتكم مزودة بمواقف السيارات؟ نعم ☐ لا ☐

34- ما هو المكان المفضل لديك للالتقاء بالأصدقاء و الجيران؟

المسكن ☐ الطريق ☐ السوق ☐ خارج الحي ☐

35- ماذا ينقص الحي برأيك؟.....

36- هل تتوفر منطقتكم على الخدمات الضرورية التالية:

تعليمية ☐ صحية ☐ رياضية ☐ ادارية ☐ ترفيهية ☐

37- من أين تشتري الأسرة حاجياتها؟ داخل الحي ☐ خارج الحي ☐

38- هل توجد أرصفة للمشاة؟ نعم ☐ لا ☐

39- هل الطرق المعبدة؟ نعم ☐ لا ☐

ثالثا: معطيات متعلقة بالجانب البيئي

1- التلوث الهوائي:

40- ما هي درجة مضايقة السيارة للراجلين داخل الحي بالترتيب؟

الاكتظاظ ☐ الضوضاء ☐ الدخان و الرائحة ☐ التعدي على الممرات ☐

41- ما هي الوسيلة المستعملة للتدفئة داخل مسكنك؟

مدفأة الغاز ☐ الحطب ☐ الفرن الكهربائي ☐

42- هل يعاني أفراد أسرتك من أمراض مزمنة؟ نعم ☐ لا ☐

السبب؟.....

2- التلوث بالمياه:

- 43- هل توجد تسربات للمياه بالشارع؟ نعم ☐ لا ☐
- 44- ما هم سبب هذه التسربات؟ قدم قنوات الصرف الصحي ☐ عدم استيعابها للتدفق الكبير ☐

3- الفضلات الصلبة:

- 45- هل الحي نظيف؟ نعم ☐ لا ☐
- 46- هل يوجد عمال النظافة؟ نعم ☐ لا ☐
- 47- متى تكثر الفضلات بالحي؟ المناسبات ☐ أيام العطل ☐ نهاية الأسبوع ☐

.....

48- في رأيك من هو المتسبب الرئيسي في تكاثر الفضلات؟

- التجار ☐ السكان ☐ العابرين ☐ أعوان النظافة ☐

4- التلوث الضوضائي:

- 49- هل تصلك شدة الضوضاء و أنت داخل المنزل؟ نعم ☐ لا ☐
- إذا نعم. ما هي درجة الضوضاء: قوية ☐ متوسطة ☐ ضعيفة ☐

5- التلوث البصري:

- 50- ما هو أكثر شيء يزعجك بالحي بالترتيب؟ القمامة ☐ حالة الطرقات ☐ حالة المساكن ☐
- غياب الحدائق ☐ المياه المتسربة في الطريق ☐ عرض المأكولات ☐
- 51- برأيك ما هو الشيء الذي ينقص لتحسين المنظر الجمالي؟

- الحديقة ☐ التزيين ☐ الترميم ☐

6- التلوث الغذائي:

52- من هو المتسبب الرئيسي في عرض المأكولات و اللحوم بهذه الكيفية ؟

- التجار ☐ السكان ☐ المتسوقين ☐

7- التلوث الأخلاقي:

53- ما هي السلوكات الأخلاقية المنتشرة في الحي؟

- السرقه ☐ القتل ☐ الاغتصاب ☐ الخمر ☐ المضايقات ☐

54-من هم المتسببون فيها؟

السكان ☐ التجار ☐ العابرين ☐ المباني المهدمة ☐

ماذا تقترحون لحلها؟

55-كيف تتمنون أن يكون الحي في المستقبل؟

رابعاً:معطيات متعلقة بالجانب الاقتصادي

56-هل توجد لجنة في حيكم؟ نعم ☐ لا ☐

57-هل تنشط هذه اللجنة حالياً؟ نعم ☐ لا ☐

58-إذا كانت الاجابة بنعم نسأل كيف تتم مشاركة السكان؟

-عن طريق تمويل من طرف البلدية ☐

- عن طريق مساهمة مادية ☐

-عن طريق المشاركة في القيام بانجاز الأعمال ☐

***أدوات التنمية المستدامة:**

يمكن تقسيم أدوات التنمية المستدامة إلى أدوات إيكولوجية وقانونية ومالية.

1-أدوات التخطيط البيئي:

1-1-أدوات التخطيط العمراني:

وتشمل الوثائق العمرانية القصيرة والمتوسطة الأجل قصد تنظيم المجال العمراني والقواعد التي تشغل الأرض، وهي المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير ومخطط شغل الأراضي للذان يدمجان البعد الإيكولوجي ويشركانه في أعمال التهيئة.

1-2-المخططات الوطنية والمحلية للبيئة:

تعتبر المخططات البيئية المحلية كتجربة ميدانية أولى للمشاركة الشعبية في الحوار الإيكولوجي المحلي بأكثر حرية وذات نتائج كمية ونوعية معتبرة، وأن أهدافها الإيكولوجية تعتبر كإجراءات شكلية أكثر منها كأدوات تهيئة أساسية، ويشمل:

1-2-1-المخطط الأزرق(الدورة الحضرية للمياه):

ويضم جميع الأعمال التي تمس الدورة الحضرية للماء، بدءا من حماية المياه الصالحة للشرب ومعالجة المياه المستعملة ومياه الأمطار إلى إعادة الاعتبار للأنهار والمجاري الحضرية واقتراح أنشطة للعب والترفيه بالماء.

1-2-2-المخطط الأخضر(الطبيعة والمناظر والمساحات الخضراء):

ويشتمل جميع الأعمال التي تمس الطبيعة بالمدينة، بدءا من تهيئة الحظائر شبه الحضرية انتهاء بالحث على تحسين الحدائق الخاصة انطلاقا من تخضير البور الصناعي وخلق نسيج أخضر بالشوارع المشجرة ومختلف الحدائق العمومية الصغيرة.

1-2-3-مخطط الحركة الحضرية :

جاء لضمان إطار حياة جد فعال يستحسن استبدال كلي للحركة المتعددة الأشكال (التنقلات بالسيارة، المشي على الأقدام) بمخطط جديد لمرور السيارات يمنع التوغل بالمركز وذلك بالتنقلات العابرة أو المحيطية، المواقف الضواحي تضمن التبادلات بالترامواي والحافلات الصغيرة، خطوط سير ذات عجلتين.

1-2-4-المخطط الوطني للنقل الحضري والمخططات المحلية للنقل الحضري:

ويتعرضان لتأثير النقل على البيئة الحضرية، على الأعمال، على المساكن، على النبات، وعلى صحة الأشخاص، وبذلك كان الإعلان عن وسائل نقل هادئة نظيفة معتدلة، فكانت السيارة الكهربائية منذ 1994 سرعان ما توسعت لتتبع للعامة لنجاحها الكبير.

ويقترح المخطط المحلي البيئي أهداف و يعلن طرق ووسائل للتنفيذ...كفانون اللامركزية في ميدان العمران الذي أعطى بموجبه المسؤولية كاملة للبلدية في تعمير مجالها آخذا في الحسبان المخططات المحلية للبيئة، هذا الأخير جاء للبحث عن أدوات متكاملة للجماعات المحلية، وتشتمل على تشخيص عام بدء من برنامج وطني منسق مع مساعدة تقنية ومالية من الوزارة، بعدها برنامج عمل ذو أولوية قصير ومتوسط وطويل الأمد يكمل الانشغال البيئي بالبيئة الفيزيائية، التنمية الاقتصادية والشغل والشكل العمراني ونوعية الحياة والذي صار كأداة للتخطيط.

1-2-5-مخططات التحكم في الأخطار الأساسية(مخطط الإغاثة):قصد السيطرة على الأخطار والكوارث في حال وقوعها، والتقليل من الخسائر.

1-3-البرنامج الوطني والمحلي لإدارة الفضلات الصلبة :

الذي يتطرق لمشكلة الفضلات بدء من كيفية الجمع والنقل إلى طرق المعالجة والتثمين المستدام(إعادة الاستعمال والتدوير والترميد، والطرق البيولوجية التسميد بالتخمير الهوائي أو اللاهوائي، والدفن الصحي أو المراقب)، والطرق غير المستدامة(الحرق في الهواء الطلق، والدفن والإلقاء في البحر) ومعرفة تأثيراتها على البيئة والبحث عن الحلول العملية لمواجهة آثارها السلبية ،ويشمل:

أ-المخطط التوجيهي لجمع ومعالجة الفضلات المترلية:

بالنظر لأهمية الفضلات المترلية التي تقتضي تسليم فعلي يركز على مقاربات تقنية وعلمية المتعلقة بتسيير مراقبة، وطرح النفايات الموجودة بالبلديات التي تتوفر على مخططات توجيهية لتسيير الفضلات الصلبة الحضرية، ويشمل:

-تقرير يعرف بالعملية مع جيرانها من الولايات.

-تبرير(إثبات) إجراءات المعالجة المتبصرة(المختارة).

-أخذ بالحسبان التوسع المناطق العمرانية وتطورها التقني.

-تنشيط حدود المناطق السكنية المبعثرة أو التضاريس الجبلية أو الخاصة.

ب-المخطط التوجيهي لتسيير ومعالجة الفضلات :لاسيما توطين مركز الردم التقني المبرمج.

ج-مخطط العمل البيئي والتنمية المستدامة:

عبر إعداد وتنفيذ برامج وطنية لتسيير تكاملي للفضلات الصلبة الحضرية، وتنظيم وسائل ضرورية تسمح بضمان تسيير يخص بقايا الفضلات الصلبة الحضرية وتجسيد الأهداف الأساسية المتعلقة ب:

-تحسين إطار حياة المواطن وحماية صحته.

-تقليل سليم وإيكولوجي رشيد للفضلات وتثمين الفضلات القابلة للاسترجاع.

-خلق مناصب دائم.

1-4-الأجندا 21 المحلية :

هي أحسن تمثيل من الدولة والمنظمات العالمية للاحتياجات والرهانات للإقليم كونها تجمع الفاعلين المحليين والمواطنين للوصول إلى إجماع يسمح بتنمية الثقافة وتحضير إستراتيجية موافقة.

فالبديّة مثلاً لها أعباء تجسيد استثمار وصيانة الهياكل القاعدية (الاقتصادية والاجتماعية والبيئية)، وأيضاً تربية وتكوين (إعلام) السكان والحوار معهم، وهي بذلك أكثر قبولاً لتحضير برامج العمل مادام مستوى تنفيذها قريباً من السكان.

1-5-السياسة العقد :

لها مزايا عديدة فهي أداة التخطيط، التشاور، والتعاقد، محثّة وممولة، هذا التخطيط الجديد راق في الاقتصاد التهيئي، ويعتبر كمراقب دائم في عملية التهيئة ويحرك عبر عدة مداخل للتنمية المستدامة:

-**الاقتصادي** :مع تحضير (مشروع التهيئة) في أهداف توحّد مساهمة الاقتصاد مع السياسة العمرانية مثل خلق مترل بيئي للمساهمين البيئيين الصناعيين.

-**الاجتماعي** :مع(عقد المدن) وسياسة المشاركة والتشاور للسكان لتنمية فكر اقتصادي إنساني.

-**البيئي** :مع ميثاق البيئة الذي يأخذ اسم مفاهيم إيكولوجية :مقاربة النظام البيئي وضبط الاستهلاك الطاقوي(مراقبة التلوث)، ونوعية الحياة وجمالية المدينة .ويعتبر الاقتصاد التهيئي كمراقب دائم لنوعية البيئة في عمليات التهيئة.

1-6-المواثيق البيئية العمرانية:

وقد ظهرت بفرنسا عام 1990 ، أين تطور التخطيط الإيكولوجي للمجال ليكون على شكل عقد في إطار مواثيق إيكولوجية عمرانية .فالميثاق مسعى كامل وملزم لدعم العمل القطاعي موجه حول الماء ،الفضلات الأخطار،الضجيج تخطيط المجال، تنسيق الجماعات المحلية، التربية والتكوين، العمل والتنمية المحلية إذ يسرح عبر تنفيذ برامج لبيانات أولية تتوافق مع المساهمين والفاعلين، ومسايعه تركز حول ثلاث مبادئ أساسية:

- النضال ضد عدم المساواة للفرص بجعل كل منها بيئة نوعية تضمن الحياة.
- الشفافية والديمقراطية المحلية، الإعلام، التشاور، والمشاركة.
- التضامن الإيكولوجي، مسار بين الوسط المباشر والكون.

1-7-نظام المعلومات الجغرافية SIG:

إن تطبيق هذا النظام التقني يساعد في انجاز المهام التنموية ورسم السياسات المستقبلية بكفاءة أكبر وسرعة أكثر ويقلل الكلفة إلى حد أدنى، فهو يزود المستخدم بالمعلومات المتناسقة والدقيقة عن المشكلات العمرانية والبيئية تساعده على اتخاذ القرار المناسب لمواجهتها في حينها، كما يساهم في إنجاز الخطط بمعدلات أسرع وبجودة عالية ويقلل من الهدر في الموارد والطاقات. وقد بدأ تطبيقه بالدول المتقدمة وأعطى ثماره، في حين تسعى الدول النامية لتطبيقه.

***الإطار القانوني للتدخل على الأنسجة العتيقة:**

القانون 04-98 المؤرخ في 20 صفر 1419هـ الموافق ل 15 يونيو 1998م، يتعلق بحماية التراث الثقافي:

يهدف هذا القانون إلى التعريف بالتراث الثقافي للأمة، و سن القواعد العامة للحماية و المحافظة عليه و تثمينه، و يضبط شروط تطبيقه، و كذا دمج الممتلكات الثقافية العقارية التابعة للملكية الخاصة في الأملاك العمومية التابعة للدولة عن طريق الإقتناء بالتراضي أو عن طريق ممارسة الدولة نزع الملكية من أجل المنفعة العامة، أو عن طريق ممارسة الدولة حق الشفعة أو عن طريق الهبة.

الممتلكات الثقافية حسب طبيعة الجرد:

لقد صنف القانون 04-98 الممتلكات الثقافية الوطنية إلى 3 أنواع: الممتلكات المصنفة، الممتلكات المسجلة ضمن قائمة الجرد الإضافي، الممتلكات المستحدثة في شكل قطاعات محفوظة. لذلك تعد الوزارة المكلفة بالثقافة جردا عاما للممتلكات الثقافية المصنفة، او المسجلة في جرد إضافي أو الممتلكات المستحدثة في شكل قطاعات محفوظة و تشمل هذه الممتلكات (المعالم التاريخية، المواقع الأثرية، المجموعات الحضرية أو الريفية).

كيفية تسجيل الممتلكات:

يمكن تسجيل الممتلكات الثقافية العقارية في قائمة الجرد الإضافي و إن لم يستوجب تصنيفها فوراً، تكتسي أهمية من وجهة التاريخ أو علم الآثار أو العلوم و تستدعي المحافظة عليها، و تشطب الممتلكات الثقافية العقارية من قائمة الجرد الإضافي نهائياً خلال مهلة 10 سنوات.

و يكون التسجيل في قائمة الجرد الإضافي بقرار من الوزير المكلف بالثقافة عقب استشارة اللجنة الوطنية للممتلكات الثقافية بالنسبة للممتلكات الثقافية العقارية ذات الأهمية الوطنية، بناء على مبادرة منه أو مبادرة أي شخص يرى مصلحة في ذلك.

و يتضمن التسجيل في قائمة الجرد الإضافي المعلومات التالية:

-طبيعة الممتلك الثقافي و وصفه.

-موقعه الجغرافي.

-المصادر الوثائقية و التاريخية.

-الأهمية التي تبرر تسجيله.

-نطاق التسجيل القرر.

-الطبيعة القانونية للممتلك.

-هوية المالكين أو أصحاب التخصيص أو أي شاغل شرعي آخر.

-الإلتزامات و الإلتزامات.

و كما ينشر قرار التسجيل في قائمة الجرد الإضافي الذي يتخذه الوزير المكلف بالثقافة أو الوالي، و يكون موضوع شهر بمقر البلدية التي يوجد فيها العقار لمدة شهرين متتابعين. لذلك يتعين على أصحاب الممتلكات العمومية أو الخواص ان يقوموا ابتداء من تاريخ تبليغهم قرار التسجيل في قائمة الجرد الإضافي، إبلاغ الوزير المكلف بالثقافة بأي مشروع تعديل جوهري للعقار يكون من شأنه أن يؤدي إلى إزالة العوامل التي سمحت بتسجيله، أو محوها أو حذفها أو المساس بالأهمية التي اوجبت حمايتها. حيث لا يمكن لصاحب ممتلك ثقافي عقاري مسجل من قائمة الجرد الإضافي أن يقوم بأي تعديل دون الحصول على ترخيص مسبق من الوزير المكلف بالثقافة.

يعد التصنيف أحد إجراءات الحماية النهائية، و تعتبر الممتلكات الثقافية العقارية المصنفة التي يملكها الخواص القابلة للتنازل. و عليه فغن كل أشغال الحفظ و الترميم و التصليح و الإضافة و التغيير أو التهيئة المراد القيام بها على المعالم التاريخية المقترحة للتصنيف أو المصنفة أو على العقارات الموجودة في المنطقة المحمية تخضع إلى ترخيص مسبق من مصالح الوزارة المكلفة بالثقافة.

مخطط حماية المواقع الأثرية و استصلاحها:

أداة قانونية ظهرت بموجب مرسوم تنفيذي رقم 03-323 المؤرخ في 09 شعبان 1424هـ الموافق ل 05 أكتوبر 2003م تهدف إلى تطبيق المادة 30 من القانون 98-04 المؤرخ في 20 صفر 1419هـ الموافق ل 15 يونيو 1998م المتعلق بحماية التراث الثقافي، و ينص هذا المخطط على الإجراءات الخاصة لحماية و استصلاح القطاعات المحفوظة، لا سيما المتعلقة بالممتلكات الثقافية العقارية المسجلة في قننة الجرد الإضافي، أو في انتظار التصنيف أو المصنفة و الموجودة داخل القطاع المحفوظ وفق ما تحدده أدوات التهيئة و التعمير. أما من الناحية القانونية فهو أداة قابلة للتنفيذ و التجسيد و أي مخالفة أحد قواعدها يستوجب العقوبات. فهو يحدد القواعد العامة للتنظيم، و البناء، و الهندسة المعمارية، و التعمير، عند الحاجة، و كذلك تبعات استخدام الأرض و الإنتفاع بها و لا سيما المتعلقة منها بتحديد الأنشطة التي يمكن أن تمارس عليها ضمن حدود الموقع المصنف أو منطقتة المحمية .

تنشأ المحمية الأثرية و تعين حدودها بموجب قرار يصدره الوزير المكلف بالثقافة عقب استشارة اللجنة الوطنية للممتلكات الثقافية. و يجب أن تخضع جميع المشاريع المراد إنشائها في محمية مصنفة إلى قوانين أدوات التهيئة و التعمير.

يخضع كل تنظيم للنشاطات الثقافية أو التصوير الفوتوغرافي أو السينمائي للمواقع إلى ترخيص مسبق من مصالح الوزارة المكلفة بالثقافة.

الملخص :

يحوز التراث العمراني والمعماري في السنوات الأخيرة على اهت مام كبير من طرف الهيئات الدولية والوطنية ، وتقام من أجله الندوات المؤتمرات. فبالإضافة إلى الإعتداء على خصائصها العمرانية والمعمارية لم تسلم الأنسجة العمرانية العتيقة من خطر التلوث البيئي الذي أضر ببيئتها بعدما كانت آمنة مطمئة عدة قرون.

وفي الجزائر عرفت أغلبية المدن هذه الظاهرة مما يستدعي الانخراط في المسعى الشامل الذي من شأنه أن يؤدي إلى الإقلال من خطر العناصر التي تتهدد الأنسجة العمرانية العتيقة، وقد كان لحي السوقة بمدينة قسنطينة نصيبا من هذه الاهتمامات قصد تحسين وضعيتها العمرانية والبيئية وفق متطلبات التنمية

الكلمات المفتاحية:

الأنسجة العمرانية العتيقة، التلوث، البيئة الحضرية، التنمية المستدامة، حي السوقة قسنطينة.